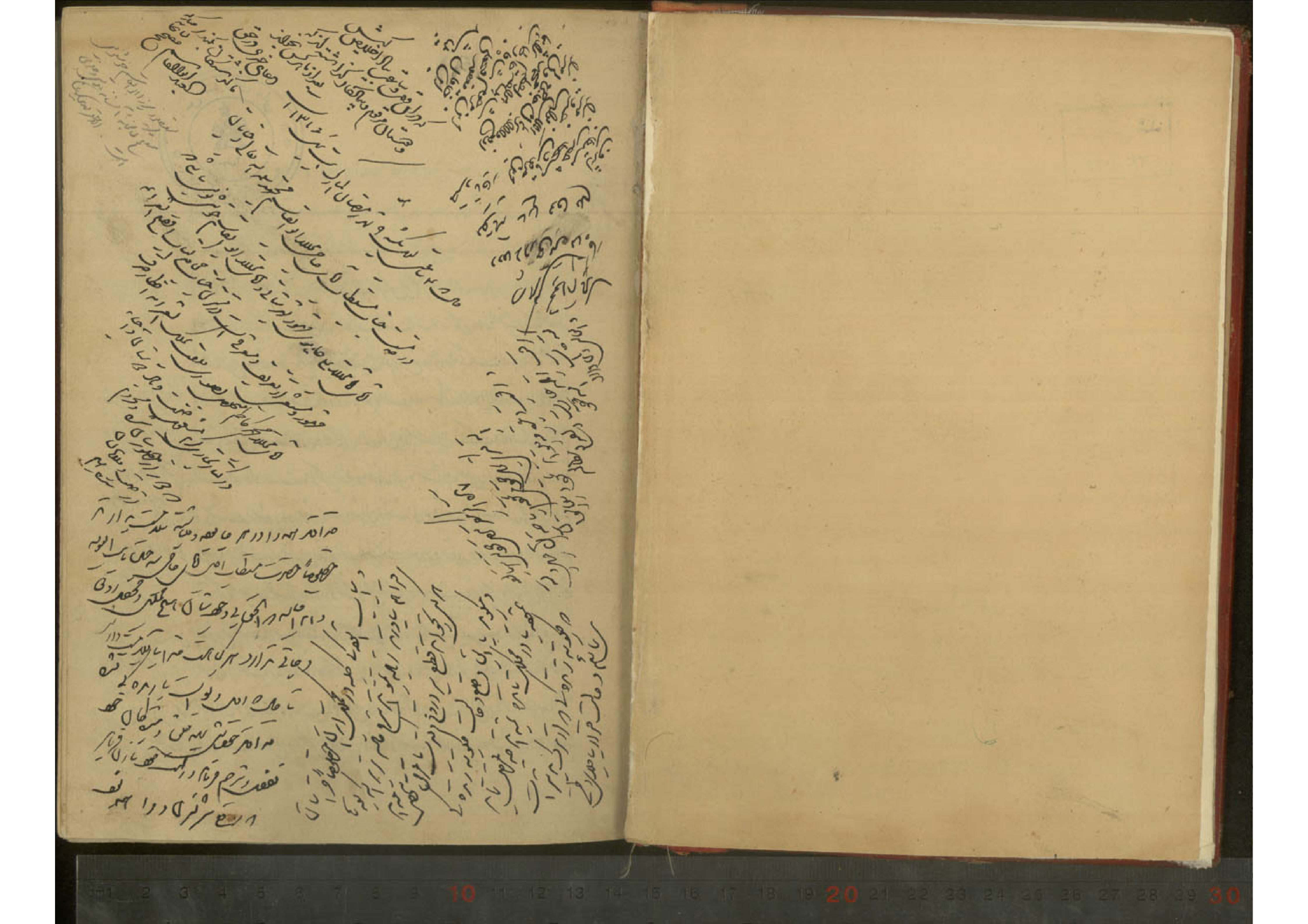




كتاب تاريخ عتبى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد بعزته الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر
فلا يمانع والقاهر فلا ينازع العزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام المليك الذي له الأقضية
والأحكام الذي تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسناء واستأثر بمحاسن الأسماء ودل على قدرته
بخلق الأرض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا إنس ولا جان ولا ملك ولا إنسان فأوجد
المعدوم ابتداعا وأحدث ما لم يكن إنشاء واختراعا جل وتعالى فيما خلق وأبدع عن احتذاء صورة
واستدعاء مشورة واقتفاء رسم ومثال وافتقار إلى نظر وقياس واستدلال ففي كل ما أبدع
وصنع وفطر وقدر دليل على أنه الواحد بلا شريك ووزير والقادر بلا ظهير ونصير والعالم
بلا تذكير وتبصير والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء
قدير رفع السماء عبرة للنظار وعلة للظلم والأنوار وسببا للغيوث والأمطار وحيوة
للحول والقفار ومعاشا للوحوش والأطيار ووضع الأرض مهادا للأبدان وقرارا
للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع وبساطا للمكاسب والمنافع وذللها لطلاب الرزق
وأرباب البضائع ونصب الجبال أوتادا راسية وأعلاما بادية وعيونا جارية وأرحاما

لأجنة الأعلاق حاوية وجعل البحار مغايض لفضول الأنهار ومغايض لسيول الأمطار
ومراكب لرفاق التجار ومضارب لمصالح الأمصار ومناهج الأوطار تحوي من
الدرر والمرجان تبيانا وتنبع من الملح الأجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين لحما طريا
وتحمل للابسين جواهر وحليا واستخلف على عمارة عالمه من اجتباهم من خلقه وآثرهم
بإلهامه ودبرهم بأوامره وأحكامه وكان أعلم بهم من ملائكته حيث قالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا
تعلمون وأقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد ويحذرهم الفساد ويرجيهم الثواب
وينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما أقامه من الحجة وأوضحه من المحجة حتى انبعث الأنبياء
صلوات الله عليهم أجمعين بالمعجزات الباهرة والدلالات الزاهرة والبينات
المتظاهرة داعين إلى توحيده ونادين لتسبيحه وتمجيده فأزاح بهم العلة وأزال الشبهة
وأفاد سكون النفوس ونفى خلاج الشكوك ولم يزل يستحدث من يشاء من خليقته
سوى من سنن الأنبياء ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والأمراء حتى انتهت
نوبة الخلق إلى زمن الأمين المجتبى النبي المصطفى الأبطحي المرتضى محمد صلى الله عليه وآله
فأرسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وجعل أمته به
أفضل الأمم وكلمتهم أعدل الكلم وملتهم أوسط الملل وقبلتهم أسد القبل وسنتهم
أقوم السنن وكتابهم أشرف الكتب ووعدهم أن يكونوا يوم العدل والقضاء

الفضل شهداء على من ظهر الجحود وشكر الواحد المعبود وقال الله سبحانه وتعالى وهو اصدق
القائلين واحكم الحاكمين وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا فضمنت بشريعة الشرائع وبصنيعة الصنايع وبدليله
الادلة وببدره الاقمار والاهلة واشرقت نبوة سيداه بالخلاص لمحمد بالاخلاص معلنة
بالتمام مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي والايام لم نفرط فيها من شيء تقتضي تماما وتستدعي
رؤيته وكما قال الله تعالى جل جلاله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا فاطلق على الدين لفظ الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال وانتفائه
عن عوارض النقص والاختلال الى ان قبضه الله جل ذكره اليه مشكور السعي والاثر ممدوح
النصر والظفر مرضي السمع والبصر محمود العيان والخبر فاستخلف في امته الثقلين الذين
يحميان الاقدام ان تزل والاحلام ان تضل والقلوب ان تمرض والشكوك ان
تعترض فمن تمسك بهما فقد امن العثار وربح اليسار ومن تنكب عنهما فقد اساء الاختيار
وارتكب الخسار وارتدف الادبار اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه وآله ما انبلج الليل عن الصباح وقرن
العز باطراف الرماح ونادى المنادي بحي على الفلاح صلوة تكافي حسن بلائه وتضاهي
سابق غنائه وتقضي فرض طاعته وتقتضي قرض شفاعته وسلم تسليما فان الدين
والملك توامان فان الدين اس والملك حارس وما لا حارس له فضايع وما لا اس له

فمهدوم

فمهدوم والسلطان ظل الله في ارضه وخليفته على خلقه وامينه على رعايته وبه تتم
السياسة وعليه تستقيم العامة والخاصة وبهيبته ترتفع الحوادث والفتن وبايالته تنحسم
المخاوف والمحن ولولاه لانحل النظام وتساوى الخاص والعام وشمل المرج والرج
وعم الاضطراب والهيج واشرأبت النفوس الى ما في طبايعها من التباغي والتباين
والتفاضل والتمايز حتى تشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا ويقيم اودهم يوما
وغدا والى هذا المعنى يلتفت قول عمار بن ياسر رضي الله عنه قال ما يزع السلطان
اكثر مما يزع القران اذ كان اكثر الناس يرون ظاهر السياسات فيردعهم خوف المعاقبة
وحذار المواخذة عن تنكب الجدد والعدول عن السمت المقصد ومن الناس من
يستقري آي كتاب الله تعالى بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل لنفسه منهما اماما يهديه
الى الاصلح وزماما يثنيه عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه ومقوم ذاته ورائض
اخلاقه وعاداته ومعنى حديث عمار رضي الله عنه منتزع عن قوله عز وجل لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فموضع السيف
للعامة ومجموع القرآن للخاصة وان كان الجميع في معانيه مشتركا واوامره
ونواهيه مرتبطا غير ان العامي يزجره السيف فيرتدع والخاصي يزجره الحق فيقنع وشتان
ما بين مدبر ومسخر بغيره ومؤدب ومهذب بنور رشده وقد كان يختلج في صدري
معنى قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب

والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم
الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز بجمعه بين الكتاب والميزان والحديد
على شافي ظاهر حاسن المناسبة وبعدها قبل الروية والاشتباط عن جوار المشاكلة
والمجانسة وسألت عنه عدة من اعيان العلماء بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير
فلم احصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدور وينقع الغلة حتى اعملت
التفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور احكام الدين
يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرايض ويتضمن مصالح الابدان والنفوس وتضمن
جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم
وامر بالتناصف والتعادل في اقسام الارزاق المخرجة لهم من رجع السماء وصدع
الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب
والتوثب واحتاجوا في استدامة حياتهم باقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال
آلة للعدل يقع به التعامل ويعم معها التساوي والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة
التي هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيتهالكوا اذ لم يكن
ينتظم لهم العيش مع شيوع ظلم البعض منهم للبعض ويدل على هذا المعنى قوله عز عيش
وجل والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء عدة للارزاق والاقوات من انواع

الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى
ان يكون اقسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف والاسراف ولم يكن يتم ذلك
الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفائدة فيه والعائدة بتكرير
ذكره ومعانيه فكان ما تقدم ذكره بمعنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب
الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحفظ العامة على اتباعهما
ويضطر العالم الى التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد و
عند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة
عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالباس الشديد فجمع بالقول
الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مفوقة المبادي والمقاطع
فظهر بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله تعالى في خلقه وامينه
على رعاية حقه بما قلده الله تعالى من سيفه ومكن له في ارضه واحق الولاة بان يكون منها شريفا
وعند الله تعالى كريما ووجيها من كان شغله بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام والمسلمين
اوفر واوفى وفي مجاهدة اعداء الله المارقين عن شرايعه المارين دون حدوده
وفرايضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور واشفى وقد علم ابناء البدو و
الحضر وانشاء المدر والوبر من حيث مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في ضمها
افق الغرب ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق يقينا وا

اوسع علما واوقع حلما واسد سيرة واخلص سريرة واتم وفاء واعم سخاء واوفر
حياء واغنى غناء واعظم قلبا وافخم ذكرا وامد باعا واشد امتناعا واجل جلالة
واكمل عدة والة وارفع ملكا وسلطانا واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا
واحمى للاسلام وذويه وانفى للشرك ونحله واعدى للباطل ومن يليه اكتسابا وورثا
وطباعا واستفادة من الامير الملك المؤيد يمين الدولة وامين الملة ابي القاسم محمود
ابن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين اطال الله بقاه ملك الشرق بجنبيه والصدر من العالم
ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من ثالث الاقاليم وخامسها في حوزة ملكه وحصول
ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب
الملوكية من عظمائها تحت حمايته وحياطته واستذرائهم من آفات الزمان
بظل ولايته ورعايته واذعان ملوك الارض بعدهم لعزته وارتياعهم من فائض
هيبته واحتراسهم على تقاذف الديار وتحاجز الانجاد والاغوار من فاجئ ركضته
واستخذاء الهند والروم تحت خيولهم واقشعرارهم لهب الرياح من ارضه
وقد كان ادام الله دولته منذ لفظه المهد وجفاه الضرع وانحلت عن لسانه
عقد الكلام واستغنى عن الاشارة بالافهام مشغول اللسان بالذكر والقرآن
مشعوف النفس بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي الامور معقودا

بالا

الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد وجده مستكد بالم لما لا يعلم حتى يقتبله خبرا
ويحزن لما يحزن حتى يدرسه قهرا او قسرا وكان الامير الماضي انار الله برهانه يرى الدنيا
بعينه ويسمع باذنه وينطق بلسانه ويستحلي مذاق العيش به ويستطيب روح الهواء
بقربه ويستفتح مغالق الامور بيمنه ويستنجح عواقب الامور باسمه ولم يزل من سحره
ونحره الى ان استتم له روية البلوغ وبصيرة الادراك عن حجره ولم ينفك
يتدرج من الطافه وكراماته وولاياته واقطاعاته من رتبة الى اخرى اعلى منها مكانا
وارفع شانا الى ان ولي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان وهي الرتبة التي طالما تشاح
عليها كباش الرجال وقروم الابطال فلم يحظ بها الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم
في الافاق وتسامع بهم رجال خراسان والعراق سناء وقدرا ودهاء وذكا
ومهابة وحشمة ونباهة ونعمة هذا على طراءة سنه ونضارة غصنه وعنفوان امره
وريعان شبابه وعمره كما قيل

شعر

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة — ولداته اذ ذاك في الاشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به — همم الملوك وسورة الابطال

وهلم جرا الى ان ملك خراسان باسرها وزابلستان عن آخرها وبلاد نيمروز بحذافيرها
وجبال الغور على حصانتها ودوخ السند فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها

و توغل الهند غازيا على بده فكاجر احها واذل لقاحها وجاس مغانيها وبقاعها
وافتتح صياصيها وقلاعها واقام عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام
وعن مشاهد الرهبان معاهد التوحيد والايمان فصارت الاطفال تهتدي في
بطالاتها باقدامه وتفزع باقباله الويته واعلامه وظل اشبالهم وجبالهم و
كماتهم وابطالهم كما قال اشجع السلمي

وعلى عدوك يا ابن عم محمد   رصدان ضوء الصبح والاظلام
واذا تنبه رعته واذا هدا   سلت عليه سيوفك الاحلام

وحاز الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة في الاسم والجسم والظفر با
خامش الاعداء في وقايع تعز صبر النفوس على امثالها وتكاد تمور من اهوالها
مالم يسمع بمثله خبر لاحد من الملوك لاساطير الاولين اريد بها التهويل والتطويل
والتعجيب والتغريب دون الحقيقة التي يشهد بها العيان ويقوم عليها البيان
والبرهان فلو نشرت صحايف الدول الاسلامية وايام الملة الحنفية لكان دولته
غرة تلك الدول وساعيه طراز تلك الحلل اذ لم يتفق لاحد من سلف الملوك
من غرر المآثر وذخر المناقب والمفاخر ما اقتنى هو بنفسه وابنه وآثاره وساعيه ولما
حاز الله له كرايم الخصال ووفا طبع المكيال في معالي الكمال سياسة ازرت باردشير
في زمانه والمنصور في سلطانه وتهتكت لها حنادس الليالي التانية وخمدت علتيا

عيون الارقم العارمة وعدا اضم من الضدين حتى النار الى الماء والف بين الذياب
الطلس والشاء فكفت الانياب شبا الاطراف والقرون صلابة الاجواف وكانت
ايامه مشغولة بتمرات السياسة عن حلو الدراسة وبفرض السيادة عن نفل الاستفادة لطف
الله تعالى له باولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر بل ا
لعقبان الكواسر من لم ترتق الالحاظ اشخاصا توازيهم فخامة وجلالا ونضارة بهجة
وسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة وافضالا وعلوما وآدابا ولفظا وكتابا
وخطا وحسابا واخلاقا قمرة وعدا بانعم وصرامة ومضاء وشجاعة واباء وسيادة
وعلاء ونجابة ورياسة وجلالة ونفاسة فجمع الله له تمام السعادة وقصر عليه ادوات
السيادة وقيض الشيخ الجليل شمس الكفاة ابا القاسم احمد بن الحسن لوزارته
وتدبير امور مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترة من احرار الرجال وابناء
النعال فلم يطبع بمثله على غراره ولم يضيع شرواه في مضماره سجاحة شيم ورجاحة
كرم وسماحة كف وفصاحة كلم وهمة ترى الدنيا هباء من اجوائها الثائرة
بل نقطة موهومة الدائرة وغدت سدته ميقاتا للفضل واهله وسوقا للادب و
منتحلة تجلب اليها بضاعات الفضائل من منظوم ومنثور ومختوم ومنشور
وقد صنف طبقات الادباء والكتاب تصانيف في ذكر ايامهم وتصاريف
احوال الزمان بهم بحسب قوتهم في البيان وسمتهم من بلاغة الخاطر والبنان

حتى ان ابا اسحق ابراهيم بن هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في
اخبار الديلم موشى بحبر الفاظه الباهره ومغشى بحلل معانيه الزاهره فحل عقد
البيان بما قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده وان تكن دولة تقتضي اثبات
محاسنها بالتخليد وتقييد آثارها بالتأبيد فهذه هي التي تقتضي الادباء ان يجددوا
تقرير معاليها كلامهم ويجلوا بتحرير ساعة اقلامهم ولو ادركها الماضون من ارباب
التصانيف لودوا لو كانت الفاظهم عن غيرها معزولة والى ذكر محاسنها منقولة
وحدثتهم انفسهم بان يعتذروا اعتذار ابي نواس في قوله

شعر

اذا نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقد كنت اقدر ان بعض صنايع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة وتوجه في
طرق البلاغة والبراعة يرتاح لتقييد اخبارها وجمع كتاب في تصاريف احوالها
واطوارها من لدن اقام الامير الماضي انار الله برهانه الى ان اجلى ابا علي محمد
بن محمد بن سيمجور عن خراسان كسيرا وحصله من بعد في يده اسيرا وولي امورها
سياسة وتدبيرا وما تقدمه في اثناء ذلك كله من اعانة الامير الرضي ابي القاسم
نوح بن منصور رحمه الله عليه ونصرته واستجابته ما لطف اليه من دعوته و
المدافعة عن مهجته وخطته واستيفاء ما فصل عن ذوبان الترك من ولايته وكفهم

اخر

بترغيبه وترهيبه عن ازالة حشمته واستباحة ما سلم عليهم من نعمته محافظة على حقوق
سلفه الذين طال ما صنعوا الصنايع واودعوا الودايع وبثوا العوارف والرغايب
وانفقوا الاموال والحرايب حتى كنزوا المحامد والمراتب وعرفوا المحرمات اقدارها
وحفظوا على البيوتات استارها وقضوا النفوس المنقطعين اليهم اوطارها الى ان ورث
السلطان المؤيد يمين الدولة وامين الملة مكانه فخلفه في ترتيب الامور وتدبير الجمهور
وتألف الاخوة والاقارب واستمالة القلوب ببذل الرغايب الى ان استقل به سرير
الملك مطاعا وتناهضت ولاة الاطراف الى بيعته سراعا فوجدتهم قد عولوا
في معانيها على ما سار في اكناف الحضر من الاشعار الفارسية لازدحام شعرائها على
بابه الرفيع بقصائدهم التي قد غبروا بها في ديباجة الرودكي وصنعة الخسروي و
الدقيقي ولعمري انها كافية شافية ومن وراء الاشباع والاقناع آتية ولكنها
دواجن خراسان لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا تألف غير اقطارها مجالا فاقتضاني
حكم ما اسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمته وتعرفه ايام الامير الماضي قدس الله
روحه من بركة اصطناع ونعمة ثم ما رسم لي الامير السيد ابو احمد محمد بن يمين الدولة
وامين الملة ان اشبع اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان
سمرا على السهر وانسا في المقام والسفر ويعرفون به عجايب آيات الله تعالى
في تبديل الابدال وتقليب الامور من حال الى حال مستبدا بذكر الامير الماضي

اكرم الله مآبه من حيث نبات نبعته وتفرعت دوحته الى ان استعان به الامير ابو القاسم
نوح ابن منصور برد الله مضجعه في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي ابن سيمجور
حين نزع يده من طاعته واستجره بجفي بسالته عن دار اقامته لكفاية ما دهاه من امره وامر
من طابقهم من الترك على جفوته واطمعهم بوسايله ورسايله في توزع مملكته وما جرى
على يده من الفتوح المأثوره والمقامات المشهوره وتبعا من ذلك بلواحقه
من وقايع السلطان يمين الدوله وامين الملة في الهند والروم والترك والخلج و
ما اتيح له فيها من النصر والفلج وما يتصل بها من اخباره واخبار ولاة الاطراف
في جواره والله ولي المعونة على درك المنشود واصابة الغرض المقصود بمنه وفضله و
كرمه وطوله

ذكر الامير الماضي ابي منصور سبكتكين انار الله برهانه

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جبلته ابي النفس حمي الانف جري القلب
قوي البطش كريم الخيم رضي التدبير كبير الهمه كثير الحكمه يتبين ذلك كله في خصاله
وخلاله وتصرفات عزايمه واحواله وحكى لي ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن انه
كان ورد بخارا ايام الامير السديد منصور ابن نوح في جملة ابي اسحق ابن البتكين
صاحب جيوش خراسان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير ووجهه العزيز وعليه مدار
اموره وبيده مناظم شؤونه وعرفه اركان تلك الدوله بشهامته وغنائه و
صرامته ومضائه وتوسموا فيه الارتفاع بهمته وذكائه الى اليفاع فحين صرف ابو

اسحق

اسحق الى غزنه واليا عليها وساد استدايه بها انصرف هو بانصرافه في جملته
على رعاية رجاله ومراعات ما وراء بابه فلم يلبث ابو اسحق بعد معاودته اياها
الى ان قضى نحبه وودع عمره ولم يبق من قرابته وبطانته من يصلح لمحله ومكانه
واضطر العدد الذين هم من مواليه وموالي ابيه الى من يتولى رعايتهم و
يتكفل بحسن الايالة خاصتهم وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار ساخطين
غب الاختيار الى ان اجتمعت كلمتهم على تأميره واتفقت آراؤهم على الرضا
بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتأخيره فماسحوه بايمانهم طايعين وحالفوه
بايمانهم متابعين فتولى امورهم براي صليب وحزم عجيب واهتمام شديد
وقيام بمصالحهم حميد ولم يزل يركض بهم على اطراف غازيا مجاهدا اعداء
الله الكفرة بها ومفتتحا قلاعها ومستخلصا ديارها ورباعها ومحكما سيوفه في
اهلها مؤمنا من اسلم وشهد وقاتلا من اشرك وجحد وجرت بينه وبين عساكر
الهند حتى عبوا امرهم وتضافروا على مدافعتهم واستكفاف عاديته حروب (مدافعته صح)
لبس فيها جلد النمر وارث نارها تارث المتنمر وعض في معاناتها على جذم التصبر
وجافى الجنب عن الضجعة واقنع النفس بالطوى والمخمصة وانضى تحته مركب الحمية و
حث اصحابه ورفقاه على لذة الامنية وراحة المنية كانما عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله

ابت لي عفتي وابى بلائي   واخذي الحمد بالثمن الربيح

واجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

وحكى لي رحمه الله في عبار ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته وآثاره في العدو ونكاياته اني واقفتهم في بعض وقائعهم بهولاء الرفقاء ونحن في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب ومقاساة الكروب حتى اقوى الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستمداد ولم يكن امامنا الا السيوف القواضب وورائنا الا المهامه والسباسب فصرخوا الى بهاداهم وسئلوني حيلة الثبات على اعداهم فقلت لهم اني كنت استصحبت نحاصتي على سبيل الاستظهار صدرا من السويق وهو الآن قسمة مني ومنكم عدلا سواء بالغا ما بلغ بقدر الكفاية الى ان من الله تعالى بالفرج وكشف هذا الضيق والحرج فكنت اجدح لهم اناء عدة لكل منهم اولا اولى من بعدهم آخرا قعبا صغيرا فيجتزي به طول النهار والليل ونحن على ذلك من معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة السيوف والسهام بحر الوجوه والصدور الى ان وهب الله ريح الظفر واحاق سوء العذاب بمن كفر فولوا الادبار من قتيل مرمل وجريح مرمل وعقير مرهق واسير بالقد موثق وسمعته يذكر من حسن تدبيره وتقديره عند افضاء الامور اليه واقتصار الامارة عليه ورزاحة حاله عن التوسع في الانفاق والتخرق في البذل والاطلاق وانه

كان

كان كاحد رفقائه في الحال والمال واحتاج مع ذلك الى ان ياخذ لمؤونة الزعامة عليهم من نفقات الراتبة فكان يدخر منها ما يفي بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين ولم يزل على هذه الجملة الى ان اتسعت حاله فزادهم بحسب الزيادة الى ان استكمل اسباب السيادة كما قيل

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
حتى علا وجاوز الاقواما وصيرته ملكا هماما

ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت ارض خزانته واشفقت النفوس من هيبته وتعلقت الاطماع بمعونته

وكان من احدى فتوحه ناحية بست

وسبب ذلك ان بايتوز كان قد ملكها على طغان احد الامراء كان بها غصبا واجلاه عنها حربا ونهبا فلجأ هو الى الامير الماضي مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه ببذل نصيحته وولاء رهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة يلتزمها فلبى نداءه وحقق بفضله رجاءه ونهض نحوه بمعظم جيوشه حتى اناخ بباب بست وبرز بايتوز الى معسكره فتناوشا القتال كاشد ما يكون نفحا بالصفاح وشقا بالرماح وانخانا بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتقت حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم عن مقاماتهم واغصت شوارع البلد بهاماتهم وتدارك عليهم الحملات من كل اوب حتى جلوا عنها مغلوبين وتفرقوا في متون الهضاب وبطون الاودية

ذليلين

والشعاب مخذولين واستقر بها طغان شاكرا احسانه وموجبا تحقيق ما اوجب عليه
ضمانه وبذل به رهنه ولسانه وهو يتمسّل في ذلك سرا بين وعد واخلاف وترجّح
بين وفاق وخلاف حتى اذا حان حين الاداء طالبه الامير بالوفاء واغلظ له
في الاقتضاء لما رأى به من فرط الاباء والالتواء وهما على صحراء خاصة بغلانهما
واتباعهما فحدته عجرفية الطبع بالمنع فلم يرض بالقول حتى انتضى سيفه وضرب به الامير
ضربة اوسعت جرحها فلما تبين غدره ضرب الامير بيده الى سيفه وهي تشخب دما
فضرب منكبيه ضربة انصفت له منه وطلبه باخرى فحجز عنها اختلاط الفريقين و
اناب الامير الى رفقائه وغلمان داره بطرد الغواة وحطمهم وتبييض تلك
النواحي من سوادهم فلم يتلع النهار الا وقد ثبتت له صافية واطرافها عن ذوي
الخلاف خالية وشعار دولته عالية واستدبار توزطغان الى نواحي كرمان
وسجستان ولم يحلم احد منهما بان يلتفت وراءه فضلا عن ان يتمنى لقاءه وكان
من جملة ما استفاده ذلك الامير من صفايا ذلك الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي
الكاتب صاحب التجنيس رحمه الله فانه كان كاتبا للباي توز فلما استمرت به الكشفة
اعتنبه صحبة فتخلف عنه ودل الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده كما كان من
قبل معتمد اله اذ كان محتاجا الى مثله في آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته و
درايته وحدثني ابو الفتح رحمه الله قال لما استخدمني الامير الماضي واحلني

محل

العجرفية الغشم

الحطم الكسر

محل الثقة الامين عنده في مهمات شأنه واسرار ديوانه وكان بالباي توز بعد حسّاد
وحسادي يلوون السنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي لما اشفقت لقرب
العهد بالاختبار من ان يعلق بقلبه شيء من تلك الاقوال ويقرطس غرض القبول
بعض تلك النبال فحضرته ذات يوم وقلت ان همة تشتمل من ارباب هذه الصناعة
لا يرتقي الى اكثر مما رآني الامير اهلا له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه
واختياره لمهمات اسراره غير ان حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوما
واهتمام الامير ببعض ما بقي من شغله يقتضيانني ان استأذنه في الاعتزال الى
بعض اطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الامر في نصابه فيكون ما اديته من هذه
الخدمة اسلم من التهمة واقرب الى السداد وابعد من كيد الحساد فارتاح لما
اوقعه من الاحماد موقعه فاشار علي بناحية الرخج وحكمني في ارضها اتبوأ منها
حيث اشاء الى ان يأتيني الاستدعاء فتوجهت نحوها فارغ البال رافغ العيش
والحال سليم اللسان والقلم بعيد القدم من مخاضات التهم قال وكنت ادلجت
ذات ليلة وذلك في فصل الربيع اؤم منزلا امامي فلما اصبحت نزلت فصليت
فسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات
يمنة محفوفة بالخضر مغمورة بالنور والزهر وامامها ارض كانها مفروشة بمساط
من الزبرجد منجد بالدرر والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان متسبب منها انها

قصة الطيب كنج قى وقدر ما سند جابتيه

كبطون الحيات في صفاء ماء الحيات وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق
والعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان وفزعت الى كتاب ادب
لي كنت استصحبته لاخذ الفال على المقام والارتحال ففتحت اول سطر من الصفحة
عن بيت شعر وهو   واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز   فقلت
هذا والله الوحي الناطق والفال الصادق وتقدمت بعطف ضبنتي اليها

صفة منشئه ولوح العبادات وزلاغنياء فيه

وغنيت ستة اشهر بها في انعم عيش وارخاه وامرء شرب واهناه الى ان اتاني
كتاب الامير في استدعائي الى حضرته بتبجيل وتاهيل وترحيب فنهضت اليها
وحظيت بما حظيت به منها الى يومي هذا وكان اختياره ذلك احد ما استدل
به ذلك الامير على رايه ورزانته ودرجه الى محله ومكانه وصار من بعد ينظم با
قلامه منشور الآثار عن حسامه ويسجع بعبارته نتائج فتوحه ومقاماته وهلم جرا الى
زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة فقد كتب له عدة فتوح الى ان جره القضا
عن خدمته ونبذه الى ديار الترك من غير قصده وارادته فمات بها غريبا ولم
يجد من مساعدة الزمان نصيبا ولما استتبت للامير تلك النواحي واستقرت على
شعار دولته الاقاصي والاداني وصفت له اشرابها ودرت عليه اخلافها
استخلف عليها من اختار من ثقاته وخواصه وكانت بلاد قصدار قد وقعت
من وراء بيضته ومرد عليه واليها بحصانة اطرافها ونواحيها وخشونة مصاعدها

مهاويها فظن ان بعد الشقة وحزونة المضرب وضيق المدخل ووعورة المتغلغل مانعة من
الدمور عليهم وقاطعة دون الوصول اليهم فلم يرعهم الا صيحة الغارة واحداق الخيول
بهم كالاستدارة وقد طوى اليهم تلك الطرق القاصية والقلل العاصية المتناصية
في ركضة لم يبل جنبه فيها قرارا ولا عينه غرارا ولا خيله جماما الا لماما فهجم عليه هجوم الليث
في ربعه بنفسه وصحبه

فاخذته اخذ المقصب شاته   عجلان يشويها لقوم نزل

فكان صباحه كما قيل

اذا خرس الفحل وسط الحجور   وصاح الكلاب وعق الولد

ثم راى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيديه فاطلقه تطولا وانعاما واعاده الى
مكانه احسانا وامتنانا ووافقه على مال يعجله وآخر في كل سنة يحمله فضرب باسمه تلك
المنابر واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر والغائب والحاضر ولم يزل
بعد ذلك يدارك الركض على اطراف الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا كانت
مرتفعة في جبالها مطمعة باموالها ممتنعة برجالها فحصلها كلها في يده ونظم جرائدها
في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى افتتح قلاعا لم يسكنها قبل الا كافر و
لم يطاها للاسلام خف ولا حافر وعلم جيبال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة ملكه و
يقبض من اطراف ولايته ويلصق الهون والخسار بمن يجافي عن حوزته اخذ المقيم

المقعد وملكه المزعج المكمد ورأى الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه
وعشيرته وأعيان جيوشه وعساكره وما خف من ثقال فيلته يريد الانتقام
منه بوطء عرصة الإسلام واستباحة حلته الحرام يريدون أن يطفئوا نور الله
بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون وصار كما هو حتى
جاوز لمغان وانيا من ولايته ذلك الأمير ذو الواثق بطوله الساكن
الى قوته وحوله وقد باض الشيطان في رأسه وفرخ وشوى السوداء في
دماغه وطبخ فهو يظن الظنون ويعد في حساب الحسبان ما لا يكون ولما
سمع الأمير بتورده وتغلبه استعد لمناهضته وجمع أوليائه على مجاحرته و
واستجاش من مطوعة الإسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف
بأسه ومعرته وبرز من غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصد منته في الجهاد
قوته وحمية للإسلام أبيه ووافقه بين الناحيتين في رجال كقطع الليل أو
دفع السيل ومعه السلطان يمين الدولة وأمين الملة كالليث الخادر والعقاب
الكاسر والموت الكاشر لا يؤم صعبا إلا ذلله ولا يروم عقدا إلا حلله
ولا يزاحم منكبا إلا حطمه ولا يصاول قرنا إلا أباح دمه ونشبت الحرب بينهم أياما
ولاء وأديرت عليهم كؤوس الطعن والضرب ملاء حتى سكر الفريقان من سورة
الطعان وبقرب تلك المعارك مما يلي الكفار عقبة تعرف بعقبة غوزك يخفض

عنها طرف العقاب ويعسكر دونها جيش السحاب ذات مهاو ومشارف ومثان
ومعاطف وفي بعض أوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة لا تقبل قذرا ولا
تحمل غثاء ولا غثرا فإن ألقي شيء من القاذورات فيها اكفهرت له السماء واختلفت
النكباء وأظلمت الشواهق والأعماق وغصت بالزمهرير الآفاق حتى يرى الموت
الأحمر عيانا والعذاب الأكبر حقيقة وبيانا فعمد الأمير رحمه الله بإلقاء ضرب من امر
النجاسات تعمد إقامة القيامة على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم الصواعق و
القوارع وأحاطت بهم الرياح بالزعازع ومدت السماء عليهم سرادق البرد والخصر
وأثارت عليهم زوابع الأعصار والقر حتى عميت عليهم المذاهب والمهارب وانسدت
دونهم المساري والمسارب فاستسلموا لفرط الهول والوجل وشهدوا الموت قبل بان قد شاهدوا
حلول الأجل وأرسل جيبال يطلب الصلح وتكف الحرب على مال يؤديه وحكم
للأمير في فيلته ومملكته يمضيه فهم الأمير بإجابته إلى ملتمسه إشفاقا على أوليائه أو لصنوا
عن له في رأيه فحظر السلطان يمين الدولة وأمين الملة أولئك الرسل نهرا وأبى أن
يكون فيصل الحرب إلا عنوة وقهرا حمية للإسلام والمسلمين وثقة بالله رب العالمين
فانصرفوا أباعر فوا من صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال لما أعياه من الحيلة
في أمره إلى إعادتهم في طلب المكافة خاشعا والتماس الموادعة طائعا وكانت
زبدة كلامه إنكم قد عرفتم حمية الهند واستهانتهم بالموت إذا طرقهم طارق

محذور وحربهم حارب مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا في الغنيمة والفئ
والفيلة والسبي فما هو الا صرى عزم متصبية في استهلاك الاموال وسمل
الافيال وعرض الغلمان على النيران وشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف
الحراب وظبات السيوف ثم ثانكم وما بقي من جماد ورماد وموات ورفات
فلما سمع الامير ذلك من كلامه واحس مصدوقة ما هم به عند ياسه من مرامه
راى ان حظ الدين واوليائه في موادعته واستراكه عن باله وعدته ارجح
من تخليته وما اختاره من التقاطع بالسيوف والتهافت في الوقود فوافق
الامير السيد يمين الدولة وامين الملة على كف يد الارهاق على الف الف درهم
شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها نقدا وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته
كان اشترطها عليه ان يسلمها الى من يتسلمها من جهته بعد ان يبعث اليه رهائن من عشيرته
واعزته على الوفاء بما يضمنه والانجاز بما يعده وقبض المال والفيلة ووافقه على
البلاد المذكورة وحدا وارسل معه بسلته وحاجته دليلين يعيدلان به عن المتعسف و
يقفان به على القصد في المنصرف وبعث معه بعدة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة منه
فلما اوغل به المسير وراى انه قد خف عنه الطلب واسترخى به اللبب صدته خبث الضمير
بالاخلاف واركسه عجز الراي في استيناف الخلاف واعتقل من كان في صحبته بدلا من
رهنهم من عشيرته وقدر الامير ان الذي بلغه من امره ارجاف يردفه خلاف

وباطل ليس له حاصل الى ان تناصرت به الانباء فرح الخفاء وانكشف الغطاء
وعلم ان الله تعالى قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشد يلحق به ومال امره
ويحق عليه مآل كفره وشحذ غرار عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن خبث خبثه والحاده
ونهض في الكماة من غلمانه والحماة من رفقائه واعوانه متوكلا على الله تعالى
وحده ومنجزا في النصر وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بارز من اعوان
جيبال وجيوشه حتى طحنهم طحنا واستلحمهم ضربا وطعنا وقصد لمغان وكورة بحتشا الاحرار
وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واقتدارا واضرم بعضها على الكفار نارا
وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما يفتتح البلاد
ويقتل الانجاس الاوغاد حتى اذل المشركين وشفا صدور قوم مؤمنين ولما ارتقى على
الغاية في النكاية واربى على قدر الامكان في الاثخان وبردت يده وايدي اوليائه
بما يغمر العد والحد من كرايم الاموال وغنايم تلك البلاد عطف الاعنة وراء
كريم الظفر حميد الورد والصدر وتطايرت كتبه في الافاق بذكر ما فتح الله للاسلام
على يده فاشترك الناس خاصة وعامة للارتياح له والانشراح لموقعه والشكر
لله على ما اتاه من كريم صنعه ولما راى جيبال ما قد دهاه جزاء عما نقضه من عهده
ونكثه من مرار عقده وراى وجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعمة للنسور و
الخوامع سقط في يده وفت في عضده ونالته منه الندامة وقامت عليه القيمة

وبقي زمانا مبهوتا لا يعرف الرأي في ظهر ادباره او في وجه اقباله ثم حركته الأنفة
لاستيناف المناجزة طلبا للثار وطمعا في الانتصار فعسكر ووزر واقبل وادبر ثم عزم و
قدر ونادى في حشره وثار في مائة الف او يزيدون وبلغ الأمير خبره فقابل اقباله بالإ
وحرض المؤمنين على القتال وسار بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا انتهت
الخطى بين الفريقين فرع الأمير ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا النمل منشورا
والجراد مبثوثا فراعه منهم ما يروع الذباب من سوام الغنم والليوث الجياع
من سوام النعم وحشا اولياء الله على الكفرة القلف فاجابوه سراعا بقلوب
محشوة بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدم اليهم بان يتناوبوا الحملات
بينهم في كل حملة خمس مائة غلام بالدبابيس الحاطمة والقرانكمنات الهاشمة حتى
اذا ابلوا عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم من ينوب منابهم رضا وبضا
وطعنا وطخا ففعلوا ما امر واخذوا ما رسم فلم هذه حالهم حتى استغاث الملاعين
من حر الوطيس ووقع السيوف والدبابيس وهموا بان يجلوها حملة واحدة ترجح
الأقدام وتقتلع الجيش اللهام فعندها حمي الوطيس واختلط المرؤوس والرئيس وتداعت
الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلفت الضربات فمن واحدة تقط
الهام واخرى تقد الاجسام وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح
فلم تعرف الصفاح عن الرماح ولا الرجال عن الأفيال ولا الأبرار من الفجار ثم انكشفت

القلف جمع الأقلف وهو الذي لم يختن

عن هزيمة الأنجاس الأرجاس واسلامهم عدتهم وعتادهم واسلحتهم واوزارهم
وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيداء بجيف قتلاهم من جريح بحد الحسام وطريح
من هول ذلك المقام سنة الله الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
ولوت الهند بعد ذلك اذنابها على رؤسها ورضوا بان يسلموا من حر الطلب
في اقاصي ديارهم وتركوا في شعارهم مناب اشعارهم وصفت تلك النواحي
لذلك الأمير ودرت عليه اخلاف الأموال وانحلت له عقدة الجبايات وحصل له
من وجوه الغنائم وغيرها ما يتنافس من الفيلة الحربية وكثف سواد جيوشه ودانت
له الأفغانية والخلج فمتى شاء استثار منهم الآلاف في خدمته وامتهان الأرواح
والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته ونوافل اشارته وعند ذلك اوجب
اغاثة الأمير ابي القاسم نوح بن منصور والي خراسان واتى على جيوش الترك
الذين اجلوه عن دار ملكه بخارا وزحزحوه عن وطنه بها حتى فرق دهماءهم واضطرهم
الى الانهزام وراءهم كرا لم يتسلط لغيره من اولياء تلك الدولة وانشاء تلك النعمة
لا جرم ان الله جازاه جماله وذكره وقصر عليه سناه وقدره وجعل كدحه سببا لانسياق
الملك الى ولده وتوطئة لبقاء العز في عقبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم

ذكر الأسباب التي اطمعت الترك في ولاية الأمير ابي القاسم نوح بن منصور وتوسط

مملكته واجلاسه عن رتبه وخطته

قد كان انتقل الملك اليه سنة خمس وستين وثلثمائة واجتمع اوليائه وحشمه على بيعته بعد اموال عظيمة اطلقت وعشر نيات فرقت حتى تبدد شمل الاموال التي كان وزراء السامانية من قبل يكدحون لها ويدأبون لجمعها كابي الفضل البلعمي وابي جعفر العتبي ومن كان نصب منصبهما في الوزارة وتدبير امور المملكة وكان ابو الحسن محمد بن ابراهيم سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له في ارضائه وعقد البيعة له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة ولامثاله من اركان الدولة حتى لانت عريكته وتمت بيعته وفوضت الوزارة الى ابي الحسين العتبي فقام على سعة شبابه بالامر قيام الحدب الشفيق وكفته مناصحته كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق حتى استقامت بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور وانسدت الثغور واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا وبعدا وقربا وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ونباهة ذكره ومناعة جانبه وخشونة حده يتوخى رضاه فيما يتحكم عليه به من المطالب التي تختص بولايته وربما اخذته العزة باللجاج فيذكر ما وراءه من الادواء المعضلة والامور المستفحلة فيسمح قرونه ويذل صعبه وحرونه وحدثني احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصته ومندوبا لحمل رسوم كانت معلومة من جهته كل عام الى بيت الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول صلى الله عليه وآله

الحدث العطوف الرحيم

قضايا

وسلم وذويه وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها منهم قال دخلت عليه يوما ذات يوم عند منحدري من خراسان فسألني على رسمه عن حال ذلك الشيخ في سلامته واستقامة الامور في ضمن كفالته ثم قال هات ما استعدته واعرض ما بدا له وتوخاه فعرضت عليه تذكرة كان سلمها الي بتفصيل ما رسم لي حمله من ديار العراق وجملتها الف ثوب معلمة مطرزة الاطرار باسم الامير السيد الملك المؤيد المنصور ولي النعم ابي القاسم نوح بن منصور مولى امير المؤمنين وخمسمائة ثوب مطرزة باسم الشيخ الجليل السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد العتبي ومثلها معلمة باسم الحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تامل النسخة وحلته نخوة الملك وملكته حمية العز وطارت الغضب كل مطار فالتفت الي في الجواب ان ابن العتبي لو اغتنم سلامته بالمه وتفرد بالتدبير الذي فيه لكان اولى به واعود عليه وعلى صاحبه مما يسومني بهذا الاحكام وامثاله غير ابي اجعل سواحل جيحون قبل عودك من وجهك مرابط الجحافل ومراكز القنا والقنابل فقمت من مكاني متخاذل القوى خوفا من سطوته وتاوا فخذ اجر رجلي على الارض تهيبا وارتياعا الى ان ركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما ازف ارتحال الحجيج اتاني رسوله فبادرت اليه واحسنت خدمة المجلس من بين يديه وافدا على المعهود بشرا وتخصيبا وبرا وترحيبا قال قد امرنا في معنى التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه وخلافا على خلاف وفاقه فتنجز العمل به ليوافق عودك فراغ

في

الصناع منه وحصول المراد له قال فاستعملت ذلك كله على الطرز المذكورة وحملتها
في صحبتي الى بخارا فشفوعة ببيان مارسم لي تحصيله وتنجزه وقد اكثر الشعرآء من اهل
العصر في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي رحمه الله لاسيما ابو طالب المأموني
فانه صاغ في مدحه قصايد غير معدودة منها قوله من قصيدة يمدحه بها

شعر

بذي عزايم عتبي تفرق ما | بين الجماجم والاعناق ان عتبا
ذو همة ملأت عين الارض ان برزت | من صدره لم تسعها الارض مضطربا
اذا انتضى للندا او للردى قلما | اجرى به سحبا او جهلا لجبا

وقوله فيه اخرى

يشجي الصعيد صعادا او الندى نمى | اذا اهتلل للمعروف او قطبا
كتايب منصورية ملكية | الى السيف فيها ان يرى الغمد مضجعا
تؤيدها عتبي عزم مؤيد | بحزم تجلى خلفه البيض طلعا
اذا امر الشيخ الجليل سيوفه | هوت سجدا في الدارعين وركعا
يعود بها وجه الخلافة ابيضا | بابيض من ابناء عتبة اروعا

ومن ذلك قول اللحام فيه

الشيخ اكبر من مدحي واكباري | لكن احلي بذكر الشيخ اشعاري
واعتب الدهر اذ عاتبته بفتى | من ال عتبة نفاع وضرار

تم الكلام

يحيي المكارم في لاء وفي نعم | فالناس في جنة منه وفي النار
كانما جاره في كل نايبة | جار الاراقم في ايام ذي قار

ومن ذلك قول ابي الحسين العلوي الرضي الهمداني

كانما الدهر تاج وهو درته | والملك والملك كف وهو خاتمه
والبحر والبر والاعلام اجمعها | والخلق والفلك الدوار خادمه

وقلد ابو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي امور الباب وزعامة الحجاب والثقات
بين اولياء السلطان وحشمه في تنجز حاجاتهم واستطلاق اطماعهم وعشر ميناتهم
واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى تحققت النفوس محبته وتعلقت الاهواء
بزعامته وفتح ابو الحسين عليه ابواب الفوايد والاصابات حتى كثر وفره وظهر
امره واشتد بالاستظهار ظهره وكان ابو العباس من جملة فتيان ابي جعفر
العتبي ملك يمينه اهداه الى الامير السديد ابي صالح اثاره لخدمته على نفسه لكيسه
وذكائه ورضى شمائله وانجابه فاستتم ابو الحسين الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه
به والاشادة بضبعه وباعه وتدريجه الى المحل الذي توسمه في قوته واضطلاعه
جرت امور ذلك الباب بتعاضدهما على النصايح وترافدهما على ارتهان المصالح
على احسن الوجوه هيبة وجمالا وهيبة وجلالا ونفاذ للاوامر يمينا وشمالا واختص
ابو الحسين فايق الخاصة لطول خدمته للامير السديد وخطوته عنده واختصار عاميته

واشتراكه في وصايته فكان شريكهما في التدبير وصيانة هيبة السرير وقرار الجيش بخراسان
على ابي الحسن محمد بن سيمجور فتفرد كل واحد منهم بحماية الملك وسد الثغور وسياسة
الجمهور وحصد النواجم الشرور الى ان بت اكمامها تتفتق وجيوبها تتخرق وكان
من ذلك امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد كان قد استنصر الامير السديد على
طاهر بن الحسين قريبه وخليفته على اعماله بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك
في شهور سنة اربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه من الولاية واستظهاره بالمال والعدة
واستمالته قلوب الاجناد والرعايا من اهل تلك الخطة فاحسن نصرته ومعونته وكفاه
كلفته ومؤونته وامده بمن استمده من كماة الجيش لرده الى حيزه وتقرير مملكته في يده
فانحاز طاهر حين احس بالمدد وكثرة العدد الى اسفرار حتى قر خلف قراره ووضع عنه
اصاره وصرف عن ظهر الاستغناء اعوانه وانصاره ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته
الى بادغيس فمن نادى بشعاره فعاد خلف الى حضرة الامير السديد مستصرخا اياه فصار عالي
غوثه فيما دهاه فاحسن لقياه واكرم مثواه واعاد تقويته وانجاده وكشف بالخيول سواده
ورده الى سجستان ووافق وصوله اليها مضى طاهر لسبيله وانتصاب ابنه الحسين منتصبه
ووارثه في الخلاف مذهبه فحاصره خلف فيها مناصبا الحرب غاديا ورائحا وجامعا
ومكافحا حتى كثر القتلى بين الفريقين وطالت يد الانتصار على اصحاب الحسين
فعندها كتب الى بخارا متنصلا عن سمة الخلاف ومتلطفا للاستقالة والاستعطاف

ومظهرا للطاعة في وفادة الحضرة ومباشرة تراب الخدمة متى صادف ارجا من ضيق
الخناق وفكاكا من شد الاوهاق فاحسن في ذلك الامير اجابته وقابل بالقبول انابته و
سهل الى ورود الحضرة سبيله وحقق بالافضال والاحسان تأميله واستقرت امور
سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اوامره واحكامه
وانبسطت بالعز يده وباعه وتوجت بذخائر الاموال رباعه وقلاعه وانقطع عن
بخارا مواد خدمته وطاعته واعفاؤه بمال موافقته ومقابلته حق الاصطناع بواجبه
وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة اليه في حثه على شده ودعائه الى
بالجمع صلاح يومه وغده فجرد عند ذلك الحسين ابن طاهر لمناهضته في جم ابطال خراسان
ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها فحصره في قلعة ارك ودارت عليه الحرب ما طويلا فلم
يغن عنه فتيلا ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وجعل ابو الحسين العتبي يزيده عددا على عدد
وصعدا على صعد وكان من جملة القواد بها كنباش وبكتاش واخوه الحسين بن الملك
واضرابهم من اسباب تلك الدولة ووجوه انشائها ونجوم سمائها فطال هناك تواقفهم
وقصر عن المراد غناؤهم لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسد وده واعيا
الخندق المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا وعلى الراجل ان يقطعه خوضا ولارصاد
خلف اياهم بفنون الحيل يقل استثباتها بالظن والحسبان ايهاما للبيات واطلاعا من
مامون الجهات وقذفا بحرب الافاعي عن افواه المجانيق والعرادات حتى اضطروا

بذلک الی الارتحال والتنقل فی المضارب والمحال وبقوا هنالک قرابة سبع سنین
علی هذه الجملة حتی فنیت الرجال ونزفت الاموال وذهبت الحرایب وعطبت المطایا
والرکایب وکانت هذه من اوایل الوهن علی تلک الدولة ومن هنالک وهی العقد
وانبثق السکر وتزاید الفتق واتسع الخرق ولکل امر امد ولکل امة اجل ولکل ولایة نهایة
یمحو الله ما یشاء ویثبت وعنده ام الکتاب وتذاکر ارکان تلک الدولة فیما بینهم الحال
لزوم صاحب الجیش ابی الحسن مکانه من نیسابور کلا علی صاحبه لا ینهض خصما ولا یجیر
وصما ولا یفتح سدا ولا یحسن ردا ولا یغنی فی مصالح الدولة یدا وتناضلوا بینهم ما کان
الامیر السدید یضطغنه علیه لالتزازه بالمکان وخموده عن نصرة السلطان ونبوا آرائهم
علی صرفه والاستبدال به وکتب الیه فی الصرف وقلد ابو العباس تاش ما کان الیه
من الامر فلما ورد الرسول علیه وادی ما حمله علی رؤس الاشهاد الیه ابت علیه
الحمیة خطة الهون ولقنته الانفة کلمة العصیان فطارت نعرة الخلاف فی راسه فادعی
الامر لنفسه اتکالا علی فرط قوته وباسه واعتزازا باولاده واعضاده واستظهارا بحوشیه
واجناده ثم تبیت التدبیر وخمر الرای والتفکیر فلم یرض بان ینتقل الالسن ذکر استعصائه
علی شیخوخته فی الدولة وتناهی مدته فی الخدمة وتصور ما یتبع الخلاف من رکوب المصاعب
التی تجتنب النفوس حمامها والعیون منامها والاموال المذخورة نظامها الی ما فیها
من التعرض لمکروه النوایب والتحکک بمحذور العواقب فرای ان قبول الضیم

علی السلامة من لواحق الآفات اقرب الی الصواب وابعد من المعاب ثم دعا الرسول
واستقاله عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعا بفرط الخشوع والضراعة وقال انما
انا نبعة غرسها السلطان بیده وسقاها بماء کرمه فله المشیة فی استبقائها للاثمار او قطعها
والقائها علی النار وصرفه علی حملة الطاعة ولین المقادة والبدار الی حیث یجلی الیه
من دیار المملکة وتلطف لتسکین من کان یقیل فی ذروه من اهل بیته واولیائه بتسویله واغوائه
فعل من استشف ببصیرته استار المغایب وانفق عمره فی تجارات التجارب ونهض
الی قهستان منتظرا لما یستانفه امره ویقرر به تدبیره الی ان منی فی بحر خلف بن احمد
لاعضال دائه وتجهیز العساکر لطول ایامها بفنائه فبادر الی سجستان وبینه وبین خلف
بن احمد مودة مؤیدة واسباب علی الایام مؤکدة فافتتح الرای علیه بالنزول لحسین بن
طاهر عن متحصنه والانتقال الی غیره من معاقله لیتسبب هو ومن کان من قبل
محدقا به من اولیاء تلک الدولة الی الانصراف عن جنابه بعلة الافتتاح وظاهر النجاح
فاذا اخلا وجهه له ثنی العنان الیه مستصفا منه وممضیا حکمه فقبل مشورته وفارق
ارک الی حصار الطاق حتی دخلها ابو الحسن بن سیمجور وصلی الجمعة مقیما رسم الخطبة للامیر
الرضی وطالعه بذکر ما فتح علی یده وسناه من نجاح ذلک الامر بجده وجهده ورتب
الحسین بها امیرا وقرر اعمالها علیه تقریرا وانصرف هو وراءه ونسور وذکر ما جری من
امره بعد فی موضع مثله

ذكر حسام الدولة تاش وانتقال زعامة الجيش اليه

ثم سير ابو العباس تاش من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش وزعامة العساكر
وتدبير القاصي والداني من امور الممالك ووصل جناحه بفايق الخاصة ونصر بن
طغا الشرابي وبني مالك على فخامة اخطارهم وجلالة اقدارهم وسير تحت رايته اعيان
الاولياء والحشم بعد ان ازيحت علته فيما شاء واقترح من الاموال والاسلحة والعتاد
والعدة فوردها للنصف من شعبان سنة احدى وسبعين وثلثمائة في آلة زاغت الابصار
وهيبة انجبت النظار وجيوش شحنت الجوانب والاقطار فدبر الامور بصرامته ونظم المنثور
بفرط حزامته وتألف الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الايام انقطاع شمس المعالي
قابوس ابن وشمكير وفخر الدولة ابي الحسن علي بن بويه الى نيسابور عن حرب جرت بين
مؤيد الدولة بن بويه وبينهما وسببها ان عضد الدولة ابا شجاع كان قصد فخر الدولة — ذكر حال قابوس و فخر الدولة
وهو اخوه لاجلائه عن ولايته التي كان ابوه ركن الدولة اوصى بها له وعقد الوثيقة على
كل منهما بها على الجملة التي اشار اليها ابو اسحق الصابي في كتابه المعروف بالتاجي ودس
الى اهل عسكره من استمالهم عنه واغراهم به فلما ناهضه وهو اذ ذاك بهمدان وتدانت الخطى
بينهما خف معظم جيوشه الى عضد الدولة مستأمنين وولوه اعقاب الغدر بهم فلما
آنس خذلانهم اياه وكفرانهم نعماه وبالامس ما قدر الى ابن عمه بختيار كيف قطع رحمه
وأراق دمه خالفه الى طريق الديلم هاربا على وجهه وناجيا بحشاشة نفسه ومتقيا

بركوب شعابها المضطربة وآجامها الاشبة ما حاذره من مس الطلب وكفر الاكراد
والعرب وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها الى جرجان حتى الم بشمس المعالي قابوس
لاجيا اليه ومستأمنا اياه فآمنه وآواه ومهد له ذراه واعطاه فوق ما تمناه واشركه
فيما ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذي طال ما ضنت النفوس بابتذاله وقادون له
من همم باغتياله وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك ان عضد الدولة ومؤيدها
ارسلا رسولا اليه سرا انه على شرط اموال تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في
يديه وعلى مواثيق تستأنف في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي السراء و
الضراء فوهم اليهما ان الرجاء جسم والوفاء كرم وان للامان عنده حرمة لا يرى اخفارها
في دين المروة وشرع الحفاظ والفتوة وعساه لو هم به اوكاد ان يابى عليه بعض المواضي
وزرق الاسنة والعوالي فاحفظهما بهذا الجواب وحرضهما على المكاوحة وانتزاع
مملكته من يديه وكتب ابو شجاع الى اخيه مؤيد الدولة بمناهضته بعد ان امده بما فوق
الحاجة من بهم الرجال ونفائس الاموال فبرز من الري متوجها نحو جرجان في جيوش
الديلم والترك والعرب وصار الى استراباذ متغلبا على كل ما يرده من بلاد طبرستان
الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي قابوس بادره اليها وجمع عسكره بها فلما تلاقيا
تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس الى الزوال حتى احمر بساط الارض من دماء
الابطال ثم انجحت على عسكر الجيل كشفة اعياهم ضبطها لزوال الاقدام عن المقام

فتفرقت جموعهم في غمر الغياض والآجام وعطف شمس المعالي الى بعض قلاعه المشحونة
بذخاير امواله واستظهر عنها بالاهبة للغزو وصار نحو نيسابور فلما وردها لحق فخر الدولة
من طريق استوا فالتقيا هنالك واجتمع اليهما من فرقتهم الكسرة في الطرق المختلفة
من طبقات الرجال وكتب الى الامير ابي القاسم نوح بن منصور والى خراسان لحالهما
في قصد دولته وتأميل الانتعاش بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا عليه من الولايات
بعز دعوته فورد عليهما من الجواب الضامن للايجاب ما شرح صدورهما وشد با
لنجح القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما واكبار قدومهما واكرام
جوارهما وتقديم الاحتشاد لردهما الى ديارهما ففعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم و
عطفت اليه اعنة الخيول من كل وجه حتى استظهر بنخب الرجال وعزم على الارتحال ونهض
من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مؤيد الدولة بن بويه بها لتنزع ولاية
الامير شمس المعالي اولا من يده ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره وعن له ان يسرح فايقا
على سمت قومس والري ليقطع الامداد والمواد عنه ويلتبس اخبار تلك الديار عليه فيزيده
شغل قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واحداقهم به من جانبين فنهض على السمت
المذكور ثم بدا له فيما دبره ورأى ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب
ومن الحزم والاحتياط اقرب فاسترده من وجهه الى آزادوار فاجتمعا على التضافر
واتفقت آراؤهم على التساير وسار حسام الدولة تاش في تلك العساكر الى باب

التحزب التجمع
آزادوار قصبة بشهر جوين

جرجان وفيهم شمس المعالي وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها وتحصن مؤيد الدولة بن
بويه بها واحتجز بخندق قعره ومخرق غوره وبروج للبلد حصنها ودروب بحفظة
الرجال شحنها ودامت بهم الحروب حتى عبر شهران كيوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة
السلاح وضاق الطعام في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على الثبات
قوتهم فكانوا يرزؤون من نخالة الشعير المعجونة بالطين وعهدي بهم يدرجون كتبهم الى
اهاليهم بالري اشباه الفراريج في النزال اظهارا لشكوى الحال والهزال فكانت
كاقراص المداد في السواد وزحف الفريقان بعضهم الى بعض فكان فخر الدولة على الميمنة
مقابلا لعلي بن كامة صاحب جيوش مؤيد الدولة فاظهر الغناء واحسن البلاء و
حمل عليه حملة زحزحته عن مكانه كليما وطرحته الى استراباذ هزيما ولو عين بمدد في الحال
لفسح ضيق المجال وجعلها آخرة القتال لكن القوم نافسوه فخذلوه لا جرم ان كوكبة
من كتايب الديلم عطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش الخراسانية
فطبقوا عليهم حبالة الاسر ثم عرضوا عن آخرهم على السيف وورد بعد ذلك على
ابي العباس ابو سعيد الشبيبي في رجال من جنود خوارزم اجلادها وقواد الضرام وابناء
الشهامة والتمام فاقترح الحرب بينهم فلم يضعوا نبالهم الا في منافس الاشداق
ومواضع الثغر والاحداق وافشوا العور والقتل في الديلم يومهم ذلك و
لم تزل الحرب تقوم منهم على ساقها ظاهرة وغبا فينتصف البعض وكان ابو الفضل

الهروي المنجم اشار الى مؤيد الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة
عليهم منجحا او مخفقا فاثر ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان
سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعساكر اخيه على اختلاف اجناسهم وكان اهل
خراسان يظنون ان حربهم تلك عارض تنقشع عن قريب على الرسم في مثلها فلما
راوها غمارا كالماء وشاهدوها غمارا اذا اقبلوا عليها مضطرين فاذا الامر جد والخطب اد
والحد حديد والباس شديد وبرز الديلم من وراء الخنادق الى العرا مخرجين من جهد
البلاء وضنك البؤس واللاواء فاستعرت وقدة الحرب ودارت رحى الطعن والقرع
وتحدث الناس بان مؤيد الدولة قد خبث فايقا واضرابه بمال حمله اليهم سرا واطعمهم
في اشاله حيلة ومكرا وواطاهم على التساهل في الحرب لليوم المرقوب والاجل المضروب
فلما حمل عسكر الديلم من تعبيتهم ولوا اولئك ادبارهم نفورا وثبت حسام الدولة تاش
وفخر الدولة في القلب يتضاربان بالسيوف والقراكنيات ويرددان الحملات المتداركة
بصدق النيات في الثبات الى ان القت كل منهما في كافر وقد انهزمت الجيوش
وتفرقت تلك الجموع فحدره فخر الدولة فصل المقام لتكاثر الاثقال من كل وجه عليه وتوجه
الاطماع من كل اوب اليه فانقلب اذ ذاك يريد المعسكر فاستخيب في منقلبه قوائم
الفيل الذي كان حصن القلب في بعض تلك المخاضات واعجله الامر عن التوقف لاخراجه
واخراجه فتركه على حاله ونجا براسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه من الاموال المعدة والاسلحة

المنضدة

المنضدة والغلمان الحصارية والغلات المجموعة ومضى على حاله الى ان جاوز نيسابور
فدخلها ومن معه ليلا وكتب الى بخارا بخبر الوقعة وما حدث من الرجعة فعاد الجواب بتقوية
الآمال وتمنية الرجال وتهيئة الامداد والاموال وطير الصاحب اسمعيل بن عباد كتبه
في الاطراف ناطقة بذكر الفتح على ما نطق به رسائله وانشدني الشاعر البجلي لنفسه في مؤيد
الدولة من قصيدة

ما بال غيرك في هيجاء ملحمة — مذكورة آل سامان وسامانا
فاكتب لمن ببخارا انه فلقد — غادرته عند نوم الناس يقظانا

والبجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد العارضة فانقطع الى شمس
المعالي بجرجان في آخر ايامه فعرض في جملة حاشيته الى ان قضى نحبه فمن شعره من قصيدة
قوله

له شيمان تذكير بخيرهما — وللمؤنثة النقصان ملتزم
ازرى بتلك سنا من غير معرفة — فيها وزين هذا العلم والكرم
يا ايها الملك الميمون طايره — وخير من في الورى تمشي به القدم
لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا — لما تهدى الينا الشيب والهرم

ووصف ابو الحسين الجوهري الفيل المقبوض عليه في الحماء اللازب وذلك بالتماس
الصاحب اياه وغيره من الشعراء وقصته ذلك انه لما حصل ذلك الفيل في اثناء الوقعة

اشار الصاحب الى شعر انه يوصفه على وزن قول عمرو بن معديكرب بقصيدة اولها

وهو اعددت للحدثان سابغة وعداء علندا

قل للوزير وقد تبدى يستعرض الكرم المعدا ... افنيت اسباب العلى حتى ابت ان تستجدا

لو شئت اخجلت السحاب لما تطرّد كرما ومجدا ... لم ترض بالخيل التي شدت الى العلياء شدا

وصرائم الآراء التي كانت على الاعداء جندا ... حتى دعوت الى العلى من لا يلام اذا تعدى

متقصيا بيد العلوج وفطنة اعيت معدا ... متعسفا طرق العوالي حيث لا يسطاع قصدا

فيلا كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا ... مثل الغمامة تمت اكنافها برقا ورعدا

رأس كقلة شاهق كسيت من الخيلاء جلدا ... وتراه من فرط الدلال مصعّر اللحيين خدا

يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا ... متمددا كالافعوان تمده الرمضاء مدا

او كم راقصة تشير الى الندمان وجدا ... او كالمصلب شد جنباه الى جذعين شدا

فكانه بوق يحركه لينفخ فيه جدا ... يسطو بنابين يخطهما ان الصخر هدا

اذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا ... عيناه غائرتان ضيقتا تجمع الضوء عمدا

فكانه كفومة الخليج بملوك طول الدهر جعدا ... تلقاه عن بعد فتحسبه غماما قد تبدا

متنا كبنيان الخورنق بالملاقي الدهر كدا ... ردفا كدكة عنبر متمايل الاوراك نهدا

ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا ... يخطو على امثال اعمدة الخباء اذا تصدى

او مثل اميال نضدن من الصخور الصم نضدا ... متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا

٣٢

متملكا فكانه متطلب ما لا يؤدى ... متلفعا بالكبرياء كانه ملك مفدى

ادنى الى شيء البعيد براد من وهم وهدا ... اذكى من الانسان حتى لو رأى خللا لسدا

لو انه ذو لهجة وفى كتاب الله سردا ... عقة ارض الهند حتى حل من بهو بزندا

قل للوزير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا ... سبحان من جمع المحاسن عنده فردا وبعدا

لو شئت اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا ... او سار في افق السماء لابتنى بهرا وودا

يا ايها الملك الذي اجدى وعلم كيف يجدى ... ما بال عبدك لا يرى لتاخر التشريف حدا

برد الزمان وليته مما يلاقي مات بردا ... قد صد عني بلكم الا احاشى ان تصدا

وهرمز بهرجان الذي جرت ملك الحروب على سواحله وهو يستوى في ارض جرجان تلوى الحيات كثير الاوديات والعطفات ومنابع عيون جبال وانهار زارية تخضب العين سيحها الى العين حتى تملأ النهر وتديمه الصخر ووصل ابو الحسين العتبي كتبا الى ولاة الاطراف بجرجان في استنهاضهم واستنفارهم لينحدروا الى مرو ويجتمع معهم بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيب من رجال خراسان على رفو ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز واستعادة رونق الملك واقبل يستعد للامر بجهده وتواصل الكتب الى نيسابور بجميل وعده وخلع الرضى خلعو جمع له بها من تدبير الاقلام والقواضب واضافه الى زمرة الكتاب من ارباب الكتاب و كانت خلعة خالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة لامره قاصمة لظهره وذلك لان ابا الحسن سيمجور

كان شكوا الى فايق ما دهاه من قصده اياه حين عزله عما يليه وكاده فى نفسه وذويه ولم ينفك
رصده بالغوايل ويطلبه بوجوه الاوطار والطوايل الى ان اثار فايق عليه طايفة من
الغلمان السديدية الذين كانوا رؤس اضرابهم فى السفه والشغب والتحكم فى المطالب
بفرط القوة والغلب ودس اليهم من اغراهم به بنفايح تجزها اليهم حتى تؤامروا بينهم
على قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوه بخاراعمن يحميه او يحامى عليه واحس ابو
الحسين بما دبر من الامر واشفق على نفسه مما استطار من شرر الشر فشكا الى الامير الرضى
صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال فبعث اليه بعدة من القواد لمرافقته الى الدار
اجارة له مما كان يخشاه وصيانة لروحه عما تحاماه فسامع طايفة من المشركين فى
التدبير عليه بخبره فطاروا باجنحة الركض على اثره ووضعوا فيه السيوف والذباب
حتى اثخنوه ضربا وحطما ورضا وقصما واشفق من كان فى مسايرته على انفسهم فخذلوه
واهملوه فكان مثله كما قيل

كليه وجريه ضباع وابشرى ... بلحم امرى لم يشهد اليوم ناصره

قسنر وترك على الشارع صريعا مخ دما بجيعا وعندهم انه وان ليس للحياة اليه سبيل ونقل كما هو الى
باغ قريب من مصرعه ليراعى ما تحدث من الراى فى غده فلما غشيه تموج الظلام وهب عليه
رخاء السحر اتته سمعها الباغبان فبادر اليه فاذا به رمق قلق ونفس مختنق فسعى الى
دار السلطان مخبرا بثبات حسه واضطرابه على نفسه حتى امر بنقله الى القهندز والزم الاطباء

المشارة

المشارة عليه طمعا فى انعاشه فاستصعب دائه على الدواء وقضى الله على عمره بالانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر عديم المثل فى سعة الرحل فقيد النظير فى الفضل الغزير لم ير فى كتب الاولين ان احدا من الوزراء اتسعت همته كهمته لمشاطرته على مروته ومنازعته فضل افضاله وفتوته سماحة كالغيث يقذف بالوبل والريح تعطف بالرمل وسياسة خفت لها جاذب الليل وغصت بها اشاء السيل وانشدنى ابو جعفر البحاثى الخازن لنفسه فيه يرثيه

لهفا عليك ابا الحسين رميتك عين الكمال ... جرعتنى غصص الجوى وارتنى يوم الحسين

ولبعضهم فيه وقد زار قبره فى جماعة من اصدقائه

مر على قبرك اخواننا ... وكلهم قد هالهم شأنكا
فلم يزيدوك على قولهم ... عز على العلياء فقدانكا

وقد كان حسام الدولة وشمس المعالى وفخر الدولة بنيسابور على انتظار معونته واستفاضة ما استقر لهم من عدته فحدثنى ابو النضر العتبى خالى وكان على البريد بنيسابور قال دعانى ابو العباس تاش آخر نهار يوم فلما وصلت اليه وجدت الثلاثة يتناضلون بينهم الاراء فى معاودة الحرب واستيناف معالجة الخطب فخلطونى بانفسهم فيما تبادلوه وسئلونى ان انهى الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم لمعونته واستعدادهم للبدار الى امره واقبل على شمس المعالى من بينهم فقال لى ذلك الصدر بان الحروب لم تزل

اكتب

بين الرجال سجالا وانها تستصعب مرة وتصحب اخرى والحازم من يستفتح باب الظفر فالنجح يتلف بين العجز والضجر واضرب له ابيات المتنبي مثلا

يرى الجبناء ان العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
اذا ما كنت في امر مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في امر عظيم

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله وورد عليهم بعقب ذلك نعي ابي الحسين فاوسعهم وجوما ونثر عليهم من التدبير ما كان منظوما وورد على ابي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته الى الباب لتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل فاغتنم البدار وسار حتى ورد بخارا فرتب الامور ونظم المنثور وتتبع الجناة على ابي الحسين فطعنهم بالقتل والتدمير وعمهم بالنفي والتسيير واستوزر ابا الحسين المزني فعمل بالتدبير ووحل في التقديم والتاخير لتهافت الاعمال واستبداد آخرين عليه بالايراد والاصدار وقد كان ابو الحسن ابن سيمجور انكفا عن سجستان الى خراسان من غير امر صدر اليه اشترافا لنجوم الفتن وانتقاض الاعمال بتراجع العسكر عن باب جرجان ونشر النفاق سوقه فيما بينها فكتب اليه ابو الحسين مقبحا اليه فعله وناعيا عليه عقله وسامه ان يعدل الى قهستان متنذرا وعن طلابة الاعمال متورعا وان يسلم انباء الدولة الذين هم في جملته وتحت رايته الى ابنه ابي علي على انبياء وسجستان فيكفي امرها ويلم شعثها ويرأب صدعها

دجهر

وجعل بادغيس وكنج رستاق برسمه على ان يزاد في توليته وجبايته متى عرف في الطاعة صدق نيته وغنائه ولما استقر ابو العباس تاش ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه وعن المناضلين دونه فراسل فايقا يريده على مخالفته والجهار بمنابذته ورفض الرضا بامانته فوجده سمح القياد الى المراد طوع الزمام الى القياد واجتمعا بنيسابور على توكيد العقود وابرام المواثيق والعهود وبدا ابو علي بمصادرة عمال ابي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم من امواله وارتفاعات اعماله ثم نهضا الى مرو سدا دون الولايات وحجابا دون الاموال والارتفاعات حتى اضطر تاش الى مناهضتهما ومداواة ما استفحل من شرهما وكفاية ما اهم من امرهما واستفتح الخزاين من ذخاير الاموال ونفايس الاسلحة والاثقال وبرز من بخارا الى آمل الشط فخيم على طرف الرمل وتردد السفر فيما بين الفريقين على حفظ نظام الالفة واستبقاء حمى الدولة واخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق على ان يكون نيسابور لتاش وبلخ لفايق وهراة لابي علي وتفرق كل منهم على رأس عمله وللخوارزمي في ابي علي وقد حصل بهراة

تهنى بالامير هراة اذ قد علي من ان يهنى عن هراها
وكيف تهنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا احتواها

وانحدر ابو العباس تاش الى مرو وقد كان قبل فصوله من بخارا توصل الى عزل المزني

المنابزه المحاربه

عن الوزارة بابي محمد ابن عبد الرحمن الفارسي المولى كان لامور كذخدمته لما تبينه
من ميله الى ابي علي وفايق وادهانه في امرهما فلما استقر بهم وصرف عبد الرحمن
بعبد الله ابن عزيز وهو المعروف بتعنت ال عتبة ومشاحنتهم ونصب العداوة لهم
ولصنايعهم وحرق الارم عليهم فبدا بصرف ابي عباس تاش عن قيادة الجيوش
ونقلها الى ابي الحسن ابن سيمجور مضادة لابي الحسين العتبي في تدبيره ومداركا
بزعمه لما وهي من اصل تقديره وتقريره وامر بالكتاب عن السلطان اليه في
نقل العمل عنه وتعويضه كورتي نسا وابيورد منه والايعاز اليه بالاستداد اليهما و
الاقتناع بهما وحذف عنه خطاب الزعامة واقتصر ما كان موسوما من الجلالة فلما
وصل الكتاب احس بامارة الشر ودلالة الخلل والخرو وعلم ان ذلك فاتحة الخطب
عليه والتشفي منه والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله فاستحضر وجوه القواد
واعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دابه وديدنه في طاعة سلطانه ومناصحته
والاخلاص لدولته والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما وحديثا من نعمته
واقالة مدة مصاحبتهم اياه عليهم بحسن رعايته ورفق رعايته وايالته نيابة عنهم
في تنجز اوطارهم وتزيين مساعيهم واثارهم ومواساته لهم بما اتسعت يده من خا
لص ماله وحاضر ملكه وانه اليوم في نفسه ومهجته مقصود وعن باب مالكه وولي نعمته
مردود ولا منع من جهته لاحد منهم عن رايه واختياره في معاودة بخارا

او اللحاق

او اللحاق بابي جانب شاء فليختر كل منهم ما احب غير منازع في قصده ولا
مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون من ورائهم من اهل العساكر صورة
الحال ويعرفون ما عندهم من الراي في المقام والارتحال وتجمعوا بعد ذلك
دفعات متباعدين في الاختيار مرة ومتقاربين اخرى الى ان اتفق كلمتهم على موافقته
وترك مفارقته والاذعان لرياسته ومرافقته على ما تقاضاهم الزمان به من سلم وحرب وذلول
وصعب وسهل وحزن وسرور وحزن وخوف وامن وكاتبوا الى بخارا سائلين رد الزعامة
عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في تحقيق مسالتهم واستبقاء لوجوههم ماء طاعتهم
فابى ابن عزير ان يقع لهم نجاح او يتم من اولياء الدولة صلاح وكتب اليهم مستميلهم الرو
وتريهم الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة
الحضرة تطميعا لهم وتحقيقا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا البصيرة
في طاعة ابي عباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا بتصاريفه وتحوعا له في وجوه تكاليفه

ذكر معاودة فخر الدولة الى مملكته وموافقته مع حسام الدولة تاش وما اتفق
بينهما بعد مرجعته من المكاتبات والمعاودات الى آخر حيات حسام الدولة

اتفق بعد معاودة ابي عباس تاش الى بخارا ان قضى مؤيد الدولة نحبه ولقي ربه و
قبل انقضاء الحرب التي كانت بينهما ما دها وانجز بموت عضد الدولة اخيه فما تماسك
عن اظهار المصاب عناه بالخطب امه حتى تكفيه بحفيظة المرة وتقضيه بعزيمة المستمرة

وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد في الرياسة مسده فاشار الصاحب
اسمعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن في ذلك البيت احق بالامارة واتم استقلالا
باعباء الرياسة والسياسة سنا وكفاية منه فطيروا البريد اليه في البدار الى ما اورثه الله تعالى
من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا لا منة لاحد عليه ولا حق يحتم لسانه شكره العقد اكرم كم
واستخلفوا اخاه ابا العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المتاود
الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتوفى عنه تحريا لنشر رايه ونيله فبادر فخر الدولة
من نيسابور الى جرجان تطاير البرق بين نواحي الافق فاستقبله العسكر خاضعين وعلى
صدق الموالات متتابعين وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا ما اوصى له به ابوه وسائر
ما كان تدبره اخوه وكذلك يؤتي الله ملكه من يشاء وينزع ممن يشاء وهو الفعال لما يريد وانشدت

لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة

ولو قبل الفداء لكان يفدى ... وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون ... تكد لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس ... برغمك دون ثوبي حداد
اذا قدمت خانة الرزايا ... فقد عرضت سوقك للكساد

وقد احسن ابو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة يرثي فيها مؤيد الدولة ويعزي
يعني فخر الدولة

وقد جاءت الدنيا اليك كانها ... طفيلية قد جاوبت قبل ان تدعى
صببت بك عشقا وهي معشوقة الورى ... فقد اصبحت قيسا وعهدي بها ليلى بهام
فلما رأت خطابها وكتبهم ... فلم ترض الا زوجها الاول الاولى
ولم تتمايل في الكفي ولم تقل ... رضيت اذا ما لم يكن ابدا مغرى
على انها كانت تحنك تدللا ... فخليتها حتى اتت تطلب الرجعى

وكتب الى ابي العباس تاش يذكر ما اصاره الله اليه واعلقه يديه وان ذلك كله موقوف
على احكام مشاركته ومصروف الى اقسام ارادته وانه لم يرتح لاستجابة ابهة الناقد
واعقاب دولته العالية ارتياحه لما يمكن به من معاضدته على مصالح احواله و
مرافدته على مناهج امانيه شكرا لما كان مهده من مبارة قبله وقدمه من جهد في
ايثار الخير به وارشاد النصح له فاجابه عن مهنيا مما اتاحه الله له من كريم صنعه وزفه
اليه من هدي ملكه وشاكرا له ما اوجبه ورآه وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه انه
سهيمه فيما يليه على ما يحويه وان امره ممتثل في كل ما يرومه وينتحيه فليبن
امره على ما يقف عليه اقتراحه منتظرا لما يقتضيه شركة المفاوضة من التقسيم
بالملك والمال وتسريب الرجال في اعقاب الرجال وكان قد نهض
ابا سعيد الشيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ابي قبل فخر الدولة رسولا
فصرفه في العاجل بقدر من المال ورهاء الف فارس من سرعان العرب

والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق موليا
لابي عباس تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا
على التكانف والترافد وانحدر تاش الى نيسابور فسبقه عليها ابو الحسن والحاني
المقيمون بها انتظار الوصوله في سواد خيوله ولحق بهم فصارت الايدي
واحدة والقلوب على الاخلاص متعاقدة وقصد باب نيسابور من جانبها
الغربي فخيم بظاهره وناوش ابا الحسن الحرب اياما عدة وهو متحصن بالبلد
ودروبه ومحتجز بالتضييق مداخله وسدوده ولحق بابي عباس تاش زهاء الفي
رجل من خلص الديلم ونخب الاكراد يقودهم ابو عباس فيروزان بن
الحسن في كبار القواد ممن يعزمون على الزبر ويدخلون ولو حزت الاروفلما
احس بانا خيتم علم بوتهم على حرب المضيق واعجازهم باطراف الزانات
والمزاريق فاتخذ الليل جملا وترك البلد هملا وسار يريد قهستان ساترا عورة
الانهزام بلباس الظلام وسمع عسكر ابي عباس بخبالهم فشدوا على اثارهم
واثقالهم واصابوا منهم غنائم موفورة وانفالا غير محصورة ودخل ابو
العباس تاش نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب الشرقي
حميد الظفر رضي الاثر وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة

قل للذي انا في هواه خاشي ‏ ‏ ‏ ‏ صاد الفواد بصدغه الحماشي
صدغ يري عند المزاح كانه ‏ ‏ ‏ ‏ قلب ابن سيمجور احس بتاش
ان الشتاء مضى بقبح فاش ‏ ‏ ‏ ‏ وانتاش ابناء الكرام بتاش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله ‏ ‏ ‏ ‏ واتى الربيع لنا بحسن رياش

ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة والاستقالة
والضمان لانف الطاعة وعرض الملك والنفس لسان الضراعة فلجت بابن
عزير صلابته في عداوته الى غيته (سنه الى عينه) دون مغايظته ومعاداته ومعاندته و
طفق يخفق على الامير الرضي ووالدته التي كانت كافلة بالملك ان تاشا
معتصم بالديلم وقاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من عنانه
فيما يستدعيه وجب التعري عنها والتكبير عليها حتى ظنا ان الامر كما زعم
فوكلا التدبير اليه وجعلا رباط الخير والشر بيده وقد كان اروي لصديق
لي في تلك بيتين لابن معتز سمعتهما في الشباب بها

شيئان لو بكت الدماء عليهما ‏ ‏ ‏ ‏ عيناي حتى توذنا بذهاب
لم تبلغ المعشار من حقيهما ‏ ‏ ‏ ‏ فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وصياغتهما للحسين
على المروي

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما   راي النساء وامرة الصبيان

اما النساء فميلهن الى الهوى   واخو الصبا يجري بغير عنان

قلت قد انصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان ويسجل بصحته الامتحان وابى الله ان يكون ظير في شفقة الام وخال بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب ووزير بمحل الملك الغالب المستبد برايه الصايب واهمل ابو العباس تاش ما اهمه من امر ابي الحسن سيمجور وقصد مداراة لولاة التدبير نجاحا واستمالة لهم واستدراجا بهم وامساكا للوحشة من الازدياد وصيانا للقرح من الامداد وهم فيما بينهما يستلبون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة الامهال والامهاء ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستعداد ومداومة الاستمداد والاستنجاد وكتب ابو الحسن ابن سيمجور الى ابي الفارس ابن عضد الدولة بفارس فامده بالفي فارس من نخب الاعراب وانضم اليه فايق في خواص غلمانه وساير من استجاشهم من اطراف خراسان وكروا باجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص بها عرض الجبوب فضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب فلما قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه عليه ومساورة الحرب عن ظهر منعة واقتدار وحال نجدة واستظهار فعارضهم ابو العباس في ميسرهم بعبد الله ابن عبد الرزاق وابو سعيد الشبيبي وخواص غلمانه وناوشهم

الجبوب الارض او وجهها

الحرب

الحرب من حيث متع النهار الى ان صارت الشمس كعين الاحول وظلت حملاته تحطمهم حطما وتوسع اركانهم هدا وهدما وكانت المجاعة بين سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج منهم صدورهم واقنع بالاخجال جمهورهم ايثار الفسحة المضطرب والخلاص عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدرها خاتمة القتال وآخرة النزال فتلقاها ابو الحسن وابو علي ابنه بشكائم قوية وعزائم في الثبات صرية وردوا مطلقات الاعنة مشرعات الاسنة ووردوا مشرعات الزحوف مرهفات السيوف فلما انقلب الى مقامه وقد تفرق في تلك الحملة عنه سواد حماته وخفقة راياته شدوا الحملة عليه دفعة واحدة فاضطروا الى الانهزام واسلام المقام وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فايق حتى زعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فداعوا الامان من قرع السيوف خلاصا من انجمة صهوات الخيول فجمعوا في بيت الاسار على حال الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا في الجواليق آية ونكالا وتشفيا ممن ساقهم الى خراسان ارسالا فاستقبلتهم المخانيث بالدفوف والمغازل بدلا عن السيوف والعوامل وامرهم الى محابس القهندز الى ان اقتسمتهم الايام

ذكر وصول حسام الدولة حماه ونجاه تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن السيمجور بنيسابور على قيادة العسكر

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان فقصل عنها فخر الدولة متوجها نحو
الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة محفوفة بالفرش الفاخرة و
الخزاين العامرة والأهب الوافرة حتى المطابخ بما فيها من الآلات
الصفرية والأواني الذهبية والفضية وتقدم بان تسلم اليه خزانة كان قد
اعدها للحمل اليه قبل الكشف تشتمل على خمسين الف دينار والفي الف درهم وخمسمائة
تخت من الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس وجياد المراكب و
الدواب واعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع و
جواشن وترسة وزانات اكثرها مغشى الظهور والنصب بحلى الفضة والذهب
وسوغ له دخل جرجان ودهستان وآبسكون واستراباد الا قدرا كان
مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق مستحفظيها من الخواص فامر ابو العباس
تاش بتفرقة تلك المبار والاموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الاجناد
حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل لهم الاقامات والاطماع حتى ارتاشت
احوالهم وخصبت رحالهم فصاروا بجرجان احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة
وانعم بالا وجعل فخر الدولة يتابع المحمول اليه من طبرستان زيادة في
تاثيل احواله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا ينفس على اخيه بفاير
بابويه ولا يضن على صديقه بتحليل ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب يستشرف

ما يوجبه

التجافيف جمع تجفاف

النصب السكين

ينفس عليه

تعش ارتاش
اى حسنت حاله

ما يوجبه من الاحسان والمواسات ومواصلة الصلات والكرامات
ومن قبل ما نصح له في استعراض خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما ا
ختاروه من مسالمتها واغتنام السلامة عنها فقال له ذات يوم ان
حقوق ابي العباس علي من ثمرات هذا الملك حتى لو حل له عروة هذا
القميص لوجدتني في ادنى درجات المكافات وايسر مراتب المواجب
واشار الى واحدة تكفيه امارة على ما اوجبه له ايام مقامه اشفاقا على
مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في حال غربته وهي ان اخويه عضد
الدولة ومؤيدها ارسلا اليه يبذلانه على اموال عظيمة تحمل الى جرجان
في كل سنة للسلطان اولا ولهما ثانيا بلطايف العراق من وشي الثياب
وقرة العتاق واغليا في الاستيام والتطميع حتى لم يبق للرد مجال و
لا للسان العذر مقال وانا اتاني خبر الرسالة فاستظلمت ضوء النهار
واستخشنت جانب القرار ويئست من الحياة على شفا جرف هار اذ لم يكن
في الهرب مطمع ولا في قوس الرجاء منزع وبت بليلة انقد ارى
الشر كان قد الى ان اصبحت وقوائمي متخاذلة واركاني متهافتة
خوف الاذن بالداء العياء والداهية الدهياء وانا في حاجة بعد
فراغه من الاذن داعيا وآدبا فلم ادر ادراع هوام ناع وآدب بخير

القرة كرائع جمع
اى ...

الانقد القنفذ

اى متساقطة

ام نادب وطالع ضيافة ام طارق فاقة وخمنت في القرى كناية على المحظور و
تورية دون القدر المقدور فركبت اليه وسيرغاني حيف مرة من نبابي على الى
ان حصلت في مجلسه فصادفت من حسن القيام وقوة الالتزام وفرط الاكرام
والاعظام وفضل البر والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم يكن
عهدته فيما مضى من مجالسه ومآنسه ومازال يرقيني مشيره ويسخرني بلطفه و
بره الى ان ثابت نفسي الي وانحلت عقدة الخوف عني وتطاير الهم عني ان
شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فنشرتها عن
انياب الاراقم واقداح العلاقم وحمات العقارب على الرسم المعتاد
من كيد الاقارب ثم اقبل علي فقال كنت على ان اكتم الامير صورة
ما ورد صيانة لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام ولكني فكرت في
حكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه طلع ما كتب والافضاء اليه
بحقيقة ما طلب املك لسكونه واوقع لطايره وانفى لخلاج الشك عن خاطره
واقسم بجميع ما تغلظ به ايمان البيعة انه لا يعدل خراج العراق باسره على
نفاسته قدر شعرة من بدنه ولا اثر من زينته وان جميع ما ملكه من صامت
وناطق وقاعد وقائم حتى فص هذا الخاتم وزر هذا القرطق وقاية
لمهجته ووقف على مصلحته ومعد لدرء الحوادث عن ساحته ومتبذل

الانعام

في الاشفاق له ممن نافسه في ملكه ونازعه حق ارثه حتى باذن الله في رده الى
بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم على الخصم يستحق من يسمح
بمثل هذه الاكرومة طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة وميل الى نيل
ولا تطلع الى وجه مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل دون ما
ينجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة لا اعرف للناس
نسياني هذا الحق العظيم وقد استسهلت طريق المكافات واستعنت
الله على حسن المجازات على ان الفضل لمن يسبق الى البر وان جهدت في
المقابلة وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون من هذا الكلام
والكرم المحض الذي عز سماع مثله في سالف الايام واعتقد الصاحب
من بعد لمصالح ابي العباس مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه
ويفيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس بجرجان ثلث سنين نائي الجنب
عن القرار جافي الجفن دون الغرار شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا على اصطناعه
واحسانه واشفاقا من تمادي حساده في ابعاده عن خراسان انكاره حق الولاء و
نزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء وجعل همه معاودة بخارا للاستيناف
الخدمة والسلامة من المذمة فارسل ابا سعيد الشبيبي الى فخر الدولة في الاستعفاء
على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن كردويه وعدة من اعيان القواد في

زهاء الفي رجل من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن فيروزان وهو بقومس
بصلة جناحهم والزعانة عليهم في ايرادهم واصدارهم والتصدر في ذلك
كله عن راي حسام الدولة وشاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وتارتي سلمه وقتاله وحمل في صحبته من المال لاقامات عسكره ضعف ما كان
خلفه عليه عند فصوله من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب نصر
لقراه وقرى القواد في صحبته كما قرى تميم ضيفها وجارها ابن الحضرمي حذو
النعل بالنعل وذلك انه امر به في صحن داره حتى اخذته السيوف يمنة ويسرة
حتى برد وعمد الى اخرين فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسد منافذ
السرب دونهم حتى اختنقوا بين حر المحبس وعدم المتنفس واقتات تلك
الاموال المحمولة والدواب المقوده راضيا شيمة الغدر وقاضيا على نفسه
بالخزي اخر الدهر وانفض الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على اخر
الى ان وردوها فقرروا الصورة وقرؤا الصحيفة المنشورة فورد من ذلك
على فخر الدولة ما اطار واقعه وهاج وازعجه وعلى حسام الدولة ابي العباس
ما اقلقه واكمده واضعفه عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة يذكر
ما راه من تجهيز الجيوش وتسييره الى استراباذ ليصير المقصود محصورا بين
ومضغوطا من كلا الجانبين الى ان ياذن الله فيه بالبوار والانتباذ الى

غيرها

غيرها من الديار فانحدر ابو العباس الى استراباذ وختم بهزارجان فافذ
نصرا ما قدم وحدث وما مر وخبث وراى الحين قد فغر فاه والسيوف تطلب
وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام وطفق
يكتب بالاعتذار الى الجانبين بانه كالعارك حياء مما ارتكبه وخجلا من عوار
ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستصفاح واستقالة ما تخبط فيه
بسوء الاختيار حتى كتب في بابه بانفس من خافه وكرم فخر الدولة
بقبول انابته رعاية لحق شيبته وقرابته وعاد ابو العباس الى جرجان على
ان استانف تدبير خراسان وكان فخر الدولة من ابن اخيه بهاء الدولة
لاحوال اختل منها بخته وترخص معها في المفروض من اجلال قدره ومحله
فانهضه في معظم جيوشه من احماله في اعمال خوزستان ومعه جنود في
جيوش الاكراد اولي البسالة والجلاد فسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة
السابغة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس فيروزان ابن الحسن نحو
البصرة لاستصفائها واستضافتها الى اخواتها فلما عبر نهر موسى
استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة اهل البصرة عليه فعبد منهم
خلق عظيم الى المسالك بينه وبينهم فبثقوا انهار الاهواز عليها حتى
عميت الطرق واعوزت المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات

حركة المرثة خاصة

ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم الاقبال
والادبار ووافتهم اقبال خيول من الموصل على عواذل الطرق لمظاهرة
المقيمين بالبصرة فلما اخذتهم ابصار اصحاب ابي فيروزان ورأوا فيهم عبائر
شوكة ووفورا ولّوا على اعقابهم نفورا وكان بدر بن حسنويه قريبا منهم
فلما رأى الكشفة جاءهما نغاوثبت بنفسه مدافعا فاعاد سدّ ما اختل ورمّ ما
اختل فاستمرت الهزيمة بهما الى فخر الدولة وهو بسوق الاهواز وشكوا اليه
ضيق الحال وتجمعوا على رسمهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الاول من
عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم واثرهم فانكفا بهم راجعا فانكفا رجع خورة ضعف وانكسر
الى همدان على ظاهر هيئة وقع التراضي عليها ومنها الى الري وذلك
في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة وعرض وباء بارض جرجان خارج
عن الحد في هذه السنة فهلك من اصحاب تاش ووجوه قواده و
اعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وساير حاشيته وغلمانه
خلق عظيم وعرضت له باخره علة صعبة ختمتهم به فمضى لسبيله رحمه الله
وقد كان اصحابه اوغروا قلوب اهل جرجان برسوم ذميمة ابدعوها
ومعاملات قبيحة اخترعوها واحقاد غليظة اودعوها فلما فشا خبر وفاته
صاروا يدا واحدة على اصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت الكبس غشيان الدار بغتة للغارة

كل

كل حجر ومدر وجعلوا القتل جفلى فانتظم الكبير والصغير والشريف و
المشروف في سلك القتل والتنكيل والابادة والتمثيل وشغل
وجوه عسكره دهاء المصيبة عن القراع والمقابلة بالجلاد والمصاع لقمعهم و
قهرهم واخماد جمرتهم واستكفاف معرتهم واقتضتهم صورة الحال
البروز الى ضاحي البلد لضبط الامر وضم النشر واتقان التدبير في
اختيار من يصلح للتأمير فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على ابي احمد بن
اخت له فقدموه وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم ما وجد في خزانة
التمحل الكسب والاحتيال الماضي مضافا الى ما امكن تمحله عشرية واحدة حتى هدأت فورتهم
وسكنت سورتهم وتوالى النفير من البلد بمد ايديهم الى عورات
نساء الخراسانية تعبثا وكيادا فحركهم الحمية للانتقام من اولئك
الرعاع والاغتام وركبوا على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار اولئك الاشقياء
للمقاومة اليهم متهافتين في الدار تهافت الفراش في النار فلم يلبثوا
ان حمل العسكر عليهم حملة واحدة كشفتهم عن رؤس بلا غلاصم وايد بلا معاصم
ونفوس بلا عواصم وفرشوا ذلك الفضاء بجثث القتلى متشحطين في
الدماء وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات وسلطت عليهم للايدي
بالغارات فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب مثله نكاية رادعة

وعقوبة وازعة قامعة وعندها ارسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون
الامان ويناشدون الله والايمان فكفوا عن القتال وانكفوا الى الرحال
فسكن نابض تلك الفتنة ووقع طاير الهيج واللوثة واختلف العسكر في
الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة الى خراسان واستحب الدارية
الانقطاع الى فخر الدولة والاختصاص بخدمته فكتب الصاحب اليهم
اجمعين بالتوقف ريثما يلحق بهم الاستاد ابو علي فيطلق لهم اموالهم
ويحقق في الولايات وزيادة الاقطاعات امالهم فحفزهم حب خراسان
عن التوقف واعجلهم طول العهد بالاوطان دون التثبت فساروا
على سمت الوعد معاودين نيسابور للاتصال بابي علي ابن سيمجور و
هو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه واقام الباقون من الدارية
الى ان وردها الاستاد ابو علي فاستعرض واثبت اساميهم واطلق
اموالهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة بنقلهم الى الدار وتوخيهم على الرسم
في امثاله لمزيد الاكرام والايثار رعاية منه لحق ابي عباس تاش من جانب
واستظهارا بهم من اخر وقد كانت الجرجان تموج بالغاعة وذوي العيث
والخرافة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم فوضع الاستاد ابو علي الارصاد
لهم وبث العيون عليهم وقتل من حصل منهم بواحد بعد واحد زيادة على ثلثة الاف

رجل صلبا وصبرا وحيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته واستفاضت هيبته و
استقامت اموره وصفت جرجان في ايامه ممن يعيق في فساد او يحكم بغير استقامة

ذكر ابي الحسن بن سيمجور وامارته في خراسان وسداده الى زمان وفاته ووصول منصبه الى ولده ابي علي

واستقامة ولايته وقراره بنيسابور وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان
مخليا امور خراسان وانصرف عسكر ابي الفوارس الى كرمان وعاد فائق
الى بلخ واستقر ابو علي بهراة قراره وكان ابن عزير يستحث ابا الحسن على
قصد جرجان ويوبته على التقاعد عنها وهو مستمر على المعلوم من عادته في استعمال
الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا من عثرة قدم تفضي الى ندم كالتي
عرضت لابي عباس بجرجان من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة
وما سار في البلاد خبره الى ان اقيم ابو علي محمد بن عيسى الدامغاني للوزارة
وذلك في جمادى الاخرة من سنة سبع وسبعين وثلثمائة ونفي ابن عزير الى
خارزم فجهد ابو علي في تشديد الاعمال وحفظها على الاعتدال فاعياه
ما اراد لانسداد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة
الاتراك وتبجحهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب خلعا للجام المراقبة
وامنا من شر السياسة وصدق المواخذة فصرف بابي نصر بن ابي زيد

وهو السهم الذي يصيب المحز في اقواله ويطبق المفصل في افعاله وينذ الكفاة
بغنائه ومضائه وصواب تدبيره وارائه ثم بدا لهم في امر ابي علي فردّ ثانيا
الى مكانه من صدر ديوانه فاتفق لابي الحسن ابن سيمجور بين هذه الاحوال
نهضة الى حرم له بعض متنزهاته بواحدة من حظاياه فجاءته نفسه خلال الرفث
اليها وخر الى الارض عن صدرها ميتا واخفي خبر وفاته الى ان رد الى
داره واستعد لاظهاره وورث ابو علي رياسته واخوته وجيشه
فسد الثلمة الحادثة بابيه برفق سياسته وحسن رعايته وحفظ ايالته وولايته
وحسنت طاعة ابي القسم اخيه وساير اخوته له وعشم رضاهم به وبلغ اباعلي
ان هراة سميت لفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على الاستجازه
من الحطة على خطته ثم اتفقا على ان يكون هراة لفايق ونيسابور مع قيادة
الجيوش لابي علي ورتب كل منهما اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من
بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علي يظن انه هو المقصود بها
والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول منصف الطريق عدل الى
الفايق بما صحبه فعلم انه مكر مكروه وغدر استروه وانه هو المقصود بالسوء
والمراد بالمحذور فلما علم ان فايقا شخص من هراة نهض ابو علي
من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد حتى انقض عليه فيما

هراة وبوشنج فعل من اتخذ الحذر خدنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب
جانبا وعلم انه متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة
عرف جبنه وخوره ولم يرتفع له ولا لاهل بيته راية ولا يعرف لا
نتقاض الامور عليهم والتياث المحذور اليهم من كل وجه غاية
فصدق قتاله آخذا بفرط الحذر والتشمير ودق عسكره دق المضبة
لمساة المسامير فولوا منهزمين الى مرو الروذ واردفهم ابو علي بين
قواده للتشريد بهم في مهربه فوافقوه بقنطرة مرو الروذ واستعد اللقاء
ومحتشد الممانعة فقارعهم حتى اسر عدة منهم وحملهم الى بخارا وثنى
ابو علي الى مرو خاطبا عمل ابيه ومدلا بسابق حرماته ومساعيه ومتكثرا
باخوته وذويه فحقق الرضى سؤله وحمد اليه فيما استدعاه رسوله
وقرر قيادة الجيوش عليه وناط مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية
نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفا الى نيسابور
وقد نال ما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال والرجال و
اخذ امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوة واستعلاء الى ان
تلقب بامير الامراء المؤيد من السماء وامتد ابو بكر الخوارزمي بقصيدة
وهي

ان الاولی خلف الخدور هم فی الضمایر والصدور
وقع الغبار علیهم فغدا تیه علی العبیر لما مشین علی الثری تاه الغبار علی العبیر
فغدوت فی حال الاسیر وحت فی حال الحسیر وکذاک من عشق النجوم ورام صید للبدور
یا سائلی ما فی البراقع والهوادج والستور فیها الرضاع من المنیة والفطام من السرور
وسئلت من زوج المنابر حین تخطب والسریر فهو الامیر ابن الامیر ابن الامیر ابن الامیر
المشتری المدح القلیل بماله الجم الغفیر من سیفه کسر الجبیر وسیبه جبر الکسیر
والناظم المعنی الطویل بلفظه النزر القصیر یرمی اعادیه بسهم من سعادته طریر
حتی لو اقترشوا الحریر لشاکهم مس الحریر ویورث البهم الذکور تلکم البیض الذکور
وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور ورماحه حشو العدی وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل حشو الجوامع والثغور ویصوم صائمه فیفطر بالجماجم والنحور
واذا اتاه سائلات الشویهة والبعیر الصرته نقبا ثه رب الخورنق والسدیر
محمد ابن محمد هذا الثماد من البحور لو کانت الدنیا تدور علی الحقایق والامور
ما صیغ تاج محمد الا من القمر المنیر

واتاه البدیع ابو الفضل الهمدانی وهو مرو یمتدحه بالقصیدة التی اولها

علی ان لا اریح العیس والقتبا والبس البید والظلماء والیلبا
واترک الخود معسولا مقبلها واهجر الکاس تغدو شربها طربا

حسبی الفلا مجلسا والیوم مطربة والسیر یسکرنی من شدة تعبا
وطفلة کقضیب البان منعطفا اذ امشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من اجفانها حببا دونی وتنظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذیلی تودعنی والوجد یخنقها بالدمع منسکبا
لا در در المعالی لا یزال لها برق یشوقک لا هونا ولا کثبا
یا شرعا للمنی عذبا موارده بیناه منتسم الارجاء اذ نضبا
اطلعت لی قمرا اسعد امنازله حتی اذا قلت یجلو ظلمتی غربا
کنت الشبیبة ابهی ما دجت دجت وکنت کالورد اذکی ما اتی ذهبا
استودع الله عینا تنتحی دفعا حتی تثوب وقلبا یرتمی لهبا
وطاعنا اخذت منه النوی وطرا من قبل تقضی الهوی من حکمه اربا
غضی علیک قناع الصبر ان لنا الیک اوبة مشتاق ومنقلبا
الی المقام بدار الذل لی کرم وهمة تصل التخوید والخببا
وعزمة لا یزال الدهر ضاربة دون الامیر وفوق المشتری طنبا
یا سید الامراء لا فخر افما ملک الا ابتناک مولی واشتهاک ابا
اذا دعتک المعالی عرف ها منتها لم ترض کسری ولا من قبله ذنبا
این الذین اعدوا المال من ملک یری الذخیرة ما اعطی وما وهبا

ما الليث مختطما والسيل مرتطما ... والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادهى منك صاعقة ... اهدى يمينا وادنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من تراه ملوك الارض فوقهم ... كما يرون على ارجائها الشهبا
لا تكذبن فخير القول اصدقه ... ولا تهابن في انسالها العربا
فما السموءل عهدا والخليل قرى ... ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا
من الامير بعشار اذا قسموا ... مآثر المجد فيها اسلفوا نخبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشرني ... والمازني ولا القيسي منتدبا
هذا الكتبة وذا الرهبته ... وذا الرغبته وذا الطربا

ثم واستوى على بلاد خراسان وارتفاعاتها فجبيت له عن آخرها و كتب الرضي اليه يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه وعوارض نوبه فاعتل عليه باستغراق عطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يحملها اليه لتستتم اطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة باباء ويسر حسوا في ارتغاء ونصب ابا علي النسفي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان باسرها فلم يبق بها ذو وفر الا ادمى

خلفه

خلفه والصق ظهره ببطنه ثم طالبه بما رفع عليه وامر بدق يديه على ان اعفي ببعض المال ومات باخرة على شر حال وصار كاتب الملقب لشهاب الدولة وظهير الدعوة هرون بن ايلك بغراخان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان وما وراء النهر متى ملك على الرضي بخارا وكان شأنه كما قيل

بمحمد سلوا سيوف محمد ... ضحوا بها امات آل محمد

وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا زعمه للتقية او تحمدا الى الرعية وقد كان طائفة من دهاقين ما وراء النهر قد المتهم ايام ملك الدولة فقربت نفوسهم الى الاستبداد والاحماض به عن حلية الالفة والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحريم شاحذين عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالباحث يحل نصاح اجفانه على التدريج تأنيسا له من الوحشة وتسكينا من الروعة وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا اينانج الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوائب واثارت الكواكب ثم انجلت عن اسر اينانج الحاجب في الكبار من القواد و الكثير من الافراد واستحكم لذلك طمعه في تورد ساير البلاد والاعما

على الطريف وتسللوا في البلاد والله اعلم

ذكر حال الفايق بعد هزيمته من ابي علي الى مرو الرود

اقام فايق بساحة مرو الرود على رمّ الرث وجبر الكسر واسوا ما فشا في عسكره
من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم نشره سار يريد بخارا من غير استيمار
واستطلاع راي فارتاب الرضي به فلما قارب بخارا برز الى فضاء السهل بيا
ورماه بتاش وبكتوزون الحاجبين وساير مواليه وموالي ابيه وذلك في
يوم الاحد لاحدى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانين فلما رشقه الكفاح
وعضه السلاح انجلى انجيال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل
والاسر والتضليل ووافى الشط منهزما فوجد السفن مغيبة فركب الخطر
واحتال حتى عبر وسار الى بلخ على ان ينايش منهما وبرتاش واقام بها
اياما ثم عبر الى الترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار ويحثه على
البدار وخوطب من بخارا والى الجوزجان ابو الحرث احمد بن محمد الفريغوني
بقصده وحصده فجمع بوشا عظيما وساق من ارض الجوزجان ربيا قايدا
لهم احد غلمانه وكان يعرف بارسلان آخر سالار في زهاء خمس مائة من الترك
والعرب فانقضوا عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطير ففرقوا جمعهم
بددا وجعلوهم طرائق قددا وفرشوا الفضاء بجثث القتلى وغنموا

مالا يعد

مالا يعد ولا يحصى وعادوا الى بلخ ظاهرين وقد كان طاهر بن الفضل
ملك الصغانيان على ابي المظفر محمد بن احمد وهو واحد خراسان جلالة قدر
ونباهة ذكر ومتانة راي وحجر عقل ورصانة نظم ونثر فانقطع ابو المظفر
الى الجانب الفايق صارخا فزعا فاحسن اصراخه وامده بمن يرده وراءه
فاغتنم طاهر بن الفضل خفة اصحاب فايق فلفت لفه اليها طامعا
في الاستيلاء عليها فزحف المقيمون بها للمدافعة ونهدوا للمناجزة و
تناوشوا القتال وصدقوا المصاع والصيال وثقف بعض العرب
مكان طاهر بن الفضل وقصد قصده بطعنة في منكبه اذرته عن مركبه و
بادر اليه فاحتز راسه عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى اصحابه على الا
دبار هاربين بين سمع الارض وبصرها وهايمين اثناء حجرها ومدرها ولما
جرى في امر آنج الحاجب فيما جرى ونقل الى بلاد الترك في زمرة الاسرى
انتقضت مرائر الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت قواعد
ونباها واشفق الامير الرضي واركان دولته من ان تتفاقم الامور وتركم
الشرور ويعضل حادث الداء ويغيض باقي الماء فخوطب فايق في الا
ستمالة وقوبلت عثرته بالاقالة واستنهض الى بخارا للاستظهار به على
سد الخلل وتعديل الميل وشرب عنها بعد حسن القبول والاقبال

من يجبي الاموال ويدبر الاعمال واهتبل الرضي فرصة البروز من مستتره في زمرة النكرة حتى عبر النهر الى آمل وقد كان هاجر اليها امامه عدة من خواصه وحجابه وغلمان داره عابرين جائرين فاعتقدوا مقدمه عيدا وظنوا انهم انشؤا خلقا جديدا وتلاحق بهم ابناء الهجرة فتموا عدة وعديدا واعتمد الامير الرضي ابا علي البلعمي للوزارة وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال وانسداد وجوه الاموال وتزايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان نفى عبد الله ابن عزيز الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضي بالكتاب اليه في استحضاره لاستيناف الاعتماد عليه فيما كان يليه والاستكفاء المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنما خدمته في تلك الحال ومتوصلا الى رضيته بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي من لدن نجوم الشر واستطارة شرره باعالي ما وراء النهر من جهة الترك يكاتب ابا علي محمد ابن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد لحياطة الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار والاستمداد ويتلطف في التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي البغي والعناد وبعد ان سامحه باموال خراسان واغضى له من ارتفاعها ترضيا له واحتمالا منه واستبقاء للصنيعة عنده وطمعا في الاشفاع بشانه والاستظهار بمكانه فقعد عن الاستعداد

وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استطار اليه قوادم الطير كغضا لم ينل فيه حماما ولا غمضا فولى فايق من بين يديه هزيما فلم يلو على تعرف الحال مقيما وجعل من كان معه من اصحاب السلطان عرضة للسيوف وفريسة لانياب الحتوف وتوافقت الشهادات على ان انهزامه كان عن مواطأة منه لبغراخان على آل سامان فعل من لا وفاء يرعه ولا حياء يردعه ولا نعمة تحجزه ولا حرمة تكفه وسار بغراخان يتلوه حتى اقتحم بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية الدهياء والخطة النكراء والقضاء المبرم من السماء حتى اضطر الى مفارقة الدار والالياذ بذمة الاستتار

ذكر مجي بغراخان بخارا و ذهاب الملك نوح بن المنصور وعوده بخارا بعد ذهاب بغراخان

دخل بغراخان بخارا فاستقبله فايق مختصا به ومنخرطا في سلكه ومتكثرا لسواده وملقيا اليه بمقاده كانهما كانا على ميعاد تلاقيا على سابق صحبة واتحاد ولما استقرت الدار به قرارها استاذنه فايق في النهوض الى بلخ لاستصفائها الى ولايته واثارة اموالها لخزانته فاذن له فيه وسار الى ترمذ وبعث بعثا الى بلخ فاحتاط عليها وبضبطها

للنهوض والاحتشاد للبروز حتى استغرق مواعيده شهوراً عدة ثم نهض
من نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو في مثلها من المدة يتربص انباء ذلك
زحفة القوم وتغلبهم فيشاطرهم الملك على حاجز النهر فيكون له ما دونه ولهم
ما وراءه وكان اتصل به وبخدمته طائفة يزينون له هذا الراي ويجلونه في
عينه في معرض التصويب عليه تقربا اليه انها دولة قد تمت ايامها
وحان ان ينوح عليها اصداؤها وهامها لاستمرار العثرات عن الاطراف
بها وانثيال الفتوق من كل الوجوه عليها وان المعنى بنصرتها مخذول
بخذلانها ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها وهي قواعدها واركانها
فلما استقر ذلك السلطان بآمل كتب اليه بان الخطب قد برح والبلاء
قد برح وانه آن له ان يستأثر بعز الاحدوثة في مظاهرته والاقتداء بسلفه
الذين هم صنايع دولته ودولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته وكف
الاذى عن وجهه فرده الى دار قراره ومعرش اوليائه وانصاره فقد
قطع طمعه الامنه واستشعر الياس الا من لدنه وقبل هجوم بغراخان على
بخارا وصل بكتبه في الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطف
الى التضرع في الاستنفار والاستجاشة فمن تلك الكتب فصل خطه
من انشاء ابي علي الدامغاني وهو انما يحتاج الدولة الى عمادها

اذا قصدها من يزعزع راسيات اوتادها فانه الله في هذه الدولة فقد حاشك
مستغنية اياك لا ابذة بك وكان ما اثره فيه كتأثير صخرة الصماء لا خدش ولا حك
ولا شق ولا نكت وفرش خلال ذلك بساط الدالة والاقتراح باستزادة
رتبة في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره من اصحاب الجيوش لم يرض
بذلك حتى اقترح له الجمع بين التلقيب والتكنية على العنوان منسوب الولاء
الى امير المؤمنين وانما ولاه لآل سامان وقابل الرضي جميع ذلك بالايجاب
ووفاه له بما اشتهاه من شريف الخطاب وقد كان يقترح ذات يوم على
لسان خادم للرضي ورد عليه رسولا يعرف بارسطاطاليس ايام مقامه
بآمل زيادة على المبذول له يجري مجرى الشطط والمحال فقال ايها
الامير ان ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت عليه مخاطبتك
بالتامير لفعل ولكن وراء اليوم غد فاختر لنفسك ما هو اجمل بك وازكى
في الاحدوثة عنك فكادت عند ذلك العيون ان تصوب و
القلوب ان تذوب واستمرت القسوة به فلم يزد الا علي وعد
سطال لا جرم ان الله كفى الرضي شغل بادهاه ونصره وآواه واعاذه
الى خطته ومثواه وختم بالخير عقباه واسلم الغادر لما كسبت يداه وما الله بظلام
للعبيد

ذكر ذهاب بغراخان من بخارا ومعاودة الملك نوح بن المنصور اليها

واتفق ان مس بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فارتحل عنها عائدا وراءه وعاودوا اهواه فعمد اهل بخارا الى نفاضات عسكره فطحنوهم طحرا وجزروهم دون حواليها جزرا وبادر الاتراك الغزية قفي اثره قتلا وطردا واسرا كالوطحنا ولم ينفك يمضي على الاحجام والانهزام على ما به من الم السقام حتى ذاق كاس الحمام وحين احس الرضي باخالة على حاله ابتدر العبور الى بخارا فيمن تتام اليه من حاشيته ورجاله فتباشر الناس بما اتاح الله له من عوده الى دار ملكه وقرار عزه تباشر الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والاعدام باستهلال القطر وصفت له بخارا وسمرقند وما فيهما من ولايته وسائر مملكته ولما راى ابو علي ما استقام له من الامر وانفصم من النشر وسقط من نجم الشر وخمد من نائرة الفتنة التي قدرها صماء لا تسمع ودهياء لا تنقطع وانضاف الى ذلك ان بغراخان لما القى عصا القرار ببخارا كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون اصحاب جيوشهم بها غير واف له بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها وتراضيا بها من النزول على رتبة حكم التماثل واقتسام جانبي الملك على سبيل التناصف والتعادل سقط في يده وفت في عضده وذهب عليه امره واظلم عليه رايه لانعكاس

الايام

الايام عن خلاف تقديره وانكشاف العواقب عن ضد ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحاءه فيما دهاه واستفتح آراءهم فيما عراه فاشاروا عليه بمعاودة التقرب واستيناف التلطف واحتيال ما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويسد خلل التقصير في الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا ما رام ترضيه به واستمالة قلبه عليه واستلانة جانبه ونسخ لغائق بعد احساسه بعود الرضي الى قرار ملكه ان نهد الى بابه مستعليا عليه ومتحكما على رسمه وقد كان دها الرضي من جهته مثل ما دهاه من جانب ابي علي تصامما عن نداءاته وتقاعدا عن فنائه وتعاميا في فرض طاعته وولائه فضرب الرضي وجوه حجابه ورجال بابه ونابذهم الحرب نعلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العدد الجم من الفريقين وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين ثم انفل عنهم هزيما وحث مركب النجاء حرصا على النجاة الى الشط شيما فعبر الى بعض الاطراف وتلاحق به من اخطأتهم ظبات السيوف وحلق الاسار من اصحابه فانحدر بهم الى ابي علي متغلا في حبله ومنخرطا في سلكه ولائذا بذمته ومستبدرا بظل طاعته فوافق ابو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه ويعدها على الحادثات احد سلاحه واستقبله باهل عسكره على اتم اجلال واعظام واعم اكبار واكرام واحسن ترتيب وترحيب

ونشر ريق ورخصيب وتنسم بمكانه روح الغنى عن الرضى فصرف اليه
ماكان اعده له من الهدايا مفصحا بالجفاء والخلاف ومصرحا بالتمرد
والانحراف وتحالفا على الصفاء والوفاء والتظاهر على الاعداء
ونهضا الى نيسابور في تاريب العناد وتخمير الراى في حسم الفساد ولما
يئس الرضى من صلاحهما دبر للاستعداء عليهما والانتصاف منهما
بمن يشتد باسه ويجد في اللقاء مراسه فوقف به التدبير على الامير
ابي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من امارة الخير باعتكافه على غزو الهند احتسابا
للثواب وادخار الكريم القربة الى الله فارسل اليه ابا نصر الفارسي النايب
عنه ببابه فكتب على يده بذكر ما اعياه من الداء بمكان موليه ابي علي
وفايق وخطبهما على دولته وقصدهما اياه في نفسه ومملكته واستنفاره
عليه بارتفاعات حوزته غير رعيين الحشمة ولا راعيين لحق نعمة ولا متمسكين من كهيا
بعصمة الذي دعمهم من امرهما فرسة عليه فرصة الكلام وطريق الذي رضاب الامن جهته ودار وجوه من
مؤنته ولطف الحول فرسته عليه والطبيعة في جميع ما يتكلفه من نصرة اوليائه بفرط قوته وغنائه فنهض
وبعث الكتاب والرسل تفعسنه مراتصة لاصحابه مخرمة لاعنته قوانه المقام بكمال ارتهاله زيغه
وموافقته وبادر بالعبور الماء وراء النهر للقاء الرضى ومشاهدته واستماع المقصود من رايه ومشورته ونهض اليه
لاذخيه كثرة فخيم بجانب موعده ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا هناك على احسن ما سمع به في مثله من لقاه

المراكب وتعبية الخيول والكتايب وقد كان الامير سبكتكين يستعفي لشيبته عن شهود الخدمة
وملثم الارض على رسم الطاعة فاعفي عنه اكتفاء بصدق العناية والرعاية منه حتى اذا
اختلطت الخيول وامتدت الصفوف واصابت عيناه صحيفة وجه الرضى ارغمته دواعي الملك
وابتدر العز للنزول والتبرع بما كان يستعفي عنه قبل الوصول فتلقاه الرضى باتم الاكرام واعظام
ورعاية الحقوق والذمام وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وتباشر الخاصة والعامة وامر
الرضى باقامة ما وجب لاقامته من صنوف الانزال واتباع ذلك بما يصلح للاتباع من طبقات
الرجال وساله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه ويصرف اليه قصد ابي علي وفايق وكفاية
شرهما عزمه فضمن له حسن الطاعة وبذل الوسع والاستطاعة واستاذنه في الانكفاء
الى وطنه ريثما يجمع متفرق الاهبة وينظم منتشر العدة ثم يواجه الخطب بجد جديد وحد
حديد وباس شديد في رجال يموجون في بحار من حديد فاذن له وصرفه وامر له من الخلع
الفاخرة والاجلسة الباهرة بما ضاهى جلالة قدره واكد النعمة بصادق وعده ودرج
كل منهما الى مكانه واقبل على استصلاح شانه ومحادثة سيفه وسنانه وورد على ابي علي
من ذلك ما ابهم عليه وجه التدبير وسد عليه باب التقديم والتاخير وجعل الراي شورى
بين اصحابه فيما اكثر له الامر عز نابه فكانت نبذة تخصه مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته
وموالاته ومعاهدته وتاميل حاله في جانبه ترجيا ليوم العثار ونائبات الليل والنهار
فارسل اليه ابا جعفر بن ذي القرنين بما عرض من تحف خراسان وافرد الصاحب بمثلها

ذلك طمعاً في حصول الغرض المقصود من الاتحاد على يده بحسن سفارته ووساطته وحدثني
ابو جعفر انه دخل على الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له مخاطباً عن
صاحبه مثلنا في حمل هذه البواكير الطفيفة القليلة الى الصاحب الجليل مثل من
يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد ينقل التمر من مدينة الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم الى هجر لا للحاجة ولكن للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد هذا الحال وتوكيد
اسباب الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة ودرت لمكانه واستحكمت
الصداقة وقد كان مأمون بن محمد صاحب الجرجانية وابو عبد الله خوارزمشاه
قد احسنا التقرب الى الرضى ايام انحيازه الى آمل بما ساعدهما الوقت عليه من مال
ورجال فعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما عما خدماه به وقدماه من قدم الطاعة
له فجعل نسا برسم مأمون بن محمد وابيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما على
عمله فانهض كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله وتدبير ما اصفي له فاخرج ابو علي
ابن محمد عن نسا لخلل في المودة بينهما قديمة واسباب في الاتحاد وكيدة ودفع
ودفع ابا عبد الله خوارزمشاه عن ابيورد اعتداداً بانها ولاية اخيه ابي ابراهيم وانه
لا يمكنه النزول عنها الا بعوض له منها وامر بطرد اصحابه عنها وتسلم دونها
فاسر ذلك خوارزمشاه في نفسه الى ان تمكن من الفرصة في امره فاستشفى منه على
ما ستشرحه عند الانتهاء الى ذكره وطلعت خلال ذلك رايات الامير سبكتكين

من عزيمته

من عزيمته على ما سبق من وعده وقد جمع واحتشد واستمد واستنجد وقام في
الاحتياط والاستظهار وقعد وساق امام القبول التي ملكها على ملوك
الهند في غزواته ومقاماته وعبر الرضى الى الجوزجانان والتقى مع الامير ابي الحارث
الفريغوني واليها واقام الى ان يصل اليه سبكتكين ولحق به الشاردون
جرى مجراه من زعماء البلاد في طبقات الاجناد فاجتمع سواد شرفت بهم الممالك
والمذاهب وطبقت عليهم المرابع والمشارب فنهض ابو علي وفائق بن نبتا نحو
الى هراة وبها ابلتكوا غلامه وصاحب جيشه فخيم بها مدافعاً عنها ومراماً دونها
وانضوى اليه من كان مقيماً من جهته بمرو الروذ وباذغيس وغيرهما اخذاً بالحيطة
واحترازاً من الغرة وسار الرضى في موافقة الامير سبكتكين حتى اقام بتاجية
بغ وارسل عند ذلك ابو علي الامير يذكره الحال التي كانت بينه وبين ابيه في
المودة المهيدة والحرمات الوكيدة وما استمر عليه بعده من ميزته في الاتحاد والوداد
والاشتراك والاشتباك ويسأله ان يتوسط الامر بينه وبين الرضى على ما
يحلو لحزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسترد شارد ائتلافه ويمسح جانب رضاه متكلماً
عليه بما يستصوبه في حسم الداء وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتأليف الاهواء
فاحتج الامير سبكتكين الى الاصغاء الى ما سأل وشد النطاق بما التمس ومال
بجهده الى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته في كراهة الفتن واماتة

الاحقاد والاحن وسال الرضى في مجال الرهدة شفاها وسال الزوار باخذ بادب الله
تعالى في العفو والغفران واقالة العثرة بفضل البر والاحسان ايثارا للذي هو اقرب
للتقوى واحمد في البدء والعقبى فلم يزل به على انصاله نفرته واشتعال جمرته حتى
سمح بالاجابة واسمح بالعفو والاقالة حتى ان يتشكى من ارش عصيانه بخمسة عشر الف الف
درهم يؤديها في ثلثة انجم على رسم المواقفات وكتب الامير سبكتكين بذكر ما استتم
من الصلح على يده وانتظم من عقد الصلاح بجميع وركده وتشاور اصحاب ابي علي وقواده
في انقسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة واغتناما لما تجدد
عليه من السلامة فصادف ذلك حدة من شبابهم وترفا من احلامهم وذهابا
منهم بانفسهم عن الاذعان للكافة والرضا بالصلح الجامع لمصلحة الكافة وثار
من ذوبان الاكراد وصعلوك الصعاليك طائفة الى معسكر الامير سبكتكين
فاختلسوا منه غلاما له كان يلي امر فيلته فقتلوه في عدة ممن اصابوا غرتهم
وانضاف الى ذلك ان رسول الامير سبكتكين لما كروه بجواب ما حمله وافق
ابا الفضل الزيادي احد انساب ابي علي موكلا ببعض تلك المخارم والثنايا
فقال له هيهات ان سعيك لفي ضلال وان صاحبك ما ينطق الا في محال
ما نحن باحلاس الصلح وابنائه ما دامت هذه العيون حافظة سوادها والعواتق
حاملة نجادها تعنى به قول القائل

آحد انساب

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها	مراغمة ما دام للسيف قائم

فلما نمت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط غضبا وقضى من ادبار القوم
عجبا وعزم على المناجزة واستخار الله في صدق المجاهدة وارسل الى ابي علي ان خذ
في ارهاف سيفك وسنانك فقد جئتك بما لا يعنيك منه عرجلة الحلم
وثبات المقام وزحف للحرب الى فضاء الرحب تقرونه قرب الخيول معاقبة
متناسرة عن الجيوش ميامن ومياسر وشحن الصفوف بفيلته المجففة كانها
شواهق اعلام او طوارق غمام ووقف لرضى ربه والامير محمود ولده في القلب
مشحونا بكماة الرجال ومحفوفا بكفاة الابطال كما قيل

من كل اروع يرتاع المنون له	اذا تجرد لا نكس ولا جحد
يكاد حين يلاقي القرن من حنق	قبل السنان على حوبائه يرد

وسار فتخيلت الارض سائرة والجبال مائرة والنجوم منكدرة والسماء منفطرة
وثار من وقع السنابك نقع اوهم كسوف الشمس وعود ظلام الليل الدامس وقد
كان ابو علي رتب جيوشه اسوة الامير سبكتكين فجعل فايقا في الميمنة واخاه
ابا القسم ابن سيمجور وايلمنكو في الميسرة وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء
والحفيظة من ثقاته وكانوا على الحقيقة جيش الطواويس من وميض الحديد
ولمعان الحمر والبيض فاشرقت عليهم الشمس فرقت لها الاحداق وتلألأت

بدأت

الآفاق حتى اذا دنت الخطى بين الفريقين بدأت الفائقة بالحملة على ميسرة الرضى
فبددوا نظامهم وزعزعوا عن المقام اقدامهم وثنى ابو القسم بن سيمجور بمثلها
على من قابله فصنع صنع الاخرين وحمل دارا بن شمس المعالى قابوس وشمكير
من قلب ابى على فظنوه تبعا لشرف المقام او رفقا بحق الانعام حتى اذا بلغ بين
الصفين وقف ظهر ترسه واقبل على موقف الامير الرضى بوجهه فاستامن اليه
ووقف للقتال بين يديه فاتهم اصحاب ابى على لما احفظه من الذمة وقطعه من
العصمة اشفاقا من مراطنة اضمر اباءه على مثل صنيعه فعندها حمل الامير محمود
على قلب ابى على فى سواد قدح بشعله كاهل الارض وسد بقسطله مناكب
الافق فلم يثبت احد من اصحاب ابى على للكفاح او مد يده بسلاح بل انفضوا
عن موقفهم انفضاض العقد خانه النظام وانسل منه الفرد والتوام و
جعلوها هزيمة انتكست بها الاعلام وعضت بجنودهم الاباطح والاعلام
وركب الامير محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا وتنفى النفوس بها
ذعافا فلم يبق فى الاسرجان تلك المجموع ومن خفف عن ظهره ثقل الجواشن
والدروع وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدى ببعضها على الصلح المعقود لبقيت
الوجوه بمائها والنفوس بدمائها ووضعت الحرب تلك الاوزار عن اثباجها
وسار ابو على بالفل عن اصحابه الى نيسابور فاقبل بها على جبر الكسير ورم الشعث

يسعر وقى ظ

او (الكبير والكسير) واوردت اصح واقبح

الغبار

٤٤

الغبار استعدادا للانحياز عنها قبل رهق اللحاق وموقف الطلاق وهجم الرضى
والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة وبها استجمت ركابهم ونوفرت
على الاولياء رغائبهم ولقب الرضى الامير سبكتكين بناصر الدولة والدين
ومحمودا بسيف الدولة وقلده قيادة الجيوش بخراسان مكان ابى على
وسار الى نيسابور فى هيبة اشعرت النفوس مهابة وملأت قلوب الاعادى كآبة
برجال كالقروم المصاعب وابطال كالاسود الغوالب مخطومين بالاساود وفى
ذلك ابو الفتح البستى يقول

لسيف الدولة انقادت امور ... واباها مبدده النظام

سما وحمى بنى سام وحام ... فليس كمثله سام وحامى

وسيجرى ذكره ملقبا بسيف الدولة الى ان افاء الله الملك منه الى مظنة
الاستحقاق وشهره بلقب اليمين فى كور الآفاق ثم ارتحلوا على وجه نيسابور
ولما تسامع ابو على باقبالهم فارقها متحدرا الى جرجان على الوثيقة التى
كان اخذها على فخر الدولة فى بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الم
بها وكتب اليه بالحالة التى الجاته الى قصد ولايته والانقطاع الى جانب
مملكته وارسل بانضمام الحاجب اليه فى تقرير حاله واستدعاء معونته
برايه وماله واستناب الصاحب فى تحرير ما كان بعده لنفسه على الايام من

الجائلة

بركة رضاه وبعدها له من ثمرة وداده فامر بمال يقام منها وسوغ لوكيله بالفي
الف درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره واقام هو وقابوس حتى انحسر عن غرة
الربيع قناع الشتاء وانكشف عن الزمهرير افاق السماء وقد كان الرضى انحرف
عند اغذاذ الاميرين سبكتكين وسيف الدولة الى نيسابور بعبد الله بن
عزيز الى طوس انخافا عليه مما صوره له من ارصادهما اياه بالمكروه على
ما دعته النصيحة اليه من مناقشتهما في بعض الاموال والاعمال فنهض
الامير سيف الدولة محمود على اثره اظهارا للبراءة واستشعارا للطاعة واستقا
للخدمة وازاحة لعارض التهمة وطار عبد الله بقوادم العقاب يخوض في النظرة
الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا على نفسه من عادية الضرب فعل المستهام
المريب وتلقى الرضى مورد سيف الدولة باتم اقبال واشبال وصرفه وراءه على
احسن حال وانعم بال وادخل بعقبه الى مرو لاحقا بوزيره ثم منها الى بخارا حتى استقر بها
على سريره وقد كان الامير ناصر الدين وسيف الدولة حين وصلا الى نيسابور وفرشا
مهاد العدل وذرعا عماد الامن وتتبعا رسوما كانت جائفة فنفياها ببث
الرافة وحسم الخائفة وارتادا مصلحة الكافة فانشرحت الصدور واستقامت الامور
وامنت الطرق وانضلت القوافل   والرفق ثم سنح للامير سبكتكين ان
ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فسارا واقام سيف الدولة بنيسابور

[illegible]

ع

زعامة

على قيادة الجيوش وزعامة الجمهور وقد كان ابو علي طمح الى زيادة مال يحمل اليه
معونة له على اقامات اهل عسكره من الرى فكتب اليه ابو النصر الحاجب باخي غرض
الكتاب وقرب المراد فكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الاطواد
العظام تصطفق مياهها وتزجر شعابها فيرى الناس ملتوى عبابها ومصطفق
امواجها ويغفلون عن عدد الجداول التي تغترف منها والسواقي التي تنشعب
يعرف منها ولو انا قدرنا على مؤن اهل خراسان لاستصفاها الى ما نليه من سرة
الارض وواسطة الاقاليم لكنا قد سمحنا بما تيسر والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش
ابو علي من جوابه واستشار فايقا ووجوه قواده في تدبير الامر بصوابه واتيانه من بابه
فاختلف اراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة وذوقهم في استشفاف العواقب
المشورة فاشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضى
بها والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك ولاية قد اعيت
صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها بهم العساكر وطلابهم اياه ببيض
الرماح وبيض البواتر والتهجم عليها مصونات الرقاب دون تعرضهم فيها لكرائم
النفوس والحرائب وقد حصلت له عفوا صفوا وانفتحت عليه سهوا رهوا وهو يبيع
بالظماء العين بالظلماء محال وايثار النقد بالشيء المتوقع ضلال واشار فايق بمناهضة
الامير سيف الدولة ومناهضة لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه واختلال

مناهضته

تفرق

ابيه به ولمخالفة هواء جرجان طباع عساكرهم وتكاثر فيهم فقد وما ينكر
لهم الفضل ويتقدم عليه الجو فوافق هذا الراى جمهور العسكر لحرصهم على الوطن
ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا على هذا الراى وتطابقوا على الانكفاء
واضطروا ابا على الى مساعدتهم واتباع ارادتهم وعند ذلك ورد الخبر بمضى
الصاحب اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معتنيا بمصالح ابى على بغيه فضل
المقام واغراه بتعجيل الانتقال والانتقام ولما استاثر الله تعالى بالصاحب
اكثر شعراء العصر فى مراثيه فمنها قول ابى محمد الخازن

يا واقى الملك او قف حفل من ... مدح وان طال التمجيد والتابين
فى الصفات فما يبكيك من احد ... الا وتنبر فيه اياك تحسين
هذى نواعى العلى قد قمن نادبة ... من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكى عليك العطايا والصلات كما ... تبكى عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم ... واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا ... مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابى سعيد الرستمى الاصبهانى

ابعد ابن عباد يهش الى العلى ... اخو امل او يستماح جواد
ابى الله الا ان يموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها

ومنها قول ابى على المنجم

والله والله ما افلحتم ابدا ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا اذنى ... او كان منكم رئيس فاقطعوا راسى

ومنها قول ابى العباس الضبى وقد اجتاز ببابه بعد موته

ايها الباب لم علاك اكتئاب ... اين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رغبة وغير احتشام ... مات مولاى فاعترانى اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه ... فهو الان فى التراب تراب

ومنها قول ابى الفتح البستى الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده ... كريم يروق الارض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى ... كذاك كسوف البدر بعد تمامه

ومنها قول ابى منصور الثعالبى

الا يا صاحب الدنيا ... وعين السودد البهى
اما استحيى ابو يحيى ... لقبض العالم الكبرى
لئن خفت بك الدنيا ... فقد ثقلت بك الاخرى

ثم وقد رحل ابو على من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول
سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدم فائق على طريق اسفراين حتى

اذا قارب حدود نيسابور وعدل اليه واختلط به وسار اسير المستعدين
للحرب المجدين في الطعن والضرب وبلغ سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير
ناصر الدين باقبالهما وبرز الى ظاهر البلد في خف من العدد وخيم بها على انتظار
المدد فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول الامداد فاضرم عليهما
نارها وباشرها بنفسه وخاصته اداره‌ها من حيث ترجل راد الضحى الى ان الفت
ذكا بيمينها في كافر فتعصفرت ارض الوغى بدماء القتلى واضحت مناسم الفيول
رجالا كانوا كانا للصفوف عند اشتجار الزحوف واختلاط الاسنة
والسيوف وهم اصحاب ابي علي بالانخزال جبنا عن النزال ثم تداعوا بالمناص
طلبا للخلاص فكانت حملة وافقها القدر وانحاز سيف الدولة بمعظم
جيشه الى مناخ ابيه ناصر الدولة في امان من لباس الظلام ارصادا للمحصر
بيوم الكرور على الثار واسلامهم لعذار الاقدار وتخلف عنه ما اعياه
استصحابه من اثقال وفيلة ثقال وعجز عن خدمته طائفة من رجال
الهنود وسائر افناء الجنود فذكت عند ذلك شعلة لابي علي اطمعته في
استقلاله وعوده الى المعهود من حاله لكن الله تعالى قضاها سيلا
خناكه واستيصاله واشير اليه عند الملامة بنيسابور ان يتبع اثر الاميرين
مجلا المهاما عن عدة الارتياش والانتعاش وقوة الاستنجاد والاستمداد

فارتق

فارتق بها ناغل من كلل بصيرته وانحلال مريرته وعزيمته وحمي عليه قصده وبغى
اليه حيلة واخذ يعلل بصفورة بيه وخلو خزانته واشفاقه من خذلان عسكره اياه
ان دعاهم الى البراح وسامهم خطة الكفاح واخذ يكتب الى بخارا معتذرا عن
جنايته ومتنصلا عن بادرته ومستقيلا عارض عثرته ومستنجحا قبول عذره
وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الواهي جلده المنتهك كيده المتخاذل لسانه
ويده يحيل بالكشفة التي استمرت بالامير سيف الدولة على قابس وسائر
اهل عسكره لاكراههم اياه على مفارقته جرجان ومعاودته خراسان وانه لو وجد
الى مراده سبيلا او في ذرى اختياره وهواه مقيلا لما تخطى خراسان ما عاش
تفاديا عن وحشته وتحرزا عن كراهته وساله ان يهب له ثاره ويستوهب الرضى
خطاه وعثاره فلم تزده رسالته غير الطمع في اغتياله والتنبيه على انخزاله
والتغير به على اقتناصه والايمان من قومه وخلاصه وبث الامير سبكتكين
كتبه الى من تفرق عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من قواده واجناده
في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى حضرته وانهض ابا نصر بن ابي زيد الى
الامير خلف بن احمد والى سجستان بحثه على اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان
ابي الحرث الفريغوني بمثله فطالع الحضرة الرضى باستعداده وانتظار ما يرد عليه
من مثاله وكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد

من كل جانب عليه فقاد الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجو لاستنزلوا طائره
او وردوا البحر لابدوا قراره وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت به
مذانبه وقد كان فائق عدل الى طوس بكاتب الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في
الانحياز اليه مهادنا فلقي وجهه بمثاله وبخل عليه بمكاتبا له وكانا
اميرك الطوسي لازم النارودية لابي علي بين الطاعة والمتابعة والمنافقة يقدم
رجلا ويؤخر اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما رسولا للاستمالة
وتحذيرهما مذمة الضلالة فنهض اليهما واخذ الميثاق له عليهما وكتب اليه بتعجيله
اللحاق بهما فسار ابو علي وتلقاه فائق واميرك بناحية الطابران فاتفقت كلمتهم
على التظاهر والتضافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واختاروا معسكرا
بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القسم الحوارزمي علي قد عتب عليه لعلة بولاية
هراة وثمرات اعمالها عنه الى ابيه تكوا غلامه ونقضه به فيما كان يخطبه ويرجحه
عليه من امثالها على وفاية له وولاية اباه والتزامه حكم المشاركة له في كل
ما نابه وعراه فتقاعد عنه عند نهضته من نيسابور واعتل الا عليه بتقية من
اشغاله حتى اذا انقضت مدة ارتحاله انبعث من وصوله ووصاله احوج ما كان الى
عونه ونصاله فزاد ذلك في تحريك الوحشة الامير سبكتكين لملك الخيول
وشنان الجلود الى التطارد والتجالد فبقوا على ذلك يتحاربون يومهم فلما قبض
الليل

طابران
... قرب ...

جزه

الليل ستار ظلامه انصار فهم عادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه قواده في معاودة
الحرب على اغراء الرجالة الطوسية باطراف عسكره مبيتين وخاربين ومغيرين
وقائمين الى ان يدركهم الملل وتلحقهم الفشل وينفرق عنه الحشر فعندها يناجزه
على بصيرة وقوة مريرة واستماحة خيرة فتشعب من سمع هذا الراي من احداث
العسكر وقالوا اما انا تطاول القوم ويدافع الوقت لا نعرف الناس انا نميل
عن المصاولة الى المطاولة وعن المساورة المصابرة فها نحن نسامهم المنية
ونصبحهم منها كاسا روية فانتقض عليهم التدبير وصار المامور هو الامير
وورث كلا العسكرين عند انفلاق الصبح الى الاستعداد والاحتشاد بحر
الهيجاء واقبلوا على تسوية الصفوف متحوبين بالالوف كاجام الليوث
من ذوابل القنا والسيوف وحصن الامير سبكتكين مواقف عسكره بنجب فيله
فكانت تحت التجافيف اطوادا فادعروا امواجا ستدامغه ودنا الفريقان
بعضهم من بعض فلم يرع مجيرة ابي علي الا رهج ثار عليهم من وراء قرية
فرضتهم ذات اليمين فاذاهم بالامير سيف الدولة في الطم والرم والليل المظلم
فتزلزلت اقدامهم وضلت احلامهم وافهامهم وداوان قلب ابي علي قد
حمل على قلب الامير سبكتكين فصادموهم على حملتهم تقادما من ابقاع
الامير سيف الدولة بهم فرقوا صفوفه ونقضوا عن الزحام موقفه فوقف

لهم الامير سبكتكين فيمن احتف به والتف عليه من خواص غلمانه ورد حملتهم
في وجوههم فارتدوا على ادبارهم وقد اطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا
محصورين بين العسكرين واخذتهم السيوف من كلا الجانبين وثار قتام خلط
البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق وحطم الدبابيس
ما بين الطلى والعواتق وظلت خراطيم الفيول تسلب الفرسان من صهوات
الخيول وتلحق القاتل بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الاثخان والايقاع
فيهم والانتقام منهم وصب السيوف عليهم ما لو سمع به رستم في زمانه لترك
خدمته عنانه وهذب اداب سيفه وسنانه وفات المحصورين بقايا المهج
تحت غواشي الرهج وبرزت الارواح من بين مشتجر الرماح فانجلت المعركة
عن قتلى مضرجين في الدماء وجرحى مطرحين على العراء واسرى ايسين من الفداء
وركب الامير سيف الدولة اكتاف القتل فاخذ منهم من قصر عن اقتحام شعاب
الجبل وعمي عليه وجوه تلك المغارات والمداخل وكان من جملة المأسورين
ابو علي ابن بغر الحاجب وبكتكين الفرغاني وارسلان بك وابو علي ابن نوشتكين
واما سار ابن سيحان ووردا الجيلي ولشكرستان ابن ابا جعفر الديلمي وهؤلاء
اعيان عسكر ابي علي وذوو فؤاده ووجوه اركانه واعضاده وسار ابو علي
وفائق بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى ان اناخا بقلعة

كلات

كلات وهي التي تحمي الرياح بين نعافيها وتنزل الانصار دون روابيها وشعافها
فاضافهما بها ميرك الطوسي الى ان ظهر لهما عدد من سبق ولحق وجملة من
اجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد سرب الفيلة التي قبض عليها بباب نيسابور
الى كلات في جملة ضبنته وكتب ابو علي ابن بغر الحاجب وسائر الاسراء يذكرون
ان الامير سبكتكين استبقاهم ومناهم ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج
عنهم متى ردت تلك الفيلة الى رابط امثالها من متاخره وسألوه ان يفعل
ذلك تنفسا عنهم وتخليصا لهم فقدم ابو علي الى ميرك بردها والافراج
عنها ففعل ونهض هو وفائق على سمت ابيورد مصحرين عن تلك المضايق
فبعث ميرك تلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه بريد اثرا
المتقرب بردها المتفرد بالخدمة فيها فاستشعر بذلك ريبته واحبط على
ابي علي تدبيره وفي ذكر هذه الواقعة يقول ابو الفتح الكاتب

الم تر ما اتاه ابو علي ... وكنت اراه ذا لب وكيس
فصار مذللا بعد اعتزاز ... وظل مقفقفا من بعد بيس
عصى السلطان فابتدرت اليه ... رجال يقلعون ابا قبيس
وصير طوس معقله فاضحى ... عليه طوس اشأم من طويس

وسار ابو علي وفائق على سواد ابيورد على ان يقصدا كورة نسا فسبق لفائق

ان عدل الى سرخس لرأى رآه فخذل ابا علي على المكان وسار من معه من الغلمان
فلما سمع ابو علي بنبائه ارسل اليه باني عهدتك على ايه حال تفرقنا
من اجداب ولخصاب واحزان واسهال وان ركوب هذا الطريق كان على
ما سنح لنا بادي الرأي من الصواب واذ قد بذلت في التدبير فاني تابع رأيك
وها انا من ورائك فوقف له الى ان الحق به وسار الى سرخس ومنها الى مرو
وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما عن سمت ابيورد نهض على
اثرهما واستخلف الامير سيف الدولة على ما فوض اليه من اعمال نيسابور وطوسًا
عنه كفاية امرهما قبضا او طردهما بمرو ثم اخترقا مفازة امل الشط مجرين بجيوش
المفازة وصعوبة المسافة وانسداد المسالك وانعدام المناهل والقيا بها
عصى القرار وارسل ابو علي ابا الحسين محمد بن كثير وقاضي عبد الرحمن بن
احمد الفقيه وذهبا الى بخارا في استعتاب الرضى واستيضاحه واستقامه
الى رعاية حقوق مواليه واوليائه فاما ابو الحسين بن كثير فانه مرض وراء على
وجه جميل وكتب الى ابي علي في تمنيه ونائل ورسم له ان يخرج الى الجرجانية
فيقيم بها الى ان يستأنف تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر
باعتقاله ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا بعض المسودة بكتاب
الى مامون بن محمد والي جرجانية ليقعد بمنفرو حاله وذكر ما اتى من الرأي في

بابه

بابه فاستعرض فانه لما قوبل برسوله وعلم ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجئا الى
ايلك ومستصرخا اياه ومستعتبا به على ما دهاه واشار على الجيش بان
تساعده ويجمع اليه يده وساعده فان الغرض المقصود في طرحه الى الجرجانية
تفريق ذات بينهما في المساعدة والمرافقة والاجتماع على الحادثات بالبلد
الواحدة وان الذي عساه ابديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارًا
كان او اختيارًا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته والذهول عن تبعات اثابه
وجماته فاختار ابو علي متابعته على مساعدته ومجانبته على مقاربته سر الله
تعالى فيها حكم به من صدع شمله وقطع حبله ووضع رحله فليس لرحل
حطه الله رافع وليس لامر شاءه الله دافع وافترقا عن متاخمتها واما فائق
فعبر النهر الى ما وراءه عادلا الى ايلك مستجيرا اياه وواصلا عروته بعراه
فانهض من بخارا على اثره بكتوزون الحاجب فصادف ما جد وقد نفذ ... ولى
كل واحد منهما صاحبه ظهره بعد ان بلي في اللقاء عدده فقبله ايلك
احسن قبول وقراه احسن مقول ومفعول وضمن له الكفاء باملوده الى ما
استنزل عنه من عمله واما ابو علي فاخطاه الطريق دعوم التوفيق فسار
مثقلا بما اجترحه من العصيان حملا لما فاته من فرصة البر والاحسان فقد
كان نيل العقد دمهد الحجرة والسدة وختمت عليه غياهب القضاء مذاهب

القضاء فهو يخبط خبط عشواء مسبلاً للقدر ومستسلماً للطوارق المحذورة
وانشد في ابو حاتم الخشني المذكر في مثل حاله لبعضهم

اذا اراد الله امراً بامرئ — وكان ذا رأي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما — يأتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه — وسله من عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه — رد اليه عقله ليعتبر

ثم وتر ابو علي قدماً على سمت الجرجانية الى ان بلغ بر المسير هزارسف وهي
قرية بقرب خوارزم من الجانب الغربي فارسل اليه خوارزمشاه من اقام له
نزلاً وقدم اليه عذراً ووعد العبور اليه غداً لمشاهدته وقضاء حق
وفادته وقد كمن له زهاء الف رجل من افناء عسكره في خمر الغياض والآجام
لاغتيال جنح الظلام وحكى لي ابو علي الحشامي احد ثقات ابي علي وكان قد نفض
رسولاً من جهته الى ابي عبد الله خوارزمشاه انه انشد ابياتاً لابن المعتز ورسم
لرسوله تبليغها الى ابي علي على معنى النصيحة وهي

اذا امكنت فرصة في العدى — فلا تبد شغلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعاً — اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها — وتأميل اخرى وانى بها

قال

قال فرويتها له وذلك قبل استباحة ابي عبد الله منه فقبلها منه بمنّه ثم
ذهل عنها كأن لم يقرع بها قط سمعه ولم يستودعها يوماً من الدهر ذرعه
ولم يعلم انها كانت رمزاً من الايام به بانقلاب النوائب وانقضاء العواقب ولم
يدر ان الافعال والاعمال جزاء يحيق باربابها وجباً او بطيئاً محسناً او مسيئاً
وغفل ليلته تلك من الاحتراس واقتدى بغفلته سائر الناس حتى اذا
انقفل العيون كراها ونقبه النجوم سراها ضجت الآفاق بخفق الطبول وعمعمة
الخيول واحيط بالقصر الذي نزله ابو علي على قلة رجاله او نيل المراد من استنزاله
فثار من حف حوله من غلمانه للدفاع وثارت جمرات المصاع وخف بنفسه
الى زعيم القوم ليسأله ما خطبك ولماذا حربك فقال ان خوارزمشاه امرك
فهرب اليه بوقف الاذعان دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة
اطفى وللاحنة انفى ولباع الانتقام اقصر ثم انث بالرأي ابصر فبادر ابو علي
الى النزول فاستوفده الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر
من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فامر به
الى بعض القصور معتقلاً فيه وشد الطلب لاصحابه وقواده فاسر منهم
الاعيان والاركان وافلت الجلو صاحب جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية
ونودي في الافراد وخدم القواد من اقام يومه بهزارسف ابيح دمه فتفرقوا

ايدي سبا في الاقطار كشوارد الامثال واعتقل الباقون على صغار وخسار
الى ان اذن الله في خلاصهم بولاية الجرجانية مأمون بن محمد وذلك انه لما
سمع بنبأ ابي علي وما ارتكب منه خوارزمشاه اضطرب لمقامه واضطرم حنقا
وبات يرعى النجوم ارقا الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يتحملون
مثاقيل الاعمال ويخوضون مشارع الاهوال وينقذون رواسي الجبال ويسترقون
العصم من شعف القلال وسار فيهم المنكو في خواص ابي علي ورجاله فداووا
غرهم الخنادق والاحن دونهم النوائب والمحن فهم يسعون الى الثار ونفي
العار ودرك الثار فعبروا الى كاث بمدينة خوارزم واحاطوا بها احاطة الاطواق
بالاعناق وناوشوه الحرب من كل اوب وصوب فظلت تلفح وجوه رجاله بمجامرها
حتى اجلتهم عنها مدحورين وحصلتهم في ربقة الاسار مقهورين ودمروا
على خوارزمشاه في قرارة بيته فاعطاهم بيديه ووصل الى ابي علي فحمل مثقلا
قيده على كعبه وتبادلت حالاهما في رقعة من اديم النهار فصار الاسير منهما
اميرا والامير اسيرا وكان ذلك على الله يسيرا وتحمل ابو علي نحو الجرجانية
في احسن شعار وحمل ابو عبد الله على قتب عار بين خزي وعار فاستقبلها
مأمون بن محمد فقابل ابا علي محمد فقابل ابا علي بالاعظام والاجلال لرسومهم
وعومل بابي عبد الله من ضروب الاذلال بما يجل عن المثال وانسلخ مأمون

ابن

ابن محمد عن مجهوده في اعتداد ابي علي واجلاله وشاطره صنوف امواله واقسام
العطايا بالغنائم ورجاله حتى انتظمت احوالهم واندمل به اختلالهم وقراه ذات يوم
وكان قد اتخذ مجلسا كانما عمل عليه صناع صنعا تزيينا وتحسينا وتنضيدا
وتنجيدا فاحتفى عليه في الشرب احتفاء لطف ومسألة اذ كان قد هجر الشراب
وودعه منذ زمان فلما اخذت الكؤوس ماخذها منهما اقترح احضار خوارزمشاه
فاحضر محجلا في قيده فلم يرد في الجواب ما سئل عنه وعثر بذيل الاطراق ووسم
الارض بالاحداق وجعلت الامر اثر امر به فاذن بهامته عن منكبه فتدحرج
الى الارض شبيه البطيخة كذلك يفعل الله ما يشاء ووصف خوارزم
لمأمون بن محمد فرتب بها من اقام الخطبة برسمه وجبى اموالها على حكمه
وتابع كتبه الى الرضي متشفعا في امر ابي علي وسائر تدبير امره بما يونس وحشته
ويجبر خلته فخوطب هو وابو علي في الملتمس بصحيفة المتلمس رضى عما ينطوي
على حقد دفين وداء في الصدر دوي وامر ابو علي بالمسير الى حضرة السرير فلاحت
له امارات بعد بحاجته واسبلت عليها ذنبه فنهض الى بخارا سائرا الى حتفه بظلفه
وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر فعلات القرون ولا مرد لما قدره ممدودا وليقضي الله
امرا كان مفعولا ولما شارف بخارا استقبله الوزير ابو عبد الله بن عزير والقواد
على طبقاتهم مهنئين ومبركين ومضى بهم الى السهلة ونزل بها واخذ عليهم الارصاد

الى ان بلغ السدة ودفع لها الحجاب وسار امامه الحجاب الى ان وصل الى الرضى
فاستوفى ادب الخدمة ولبس ذل كفران النعمة واستنزل بعقبه الهوان كابد
اخونه وفؤاده حتى اذا نودى ببداية الخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر ليسلك
هو والاخرون فى القيود والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب ايدى الاولياء
والحشم فطفقوه بالسلب والنهب وسلخوهم بين كل مضيق ودرب وخمت
حال ابى على بيومه ذلك يوم تطامن فيه صوره واستقام صعره ونضح له
ثمره واحيا على وروده صدره كذلك كفران النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه
واستياد الزمان عليه بانيابه ونوائبه ورحم الله من قال فلقد احسن المقال

اذا المرء لم يرض ما امكنه ... ولم يات من امره ازينه
واعجب بالعجب فاقتاده ... وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوما ويبكى سنه

وقد كان الامير سبكتكين منجما بمرو فلما بلغه ايقاع خوارزمشاه بابى
على عدل الى بلخ تحفظا على جملته فى الطاعة وارتيادا لمصلحة الكافة
الى ان ورد ابو على بخارا او عزى بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك
كتاب الرضى عليه بما هم به ايلك من الانحدار عن الاعالى وحيازة ما فى
ايدى عماله من اعمال تلك النواحى لبسله يحتشم الحفوف فى وجهه والعبور

لكفايته

لكفايته شغله متمما للصنيعة عنده فى استصفاء دولته واستبقاء ملكه
وحوزته فاستشار فى ذلك وجوه نصحائه ووزرائه فرجحت الاجوبة بين تبعيد
وتقريب وتخطئة وتصويب فاخذته العزة بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء
فعدل عن مشورة النصحاء الى صريمة العزيمة والراى واقبل على الاستعداد
والاحتشاد وبث كتبه الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود
وتقدم الوفود وعجل هو الى العبور قبل تلاحق الجمهور ومضى الى ما بين كش
ونسف فخيم بقربه ثم عمى داراى الى ان وصل اليه ولاة الجوزجان والختل
والصغانيان وسائر اطراف خراسان وورد عليه الامير سيف الدولة
من نيسابور فى هيبة راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجال يوزن
احادهم بالالاف وافرادهم باضعاف قد بهتهم الحروب فى بحورها وارضعتهم
التجارب من شطورها فلم يجمع معسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك
واعيان القروم وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك مجموعهم
للقائه فارسل الى الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه يذكر انهما اخوان
فى ذات الله تعالى لاتفاقهما على نصرة الاسلام واتفاقهما مهاد بار الترك
والهند بالغزو والانتقام وانهما بحكم مساعيهما فى اظهار دين الله وافلاج
حجة الله احق بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مشاطرته على ما ز

نفسه وشهوات يدينه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر حساما مغمودا وان اجتماعهما
على خطتيهما كان اعود عليهما من ركوب الخطر واجتلاب الضرر لخطة تخلص
الحجر منهما وانه لا يتحلل في دينه ان يعدل بالسيف عن اعداء الله الى وجهه الا
اذا اضطره اليه ابتداء وسامه الدفاع عن نفسه اعتداء فليختر ايهما الامرين
رآه من وفاق واختلاف وافتراق وائتلاف فهو يتبع ما رآه ويجد على غراره
فرجع اليه ان اعتماد الرضى اياه بما سيله حين خذله ابناء دولته وكفرة
ابناء نعمته يذمم الاغماض دون حيف يجري عليه وملك يراد انتزاعه
من يديه وان تعريه بجميع ما يحويه على استغراق ايام العمر فيه احب اليه من
سمة الخذلان واختيار الاساءة على الاحسان فليقطع طمعه عن النزاع
حول تلك الرباع او فليأذن بحرب يتحطم فيها متون الصفاح وتنقصد
معها عوالي الرماح وترخص عندها غوالي المهجات والارواح فلما
علم الملك جده وشاف بلسان الاخبار ما عنده فزع للامر طوعا وشد
للحرب حزومه ودعا احياء الترك بقداح الترك هي فيما بينهم علامات
الاستنفار فثار اليه الطم والرم

جيوش تضل البلق في حجراتها ترى الاكم منها سجدا للحوافر

وكتب الامير سبكتكين الى الامير الماضي يستنجده اللحاق به لتقدمهم هيبته

في

في مناهضة الخصم وفل حده وزحزحته عن صدر الملك الى ما وراء حده واشفق
ابن عزيز على نفسه من حركته للهنات التي كانت الجانية الى الحرب والبادية
من حق الطلب وتنصح الرضى بان الامير سبكتكين وعامة ولاة الاطراف عبر
النهر في احسن عدة وعتاد وابلغ استظهار واحتشاد وان المحن التي استمرت
بك فيما فضلتهم عن تحمل مثلك ووحلت بزينة الملك عن رحلك فقبيح بك
ان تجاوز من حالك الاحلى من حالك ووجالته انهم استظهارا من فرسان رجالك
والراي لك ان تشغله عن شهادتك بنفسك على ان تحشر اليه
وجوه القواد في جماهير الاجناد من اطراف البلاد وتحكمه فيما يراه من مسالمة
او محاكمة او مكافحة او مصالحة ليكون فصل الامر بيده على الوجه الذي
هو اخف عليه فكتب الرضى بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل ابن عزيز
وافتعاله وتمويهه واحتياله وقصده ان يحبط عليه سعيه الذي سعاه
في العبور واستجاشة الجمهور وتحمل الاثقال واستنفاق الاموال فحرب
الامير سيف الدولة واخاه بغراجان في قرابة عشرين الف رجل الى بخارى
لازعاجه عن مكانه وسير معهما ابا نصر محمد بن ابي زيد لتدارك الامر الذي
كان برسمه فلما احس ابن عزيز باقبالهم ورأى ليث الموت كاشرا عن نابيه
وعقاب العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فابتغى نفقا في الارض

او سلما في السماء حتى اذا اعياه ما توخاه فزع الى الانجحار ولاذ بالاستتار
فولى الرضي ابا نصر ابن ابي زيد ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب
الذي هذبته التجارب فقام بكفايته وعاده وقوم منآده وحقق عنه ما كان
قلاده ووصفه ابو الفتح البستي بابيات وفي الصدق بها حقه وهي

فديت ابا نصر المرتجى | لتفريج كل ظلام يظل
له قلم حده لا يكل | اذا كان في الحرب سيف يكل
يوجز لكنه لا يخل | ويطنب لكنه لا يمل
وكيف يمل وتوفيق من | افاد العقول عليه يمل
تجود قريحته بالبديع | عفوا لجود القراح المغل
مدق مجل واولى الكفاة | باعلى الصفات مدق مجل

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه

ابلغ مقالي كل عاف مجتد | ومؤمل في فضله لا يهتدي
عوج على الشيخ الجليل الامجد | وزر الوزارة احمد بن محمد
مزدان ملء العيون وحبه | ملء القلوب وسيبه ملء اليد
تجري امور الملك وابانجلا | وعزيمة تزري بكل مهند
ويفيض نائله ليسيل ذا عقب | فيقول سائله غرقت فدى

فأتى

فأتى الرجا الى علاه فانه | غوث الورى غيث السحائب الركد
لا زال في يوم اغر مبشر | بسعادة غراء تطلع في غد
ليقيم كل مأود وينيم كل | مسهد ويضم كل مبدد

وقد كان الامير سبكتكين احس بانتقاض ابن عزيز على ابي علي وجده في النضال
عنه لما شهده في الايام من التخلف عليه فلوح للرضي بميله الى ما يقع من نقله
الى جانبه فاوجب قبل وصول سيف الدولة اليه اسعافه وحصل هو والمنكوا
في عمارته كانت خاتمته لعمره قاطعة لروحه قاصمة لظهره وامر الامير
سبكتكين فنقل الى جرديز في محمل لم ير من قبل مثله في مناسم لطاف
برد الماء على رؤوسهم وجباههم واستغنوا عن طيب الحياة باقي ايامهم واتفق
فيما بين نهوض سيف الدولة الى بخارا التماس الملك في قبائل الترك ليستانف
مسالة الصلح فاوجب الامير سبكتكين مسالته واجابته الى ملتمسه لقعود
الرضي عن مشاهدته وقعوده عن نهضته واشترط عليه ان يخرج عمادي
فطران فلا يطلق عليه عنانه ولا يبرح اليه عماله واعوانه على ان يترك
سمرقند على فائق انجابا لشفاعته ووفاته لما سلف في تدبير الرضي من
حق طاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة بشهادة الفقهاء
والاعيان من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه صاحبه وعاد

الامير سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور وهذا على الرسم ما كان ممونجا
من امور الاعمال واقبل ابو نصر على مهمات الوزارة واكبرها شغل الاثارة لتقليص (نقصان)
الولايات وقصور الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتا في القديم من رسوم الا
طماع والاقامات وجعل يزجي فيها يوما بيوم ويغسل دما بدم الى ان ثار به بعض
غلمانه فقتلوه وذلك على راس خمسة اشهر من وزارته وضاق الرضى ذرعا بما (ماله) داد
لاتفاقه من ظن الامير سبكتكين ان هناك دسيسة لا قامره واو رضا بالحادثة بين (اظهر)
الاكتئاب واستعظم المصاب وبرز من الدار فصلى على جنازته وامر باقامة التنكيل
على الفتكة بهم وانشد في المضراب البوشنجي فيه يرثيه

قلوب الناس للمه سقاما ... ونفس المجد والهمة سقيمه
وما خفت بك الدنيا ولكن ... تركت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض اهل العصر

لما ثوى صدر الوزارة لحده ... وخوت نجوم المجد في ملحوده
اذريت من فرط المصاب مدامعا ... كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد راى قرحي ... والطرف يمزج طرفه بصديده
خفض عليك فقلت قولا زاجرا ... دعني ابكيه ببعض جوده

ذكر ابي القاسم بن سيمجور اخي ابي علي وشرح حاله بعد مفارقته عن اخيه

ولما

ولما انحاز ابو القسم عن اخيه اقام بجزة الى ان ورد الامير سبكتكين خاكستر
من نيسابور فنهض اليه متعرضا للقائه وتمهيد حال في متمالاته وولائه فرعى
حقه ورفع قدره وقوى اسره وضمن له ما سره وخطب له الى الرضى ولاية قهستان
فاجابه اليها وامر له بالمنشور عليها وحين الى ذلك بخلع عرقه بمنة الطاعة
وكسر بمنه الغرق في الاختلاط بالجماعة فاوى الى قهستان ساكن الجاش ظاهر
الرياش ثابت الجناح مريع المسرح والمراح الى ان سنح للامير سبكتكين صوب النهضة
لتدبير امر الترك وكتب اليه ليستنهضه الى ان يجمع اركان الدولة واعيانها
ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحازب وممانعة الخصم المغالب
فحملته نقوى العواقب واساءة الظن بالنوائب وطراءة عهده بمحاربة اخيه
فتبادر عن لباس الهوان وجرع من كاس الذل والامتهان على ترك
المسير والادلاء ببعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه
عند فراغه له ذاعضا لا دواكيه خطبا لا يطيق به استقلالا فبادر الى
نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب
على فعله ووازره ~~بقطاعه~~ على الاستيلاء بجمع المال واثبات اصناف الرجال
وحين سمع الامير سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة
في الانحدار الى نيسابور وامده باخيه نصر اخي والى هراة لتقضي ما امر به منها

وحصدهما نجم من شرهما فاراد ابيهما ولم يرض بهما حتى انحطا على اثرهما من بلخ
كالشهاب في اثر العفاريت فلم يرع ابا القسم وابن محمود غير اظلال الجيوش عليهما
فارتحلا مطايا الهرب وسارا الى استوا مستقبّين حد الغضب وركب من نيسابور
الاميران كانهما نبلا ثمانا شل النعم حتى لفظتهما حدود خراسان الى تخوم
جرجان وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى ان تطاير اليهما خبر
اقبال الامرا دفحفزهما للانهزام واعجلهما دون المقام وعطف الامير سيف
الدولة ونصر اخوه بعد فراغهما من تفريغ خراسان عنهما مجددين للعهد بنيسابور
وقد كان فخر الدولة علي بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه
ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة من المبادرة ومال من العين واللجين على سبيل
النثار وافتتاحا للمحبة واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله الامير سبكتكين
باضعافه من الالطاف وزاده عليها ثلثة من الفيلة الخفاف وارسل بها المعروف
بعبد الله الكاتب احد ثقاته فمضى الى فخر الدولة بجملته حليه عند اجناده وعرض
الطرق المفضية الى بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى ان رسول
المرء لسانه وعنوان ضميره وترجمان سره وان فلانا قد خالف باطن افعاله
ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير الملك لم يستقر
في سرة الارض الا تغلب علي واسود سود فخز ذلك الكلام في صدره

وخز

وخبر الحال التي يردم عمارتها في مودته وان الرضي يتبرع له بالرغائب الوافرة ويبل الحال
ببلال المصاهرة ولكنه يرى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه من مواصلة وعمارة ما بين
من ذات صدره وسائر ان يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف بما يحث به
ملكه وملككم وان ينطوي له على مثل ما يبذله من نفسه لتستحصد المراير وتتاكد
الاواصر ويتم المحالفة ويزول المخافة والمخالفة واحسن الامير سبكتكين اجابته
الى ما طلبه وانكره من سره ما خطبه ووصف الحال بينهما عن الشوائب وانتفت
عن وجوه المقادح والمعايب واستامن ابو القسم ابن سيمجور الى فخر الدولة
عند الياس من خراسان فاسنده الى الدامغان وقومس وجرجان وفرض له
ولمن اشتمل عليه من حاشيته ورجاله ما لا بد منه عليهم وسنأتي على
بقية ذكره في موضعه وورد على الامير سبكتكين مونس الخادم رسولا عن الرضي
ليستشيره فيمن يرشح للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمن يراعيها
ويشتغل باعباء الكفاية منها فوكل الاختيار الى رايه واظهر مظاهرة من كان
من وزرائه فاختير ابو المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي لها وحبي بالخلعة والكرامة
وكفل بالامر كفالة الندب والمجرب وقام بالتدبير قيام المنجح المتدرب الى ان
اختطف الرضي اجله وعثر بحبائله امله وعطف الامير سبكتكين بعد ذلك
الى بلخ وعاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسن ابن ابي علي بن سيمجور

مقيما بها بن عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع بانكشاف عسكر ابيه ركب المناهج
نحو الري فاواه فخر الدولة واكرمه وخلع عليه وفضله وكرمه وامر له بخمسين الف
درهم مشاهرة تدر عليه عند ولاد كل شهر واضاف اليه من المبار والصلات
ووجوه الاجبه والكرامات ما تميز به عن اشكاله رعاية لحق ابيه وتجافيا بجسول مثله
تحمله اوليائه وحملة اياديه فاغراه سوء القضاء ودرك الشقا بالهرب من مفترش
الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتقى السلامة والعافية حتى
زج بنفسه في لجة الثبور من كورة نيسابور مطاوعة لهوى لم كان زعم بها
فظن ان استتاره يطوي خبره ويخفي عينه واثره الى ان يقضي من هواه وطره
بعد الاحاطة الطلب به من حوالي مستتره فاخرجوه كما تحرش الضب من جحره
وعجلوا به الى الحبس من فوره وحمل بعد ذلك الى معتقل ابيه الى ان نفذ
محتوم القضاء فيه فيا لمن امر هذا سره وختم بطابع الشقاء ورحم الله
ام المؤمنين حيث يقول

لو كان معتصما من زلة احد ... كانت لعائشة الرتبى على الناس

قد ينزع الله من قوم عقولهم ... حتى يتم الذي يقضى على الراس

وكان ابرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة فلما عن لم عود النهر
لتدبير امر التزلد راى الاحتياط في الاستيثاق منه فالحق بابي وذويه الى

ان

ان حان نجم القضاء وحق عليهم الانقضاء وكذلك يفعل الله ما يشاء ولما
استقر الامير سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء الله
في ابي علي ومن كان معه في حلق الوثاق واستتبع خبره موت الملوك
والعظماء باطراف خراسان والعراق في مدة انسلك كعوب انامها
وتناسقت فرايد نظامها وكانهم كانوا على ميعاد وذلك اثر تلاحق خبر
مامون بن محمد والي الجرجانية في قتل طائفة من اصحابه في مادبة صنعها
صاحبها واستحالت لما دبره مندبه والدعوة مناحة والغناء عويلا
والسرور حزنا طويلا وورد فيه خبر الرضي في مرضه ولم يتمد فيها اياما حتى
الم به حمامه وانتقل الى تراب نعماء شبابه وكانت وفاته يوم الجمعة
لثلث عشر خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة ولقبه كاتب
بابيه بالرضي فرحمة الله عليه رحمة تبرد عليه ضجيعه وتروح روحه فقد كان طود
الملك زال بزواله وركن عن راسية بزلزاله وتتابعت المصائب على الامير سبكتكين
بعده في تلك المدة بشقيقة لم كانت اعز اهله عليه واولاد صغار وغلمان
دار وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وايس من الانتعاش فتاق الى غزنة
استرواحا الى طيب هوائها واستشفاء بنسيم ارضها ومائها فاخذ المقدور
عليه بالمرصد واخترمته يد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة

ومن عجب العجائب فى ايامى حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل فى اقبالها وزوالها
فقال وهو يشير الى كاتبه ابى الفتح مثلنا ايها الشيخ فى اختطاف المنايا ايانا واحتاشل
القطيع بعد القطيع كالجراد الى الضانية منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوائمها للجز
فلا تزال تقلق بخلاف العادة وتضطرب خوف الابادة الى ان يقضى الجراز
وطره فيحل وثاقها ويحسن اطلاقها فترتاح لما يتاح لها من النجاة ويعاد اليها من
روح الحيوة حتى اذا كانت من قابل عاد الجراز لعادته فيها فطفقت لها بين
امل وياس ونفرة واستيناس تظن ان الامر كما عهدت تارة وتخشى خلاف العادة
اخرى الى ان يقع الافراج عنها فتظفر فرحى بالنجاة وتعود مرحى فى النبات فما
هى الا الثالثة حتى تتلقاها الجراز فيهم التفرقة على وجهها الوثق ما كانت بالعادة
وابعدها من المخافة وامنها من الافة كذلك نحن فيما يتعاقب علينا من الامراض
ويلم بنا من الاوصاب بينا نحن نحسن الظن بما يطرق منها اذا قامت الداعية
وسارت بها الناعية فكان بين هذا القيل وبين ان قضى نحبه قدر فواق
الفصل فقضينا العجب بعد لما املاه المقدور فى شانه على لسانه وقد كان قبل
وفاته استجد عمارة الدار المعروفة بسهل اباد وانفق عليها مالا عظيما فلم يقع
لسكانها حتى خذله الرجاء وحق عليه القضاء واعتاقها ولده من بعده فاهملوا
امرها حتى تداعت بالخراب ومر بعض الافاضل فانشد وقد اجتاز عليها بسهل اباد

عليك

عليك سلام الله من منزل قفر | فقد هجت لى شوقا قديما وما تدرى
عهدتك مذ شهر جديدا فلم اخل | صروف النوى تبلى مغانيك فى شهر

فلحى الله دنيا نامن شيئا تاكلا ولا دهرا عقوقا وجانبه لا نرعى لاصحابها اذمة ولا حقوقا
والى الله المشتكى من صرف الزمان وريب الحدثان ورثاه ابو الفتح البستى كاتبه بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والدولة | حياه ربه بالكرامه
وتداعت جموعه بافتراق ۝ | هكذا هكذا تقوم القيامه

توكل على الله فى كل ما | تحاوله واتخذه وكيلا
ولا يخدعنك شوب صفا | فانى قليلا واروى قليلا
فان الزمان يذل العزيز | ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله | وكان المهيب العظيم الجليلا
اعد القبول وقاد الخيول | وصير كل عزيز ذليلا
وخف الملوك بهم خاضعين | وزفوا اليه رعيلا رعيلا
فلما تمكن من امره | وصار له الشرق الا قليلا
واوهمه الغر ان الزمان | اذا رامه ارتد عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة | وسلت عليه حساما صقيلا

كذلك تفعل بالشامتين ... ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ... ولم يجد قبل عليه قبيلا

مضى الامير نصير الدين مغتبطا ... في فتره بمتاع لشبهت علما
قد كان مده ما قد عاش منتصبا ... لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا ان يجيء وهمى ... والنجم والرجم اشكالا زكا وسما
يا من اسال قلوب الكاشحين دما ... من فقدك الان ابكت الدموع دما
لئن اباح صروف الدهر ساحته ... فانظر الى الملك والاسلام كما
فالدين منثلم والملك منهدم ... وظل حبل العلى والمجد منجذما

وردت الحادثة الى فخر الدولة علي بن بويه وكانت وفاتها في شعبان سنه سبع وثمانين وثلثمائة وكانت سبب انقراضه انه فرغ القلعة التي استحدثها على جبل طبرك مرتاحا للانس فاشتهى طرائح من لحم البقر فحرث بين يديه واحده وطفق اصحابه يتصفحون لمن اطايبها وهو يتناول منها فاتبعها بعنا قيد كرم ودارت عليه الكؤوس بينها ملاء وولاء فلم يلبث ان لوى عليه جوفه واثقل على الالم صوته الى ان ختم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

ولا

ولا تغرركم حسن ابتسامي ... فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني ... اخذت الملك منه بسيف هلكي
وقد كان استطال على البرايا ... ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما ... لقال لها عتوا اف منك
ولو زهر النجوم اتت رضاه ... تابى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعد ما فرغ البرايا ... اسير القبر في ضيق وضنك
اقدر انه لو عاد يوما ... الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس فكرك في ملوك ... مضوا بك ويك فابكي
فلا يغني هلاك الليث شيئا ... عن الظبي السليب فتيق مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد ... يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل تنا ... يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
الا يا قوم انتبهوا فانا ... نحاسب في القيمة غير شك

فاما مامون ابن محمد فان ابنه عليا ولي الامر بعده وتسارع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى نصابه وعنه واما الرضي فقد كان عهد بملكه الى ابنه الامير ابي الحرث منصور ابن نوح فلما استعز به الموت ومضى لسبيله تناصر على بيعته الاولياء والحشم وفرق بقايا الاموال وخبايا الذخاير والاعلاق في عطاياهم

وتخطفوا أطماعهم حتى استوسقت أمور الجماعة واتسقت الكلمة في الطاعة وبقي أبو
المظفر محمد بن إبرهيم على الوزارة وأما الأمير سبكتكين فقد عهد إلى ولده إسمعيل
واستخلفه على أعمال بلخ وأوصى إليه بأمور أولاده وعيال الرجوع وجوه قواده وحملهم
على طاعته ومتابعته والرضا بإيالته وولايته فلما طرق الناعي بوفاته بادر إلى
عقد البيعة له وإمضاء الوصية فيه واستقر إسمعيل بعد قضاء المأتم على سرير
الإمارة وأمر بفض الختوم عن بيت الخزائن وصب الأموال حتى أرضى الرجال وأما
فخر الدولة فإن عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الأمير مجد الدولة أبي طالب رستم بن
علي فخر الدولة ففوضوا الأمر إليه وحفظوا نظام الملك عليه ولقبه السلطان
بمجد الدولة وكهف الملة وسيأتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على
الأثر وأنشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة وتبدل
أحوالها وتفاني أمرائها قصيدة منها هذه الأبيات

ألم تر مذ عامان أملاك عصرنا ... يصيح بهم للقتل والموت صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى ... على حسرات ضمنتها الجوانح
وبابوس منصور في يوم سرخس ... تمزق عنه ملكه وهو طائح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى ... أسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ... ووالي الجبال قد علته الصفائح

وصاحب

وصاحب جرجانية في ندامه ... ترصده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تبادروا ... كؤوس المنايا باد الدما سوائح
وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه ... وعن له يوم من النحس كالح
وكان علي في الأرض يخبطها ... علي إلى أن طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر عاصل ... وعن له طير من الشؤم بارح
فصاحب بست ذلك الضيغم الذي ... براثنه للمشرقين مفاتح
أناخ به من صرعة الدهر كلكل ... فلم يغن عنه والمقدر سانح
خيول كأمثال السيول سوابح ... فيول كأمثال الجبال نوازح
جيوش إذا أربت على عدد الحصى ... تغص بها أفنانها والصحاصح
ودارت على ضمضام دولة بويه ... دوائر سوء نيلهن فوادح
وقد جاز إلى الجوزجان فناظر ... المحنوة فوافته المنايا الطوائح
وفائق المحجوب قد حث عمره ... ففاظ ولم ينشب في الأرض نابح
مضوا في مدى عامين فاختطفتهم ... عقاب إذا طارت تخر الجوارح
وكان بنو سامان أطواد عزة ... فأضحت لصرف الدهر وهي أباطح
أما لك فيهم عبرة مستفادة ... بلى إن نهج الاعتبار لواضح
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ... فلا تخطبن منها لمن هو ناكح

فليس بغي رجوها بخوفها ومكروهها اما تدبر راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح

ولما انفضى امر الامارة الى ابي الحارث منصور بن نوح وهو في حد البلوغ ونزع الشباب وعند مستهل المحرم ومستصبح النجابة ومستوضح الاصالة اقام ابا المظفر محمد بن ابراهيم وزيرا وفوض الملك الى فائق كفالة وتدبيرا وكان عبد الله بن عزيز انفى بشوكة الامير سيف الدولة عند قصده بخارا بالاصعاد الى الاعالي فلما انقرضت جولة الرضى اطمع ابا منصور محمد بن الحسن الاسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار الى بخارا مستغنيا بايلك الخان على نيل الارب المنشود واصابة الغرض المقصود فنهض ايلك بمصاحبتهما وساق الى سمرقند بهما حتى اذا اناخ بمرج على ظاهرها اتاه ابو منصور في خف من غلمانه زائرا فاحتبسه بعلة الطعام واحتال بين الحشم والاستخدام فامر به وبابن عزيز فشدا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاغلال وارسل الى فائق فلما اتاه اجله ودفع محله وخصه من مكارمه اكبارا له وضم اليه ثلثة الاف رجل وامره بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على ما رسم له فلما بلغ ابا الحارث خبر اقباله ارتاع عليه وجبه

الصواب

الصواب وصعر عليه رحيل الغراب واعجلته نضاعة الحجر عن التدبير فبادر الى العبور بمن معه من صغير وكبير ودخل فائق بخارا فبادر الى التراب ولثم حد الارض وجلس مجلس الحجاب واظهر القلق والالتياع لاختلاف ابي الحارث بدار عزه وشرفه ومقر العزيز الماضين من سلفه وجشم مشايخ بخارا النهوض اليه في مسئلته تقديم الاياب وتعجيل الانقلاب اذ ذاك به وامرها الكتاب اليه في احماده على طاعته وتقريبه فكان مقتضى مخاطبته من جعل ولب الله زماما بيده والمناصحة اماما تهديه وبرشده فسعود وفوق حيث قصده هذه ومحمود بنصرته وارتاح ابو الحارث للانصراف حين امن من خلب الخلاف ودبر قبل عزيمة الراي بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة على بابه الى نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه فائق مقيما رسم العبودية ومؤديا فرض الطاعة المحمودة وانكفأ الى بخارا واستقام له الامر وجهد ذلك الهجر وقد كان بين فائق وبكتوزون شحنة واحنة في الصدر قديمة فاستحلفه ابو الحارث على الا غضا له فيها والاغضاء عنها والعفو عما حز في صدره منها استئنافا لاقدامهما في الطاعة واستجماعا لاهوائهما في المتابعة فاظهر الانقياد وحلف بما اراد واستقرت امور السالارية على بكتوزون فجبى اموال خراسان لابي الحارث

من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت الغرة في راسه فارتقى من فضل سلطانه
وولى نعمته الى ان عرض بين الملك المهلك والدولة للعول وارخى الدهر عناد
لا ينحسر عنه وضره ولا يرفع عن وجهه قتره

ذكر الامير سيف الدولة محمود وما جرى بينه وبين اخيه الامير اسمعيل بن ناصر الدين

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمح اهل العسكر الى مال
الخزائن فاسرع فاطلق لهم استخفافهم المعتين استصلاحا لذات البين ثم احس
القوم خورا في عوده ورخاوة في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولا
شفاقه على نفسه من جانب اخيه وقصده وانتزاعه الامر من يده واستوطئوا مركب
الطمع واستسهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على رواتبهم
حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت الخزائن عما جمع للاستظهار
به فاضطر اسمعيل الى ان يفرغ فيما ينوبه انفاقا من مؤن اطماعهم الى العدة
التي كانت مذخورة لغزنة فلم يقفوا على حد لهم في الشغب عليه لا صرح ثم وخ ثقل
تلك الاموال وتفرق جمع الاولياء والرجال ولما ورد على الامير سيف الدولة
نعي ابيه وقضى ايام المصيبة بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته
عن عارض الرزية واتبعه بابي الحسن الحموي في ادكاره بحق الكبير وما يجب
له بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين الباصرة او الق

واليد

واليد الباطشة وانه سيبلغ في امره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به مناه
مناه وان الامير سبكتكين انما افرده بالوصية لاعجال المنية اياه من وضعها
منه موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف
الشقة وان الراي فيما هيا له من توفيته حكم الرياسة ومشاطرته الارث من
ذخاير الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحاشيته ومعشش خاصته
وعامته على ان يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها وينقله الى نيسابور ويرد على
ما كان بيديه من اعمالها ونواحيها فاستشعر اسمعيل ما كتب الله اليه من
النكبة في ايامه حتى كانه يراه براي العين ويدرس عليه كتاب البرهان
فلم يرده الا على الاباء والالتواء وتعريض تلك الاموال للانواء وتوسط
والي الجرجان ابو الحارث بينهما على ان يسكن نائرة الخلاف ويقف بهما
على نقطة العدل والانصاف واراد كلا منهما على التلافي قبل التباس كل
منهما اخاه ويفتر جمر من مراده ويقدح جمر من زناده اذ كانت لوجوه المنافع
حرمته تعز مثلها على ظهر العباد في حال التجرد والانفراد فاما الامير سيف الدولة
فانه راى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واطلابا واما اسمعيل
فانه تردد في الاجابة ولحظ الامر بعين الاستبداد وراى الحكم بما يقترح عليه
من مال الارث وان كان فادحا كلا اهون عليه من ذلك مراما او به

مجلا والتواما ذعرا ثم كسر من نفسه وسرى الحصيم قلبه وخففه ما لك برقى
ادويه الظنون ونفر عن ضم الفؤاد للسكون وانشد ثم ذات يوم ابياتا
لسيف الدولة الحمداني في اخيه ناصر الدولة متعرضا بالالقبة التي هي اوطانها

واخصب مرتعا ومرادا

رضيت لك العلياء وقد كنت اهلها ... وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك لي عنها نكول وانما ... تجافيت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من ان اكون مصليا ... اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فرجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون الغرض المقصود
لها من همه وجعل الامير سيف الدولة يتدبر ما عراه لاستحباب الرفق على الخرق
وايثاره الرفق على الجفاء وادخاره الكى لاخر الدواء حتى اذا اغار نجم الموادة
ودق جلباب الحشمة استعد لاتيان الامر من بابه وورود المشرع منه الخفا
وخاطب الامير ابا الحارث بما عن له من المهم الذي لا يسعه غير تلافيه ونثل
كنانة الوسع الطاقة فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله وقواده المندوبين
لاتباع مثاله الى هراة واستانف مكاتبة اسمعيل بين دعوة ووعيد وتمنية
وتهديد وترجيح بين الياس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم
يغن ذلك فتيلا ولم ينقض من قوى عقده سحيلا وداحت المكاتبات

بينهما

بينهما حتى حد مزاج الكلام واشتد لفح الخصام واعيا فصل الامر الا بحد الحسام
ودعا الامير سيف الدولة عمه بغراجق الى مساعدته واتباع مصلحة البيت
بمتابعته فتسارع الى طاعته واقر بالحق عليه في مشايعته واتباع رايه
وخف معه الى بست وبها الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين
فصادف الامير سيف الدولة منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا
هوى منه لم يرض بزمام وخطام ومحبة لم تذلل باسراج والجام فبرع
بانقياده وتسرع الى المراد دعوى في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما سمع الامير
اسمعيل نزول الامير سيف الدولة على جانب غزنة سبقه اليها من جانب
البلخ منجردا للممانعة متحشدا للمقارعة والمدافعة وسار الامير سيف الدولة
في عمه واخيه وسائر اوليائه ومواليه حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه
من قبل كتب الاعيان من قواد اسمعيل بما لانه عليه لما عرفوه من وهي
امره في الرياسة وضعف يده عن حق السياسة وترددت السفراء بينهما في
الاستصلاح وكف غادية الكفاح فابى الله الا ما كان مفعولا وحبل
الحرب مشهورا والحق منصورا وانتدب الامير سيف الدولة للحرب تعبى المواكب
وترتب الجيوش كواكب ودلف الى القتال في رجال كالرماح او كالنصال
الطماح يهشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع ويرتاحون للكفاح ارتياح

ارتياح الهيم للماء القراح

سفع الذوائب وجوههم فكأنهم   وأبوهم سام أبوهم حام
تخذ الحديد من الحديد معاقلا   سكانها الأرواح والأجسام
مسترسلين إلى الحتوف كأنما   بين الحتوف وبينهم أرحام
آساد موت مخدرات ما لها   إلا الصوارم والقنا آجام

وبرز إسمعيل بمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال أبيه وقد حصن الصفوف بفيلة العظام كأنها أركان يذبل أو هضاب شمام ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك ورحضا اللهام من تحت الذوابل فظلت رحى الحرب بفركهم ثفالها وتدور عليهم بأثقالها إلى أن رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالأمان من سبق وعده وطلع بالإقبال سعده وعندها حمل الأمير سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخالطت الصفوف وخطبت على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة أخذت العيون من الأشباح وأذهلت النفوس عن الأرواح وندرت الأعناق بأيدي الصفاح وانقضت الحماة من وقع السلاح وظلت سنابك الخيول تردي على جثث النفوس وتلعب بأكر الرؤوس

تجري الجياد من القتلى على جبل   ومن دمائهم تخوض في وحل

ومن جماجمهم تعثرن في شعر   ومن ذوائبهم تمشي في شكل

فلم ينشب أن أسفرت الهيجاء عن مساقط أبدان تحت أيدان وأجسام فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يمسحون طول الأرض خوفا من حر العقاب ومس الحساب وانحاز إسمعيل إلى قلعة غزنة متحصنا بها في العاجل من الطلب إلى أن تلطف له الأمير سيف الدولة فاستنزله على الأمان حين ضمان وجاوده بمعروف وإحسان

ذكر ما جرى بين أبي القسم سيمجور وبكتوزون

وقد كان أبو القسم ابن سيمجور انتقل إلى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على ما وليه فضوى إليه من شذ عنه من عساكر أخيه وموالي أبيه واتصل به طوائف من أبطال الأكراد والعرب فاشتدت به شوكته واحدودبت أنيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التي ينطوي عليها فائق لبكتوزون ترصده بالحبائل وترميه بأغوال الغوائل فأرسل إلى أبي القسم يحرشه عليه ويغريه بقصد ما يليه من قيادة الجيوش متى أجلاه عن مكانه وجلاه في معرض العرض العجز على سلطانه حتى أنهضه عن جرجان تاركا للعين بالضمار وعارضا للملك على خطر القمار وكان مثله كما قال

وإني وتركي ندى الأكرمين   وقدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء   وملبسة بيض أخرى جناحا

ونصل عنها قاصدًا نيسابور في جماهير اصحابه ممن ضرستهم وقائع الحروب
ونجذتهم قوارع الخطوب وكوتهم صروف الايام بمياسمها وداستهم احداث
الليالي بمناسمها وافرط ابو علي بن ابي القاسم المعروف بالفقيه على مقدمته
الى سفراين ولقيها بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة الحرب وتساقيا
كوس الطعن والضرب وتدارك الامداد على ابي علي لقرب المخلى بينه وبين
اصحابه فجفل عنه اصحاب بكتوزون منهزمين الى نيسابور وقد اقتسموا بين
جرح وكسر وقتل واسر وسار ابو القسم سير السحاب تحثه ريح الجنوب حتى
اناخ بظاهر نيسابور مستطيلًا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل اليه
بكتوزون يعلمه ان الحرب سجال وحسن الظن بعواقبها محال وان في قرع باب
البغي تعرضًا للبلاء واستبدادًا على سوء القضاء وانما يصبر على الكفاح من
لم يجد وجهًا للصلح والصلاح فامّا من كان في فسحة من الراي وندحة من الاختيار
فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها في مباشرة القتال ومساورة الابطال ومعاناة
الاهوال وان الراي له ان يتحول الى قهستان ليختزل من الامر في الحرب
ولا يتراه منها دعا به لحق خدمته وحرمته وسابق مودته واذمته فضى به
ابو القسم باذن مستكة عن الانتصاح منسلخًا عن الصلاح وحمله الادلال
بحاله ورجاله على التحكم والتعنت والتمنع والتغضب واهاب بعسكره الى الحرب

فاصبحوا

فاصبحوا على مقاساة الطعان والضراب ومعاناة الحرب ببيض الصفاح
وزرق الحراب ذاهلين عن مصرع الغرور واثقين بمطلع النجح والظفر وعبّى بكتوزون
رجاله للقتال واشباله الاتراك في سائر من اظلتهم رايته من قواد الامير ابي
الحرث وانصاره والمعتصمين بذمة شعاره فالتقوا بالتز قرية تدعى نيجه
بظاهر نيسابور واختلط ابو القسم منه نحوها وجومًا ولاث مكاودة الحفاف
فرويًا فاشتبك بينهم نجعًا بالمناصل وضربًا بالمعاول ووخزًا باطراف
العوامل واشتعل اصحاب ابي القسم فيهم كالنار في دقائق العوسج ويبيس
العرفج ضربًا هبرًا وطعنًا نثرًا ورميًا سعرًا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طرحًا ودحروهم
ونثرًا حتى اذا ظنوا ان قوادم الهزيمة قد ارجفت لهم من خوافي الغمة حمل بكتوزون
قلب ابي القسم بحملة ازلقتهم عن المقام واعجلتهم للانهزام فانصاعوا مخذولين
مفلولين يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض في منهزمهم على ابي
القسم الفقيه احد اركان ابي علي في ايام عشيره وايزو دهايه ومذكور غنائه
ومضائه وعلى عدة من قواده ووجوه سواده وفر ابو القسم في شذاذ عسكره
هائمًا على وجهه حتى اسند الوجيف الى قهستان وذلك في شهر ربيع الاخر سنة
ثمان وثمانين وثلثمائة وكتب بكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما اتفق
عليه من عز النجح فشرح الجمهور واثلج الصدور ما خلا فائقًا فانه اغتم واهتم

وكادان يعقد المأتم للملك وسار ابو القسم بعد ارتياشه وانتعاشه الى بوشنج متحكما
في اموالها واعمالها ومناهضة لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهما على وصلة
انعقدت بينهم ورهن ابو القسم ابنه المعروف بابي سهل فما نفع بينهما الخلاف
وحصل الاتفاق والايلاف وعاد ابو القسم الى قهستان وكر تكوين الى نيسابور
في رجب من هذه السنة وجرت بين فايق وابي المظفر محمد بن ابراهيم ملاحات
في تدبير الاعمال والاموال فارصده لها بالسوء وقصده بالمكروه من اكثر الوجوه
فلاذ بابي الحرث من قصده واستامنه على نفسه فاواه ذراه وادر عليه مباره
واتاه فايق يسئله تمكينه منه واشاره بترجيحه بالرد واغلظه في القول
فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك والاخلال بجلالة
الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فنفثوا فاه فاقتاص عن رايه واستماحوا الامير
ابا الحارث حسن عفوه واغضائه وسير ابو المظفر الى ناحية الجوزجان
وسد مكانه بابي القسم البرمكي فصدق فيه فراسة المعروف بالمضراب الشاعر

وكنا زمانا نذم الزمان ٥ ونزري الوزارة بالبلعمي
فادونا العمر حتى انتهت ٥ من البلعمي الى العتبي
وسوف تؤول على ما ترا ٥ منه قريبا الى البرمكي

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه صفة
البخل

البخل وحين ولي الوزارة ناقض اولياء ذلك الباب في اعطياتهم الواجبة وجراياتهم
الراتبة وغاض اطماعهم في خاصته بزند شحاح ووجه على الرد وقاح فلم يصر الا
ريث هشم قفاه لرد نوى عطاياهم واوصالهم ولقد احسن من قال

يقول لدعبل في ثوبه جبل ٥ ولو يمس بناني دعبل خبلا
لا والذي سبل الصهباء مخترقا ٥ والكاس بانوته ما شاد من نهلا

ذكر هبوط الامير اسمعيل من قلعة غزنة

واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعته على ان بذل له ضمان
اجله وتسلم منه مفاتيح الخزائن واخذه بتنزيل الاعلاق والذخائر وجرى له
كرجاله واعاد اليه رونق ما به وجال الروشن عن نبز شقاقه والكفاة من حاشيته
وانحدر الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد انتظم له بعد ما انتثر بعد ابيه واستقر
عليه ما سعى في تلافيه نغصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات
الاعلام من اقباله فكتب الى الامير ابي الحارث يذكر اقباله وحقه فضل
الشغل بالحضرة عن بالرفائع ثم مقام ابيه في المامات عن الدولة وللنضال
عن المملكة والاقبال على حقوق ما عرفه من وكره اصطناع الرضى واصطفاء تقديمه
على غاية خدمه واوليائه فارسل اليه ابو الحسن العلوي الوصي الهمذاني في تجنبه
عهده واظهار اليمن بموطئ قدمه وعقد له على بلخ والترمذ وما والاها ودباد
هراة وبست وما تاخمها وداناها وتلطف في الاعتذار اليه من امر نيسابور

حرصًا على نزعته وكراهة لصرف بكتوزون الابعد بقضيته فعلم الامير سيف
الدولة ان تلك المنافسة صادرة عن تمويه الحساد وتلبيس المنادين والاضداد
فان داء الحسد ليس له علاج وان صلوة النجح بغيرنا تحمد البوضاج فارسل الى الامير ابي
الحارث ثقته الحمولي بهذا يا نقض يمثلها سمع النفوس وتضيق عن قدرها
رحب الصدور ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب المفترين وتزيين المزورين
ويتلطف لاستخلاص سره له واستصفاء محله قبله ليرتفع الحشمة وتتاكد
العصمة ويستحكم الثقة بان نحميه بعرصات خراسان على موالاته ويدبر
اموره باثره فلما ورد بخارا اعرض عما وجه فيه اليه وعرضت الوزارة عليه
لوافر موروده خلو صدرها عمن يستقل باعبائها فكان مثله كما قيل

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

واشتغل بالوزارة عن حق السفارة واقبل على الامر بوجه الجد المستبد بزيكر
ما انتفق عليه النهر وكتمان ما تم عليه الجهر ولن يصلح العطار ما افسد الدهر

وانشدني المضراب لنفسه

وكان ندم الدهر من غير حنكة بيوسفه والبلعمي وغيره
الى ان رمانا بالعفاري وجمعه وعاندنا في عبده وغزيره
وما قد دهانا بابن عبد وجوره وقاب ابي زيد الخبيث وشره

ثم

فلم يرض بالمقدور فيهم فانما بكل كبير في الورى وعويره

ولما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الآراء وتخاذل التدابير والاهواء
واشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحاء واغماضهم صلاح انفسهم في وجوه المخايل عن امر الرای
والاغضاء في التوجه الى نيسابور على ما كان يليه في جماهير اوليائه ومواليه وحين
سمع بكتوزون باقباله زحزح عن نيسابور غضبا ابقى على عدته وعتاده واشفاقا
على عدد رجاله واجناده وكتب الى الامير ابي الحرث بفصوله عن مكانه اخذا بالوثيقة
ومحاماة على الحشمة واحترازا عن معرة اللقاء قبل اختبار العزيمة والرأي فحملته
سكرة الحداثة ونزق الصبى والغرارة وقلة النظر في العواقب وعدم الحنك من
التجارب على الاعتداد الى خراسان فيمن انحضر الامكان لسلامته من وجوه خاصته
وسائر حاشيته وسار الى سرخس كالسهم صادرا عن وتره والسيل صائرا الى
منحدره فعلم الامير سيف الدولة ان قصده اياه من نتائج التغرير وقبائل الرأي
او التدبير ومهاترة الناصح او المشير اذ لم يكن في منية القوم مقاومته على شدة
باسه وملاقاته على قوة مراسه اذ لو فتك بهم ببعض جنوده لغادرهم رمادا تذروه
العواصف وتقتسمه الشمائل والجنائب لكنه راى ان يغضي جفن الاحترام ويحمي
ستر الاحتشام ويرعى سابق الحق والذمام فخالف طريقه الى مرو الروذ مفرجا
له عن نيسابور الى ان يتمكن من انتزاعها ببينة يتركه في معرفتها القاصية والدانية

وحجة على مناويه ومخالفيه بتصورها الحاضرة والبادية وعطف الى قنطرة زاغول
فخيم بها مراجعا لما ينفرع عنه التدبير وينكشف عن حقيقة الضمير وبادر بكتوزون الى
مناخ الامير ابي الحرث وهناك فايق في قضه وقضيضه ولفه ولفيفه فلما وصل
اليه انكر محله لديه لتقصيره في حق مقدمه تجاه عليه فشكى الى فايق ما انكره وشكى
اليه فوق ما ذكره ونذا ولا بينهما ذكر معايبه ونقا ولا اخشوشن جانبه وخوونة الغلام
وضرايبه واغريا اهل العسكر بخلعه والتماس الراحة في الاستبدال به فاتفقوا معهما
في جوير المساعدة حرصا على لذة الاستطراف واغتناما لنهزة الاستضعاف فانحشر
بكتوزون بعلة اجتماع العسكر بينهم اجتمع الى قنطرة فيه واشاروا الى وجه الصواب في
تلافيه حتى اذا حضره حصروه ووكل بمن سمل بصره غيرا وتفجيعه بطلب نجوحيا من حين
ما كان رداء جمال وعمود اعتدال وطلعة هلال ودروع عزة وجلال ولقد
اجهش عند الاستسلام في حاج لذلك خاف المؤنة عليه ومنها صبابة من فاسح (صح)
عنه عن ذل المناظرة على مال المصادرة فكابده بخلاف حاجبه ونفيض سلطه
الهدايا لنا والحسرة في صدره ومضاعفة لثقل المحنة على ظهره وفعل الموتور بما لا سوى
له ولا يبقيا معروجه هو وفايق الى اخيه عبد الملك ابن نوح وهو اصغر منه (تمهم)
سنا واضعف ركنا فاقاماه مقامه وسداه مكانه وماج الناس بعضهم
في بعض للفتنة الشاغرة والاحوال المتنافرة ونذر الناس بالامير سيف الدولة
انه

انه قد خيم بقنطرة زاغول فكروا على ادراجهم كالثعالب الرواعي اذا رعتها الفوارس وجلجلت
بها الكلاب النواهس حتى اخذوا قرارهم بمرو فارسل الامير سيف الدولة الى الكافلين
بالتدبير يعجب اليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من ازالة الحشمة واضاعة الحق والحرمة
غير ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا متهيبين للاحدوثة الشنعاء
على السنة الذاكرين مدى دهر الداهرين وامتدت المراجعة في الحادث الكارث وفيما
يحلله من انتهاز الفرصة فيهما واهتبال الغرة منهما تطبيعا لما عن صاحبهما في حديد
الرعاية ومزيد الولاية وكلاهما بالاحجام الاحزام طالبه سعادة الجد بالاقدام وحرض
على الانتقام للدين والاسلام ثم داعيان يحث عن مناخه الى ظاهر مرو لتكون
لطائفة الصلح وجاها او سفاهة السيف شفاها ولما تسامع القوم باقباله
دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهل في تفاريق اعضائهم واستطار
الخوف في زلج دمائهم ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله الا ان ينتقم منهم بسيف سيف الدولة
جزاء عن فعلهم الفظيع وخطبهم الشنيع وسعيهم المذموم عند الجميع فصب عليهم
صب عزالي الغيث منوه المرزمين غيرا بقصة غيث قطره غيث وغيم حشوه ضيم وسحاب
حمل عذاب وكذالك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد
دبر فايق وبكتوزون بملوا الجما عبد الملك ابن نوح وسائر اهل العسكر الى ...هم

روم مقابلين لعسكر الامير سيف الدولة يعلنان جلادة ويسران بلادة ويقيدمان لحظهم
العيون ويحيجان خيفة الحرب الزبون قد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فحجوب
الانظار عنهم مردودة وذيول الخذلان عليهم مجرورة وبوادح الادبار وحجج
الدمار من كل اوب وصوب اليهم محشورة وظل القوم يدمرون على الدما وبها
مثون تهافت الفراش في النار ويقتلون الانصار بين الانصار كما قال الله
تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا يا اولى الابصار ويزدد النفرة
بينهم وبين الامير سيف الدولة في مواضعه على سلم يبلون معها في العاجل
من شدة باسه ويفتدون بها من مرارة كاسه فاحسن الامير سيف الدولة الجابهم
الى مواضعهم على علمه باستبطانها الختل والحيلة واستشعارها الغدر والخديعة
الزاما للحجة وطمعا على الشبهة واعذارا الى الكافة وبراءة من خطة البغي في دفع
المكافة فما كان الا ان قوضت للرحيل خيامهم ونشرت للقفول اعلامهم حتى
ثاروا وثار القوم على اثره لانتهاب عسكره ويظنون بانفسهم الظنون وانما
يتعجلون المنون ويبعثون اذناب الاراقم لو كانوا يشعرون ولما راى الامير سيف
الدولة ركوبهم مطية الضلال واقتحامهم مسبعة الاحلال معلقين خيوط
الرقاب بالحرص الغالب الطمع الكاذب لا يثنيهم حلماؤهم عن السفه والخبط
ولا يحجبهم كبراؤهم عن التهور والتورط علم ان ذلك امر يراد وداء خلطه البغي الفاسد

واتفق

واتفق ان شرهم بالفساد مغمور وان السفيه اذا لم ينه مامور وامر بالثائرين بجانش اليهم من
حواشي الجيوش من طيفوهم بالمصق والرشق واضجعوهم الا من شاء الله على صعيد
الارض واستخار الله في الكر على بغاة السوء محاكما اياهم الى البيض القواطع وبنات
بنات الرماح الشوارع ومسجلا على الانصاف منهم بشهادات القنو والجوامع
واقبل قريب الجيوش قلبا كثهلان وميمنة كرضوى وميسرة كابان وحضن المصاف
تزها ما بين من فيلق كرعن الجبال ودكن الخاب الثقال مغشاة بجلاجل
تعور منها غير حدق النواظر وحدا بها لانتاب القوافر فهول ساسانها عليها
بمرهفات كالبروق الخواطف وصفارات كالرعود القواصف وقد نشرت
عليها التماثيل السود كانها الاساود والاسود تخيل اضطراب الرياح فيها
انها ترجف للالتهام او تنقض للاختطاف الهام وتغالت عليها اطراف العوامل
فكانها آجام السواحل تاوي بها شياطين الانس فرسانا وعفاريت الهند والترك
مردا وشبانا انبض عليهم سابغات داود كصفائح الماء تجلوها الشمس سافرة
وتزهاها التمال سايرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام فظاهروا عليها
بالقلوب حرصا على الانتقام وهم يانسون بمباشرة القتال ومساورة الاهوال
واستثارة المنايا عن مرابض الآجال انس العيون بانسانها الباصرة والقلوب
بالبابها الحاضرة ووقف الامير سيف الدولة في القلب بنفسه والخوف نصب

واسمعيل ابني ناصر الدين سبكتكين وبغراجق فكانما عناه ابو فراس بقوله

علونا دوشنا باشد منه   واثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى   ظننت البر بحرا من سلاح

والسنة من العذبات حمر   تخاطبنا بافواه الرماح

واروع جيشه ليل بهيم   وغرته عمود للصباح

صفوح عند قدرته كريم   قليل الصفح ما بين الصفاح

فكان ثباته للقلب قلبا   وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيبة وافرة وهيبة حاضرة فكادت الارض تمور

والجبال تثور والنهار الناهر يحول والفلك الدائر يذول او يزول ونذر القوم

باقدامه واقبال الرايته واعلامه فقامت عليهم القيامة واستفاضت فيهم الحيرة

والندامة واقبل بعضهم على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الامر الامر

واجتلبوه من الصيلم الاد وحفزهم حافزة الضرورة عن المشهورة ففزعوا الى

الاحتشاد وبعثوا بالركوب الى القواد والافراد وبرزوا من جدران المدينة

في قوافل واصبحوا يوم الثلثاء وهم اكثر ما كانوا قط في معركة حشرهم من اطراف

خراسان وما وراء النهر كل فارس وراجل وحامل عضب او عاسل سوى من

ابقتهم تلك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل فاقاموا الصفوف

على

على الموازاة قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع السيل وميسرة

مشحونة باشاهب الخيل وماج الفريقان بعضهم في بعض كالجراد المنتشر ضربا

يزيل الرؤس عن العواتق ويبين الزنود عن المرافق وطعنا يهتك وذايع الصدور

ويرد مشارع الهموم والسرور ورشقا يصيب شواكل الابصار ويطلب وراء

الفقار مضجع القرار واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتعضعضت الجباه

وتقطعت الانفاس وتحيرت الفرسان والافراس واغبرت الافاق واحمرت

المخالبق والاحداق وخاض الامير سيف الدولة غمرات الحرب يجتنب بالاوهام في

مطالع الاعناق ويختطف بالارماح ودائع الارواح ويقبض بالاسياف مجامع

الاكتاف حتى رويت الارض من زلال الحلوق وغرقت الحوامي في نواصح العروق

ودارت على الحماليق الاجذام والاضطرام والافراس بانياب الحمام من حيث

استقلت الشمس اكلبدا على الجبل الى ان نقضت ودنا على الاصل فاستعر

القوم فجهز حز المفاصل وضبطا بوخز العوالي والعوامل وتداعوا المحلة تكشف

عنهم غمة القتال بتغيل الادبار والاقبال فطرحوا اللبنة على المعبرة وهم

يظنون وراء ذلك ظنونا ويخطبون من بنات الاماني ابكارا وعونا وابى

الله الا ان ينعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال سنو حين ركبوا من ولي

النعمة ما ركبوه اخفارا للذمة وانكارا لحرمته واذالة لحشمته واضاعة لحق

نعمته والهم الامير سيف الدولة ان زحف اليهم بسواد موقفه فلم تكن الا صدمة واحدة
حتى زلت الاقدام عن مقارها وزهقت الرقاب عن ازرارها وجعلت تتساقط
اشخاص الاولياء والمطاردة وتبرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد واستمرت
الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا ايدي الاقطار كل مطار وسقت
بهم سافية الدمار والادبار فلم يلتق بعدهم اثنان عند تنازل الاقران
وتناوب الضراب والطعان وذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل
الله بالظالمين وحصل عبد الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق في اتباعه
وانتبذ بكتوزون الى نيسابور في اشياعه وابو القسم بن سيمجور الى قهستان
وقد صار الخرق ارتق وعاد الشر اشد ومد واصبح سيف الدولة قد انجز الله
له وعده ونصر جنده وجده واسعد على رغم المعاند بن جده واعلى يده و
اودى زنده وسار له صيت الملك على غير مهر سوى الشكر ولا صداق
سوى الاستحقاق وحدث دولة ال سامان وملك ديار خراسان سنة
تسع وثمانين وثلثمايه وراى ان يعجل بكتوزون وابا القسم السيمجوري عن التجمع
ثانيا والتحدث بالالتقاء ثانيا فانحدر الى طوس في الجم الاخضر من جانب
واقبل الرو طار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود جرجان ووقف السلطان
على اثره بارسلان الحاجب فجعل يطرده طرد الشهاب اشخاص العفاريت

حتى

حتى نفاه عن تخوم خراسان وولاه السلطان ناحية طوس ورتبه فيها من ضم
اليه من قواده وسار الى هراة مطالعا لاعمالها ومجددا للعهد باحوالها فلم
يلبث بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه عنها ان كر الى نيسابور فلكما نحى
انه نيا ضل عن دولة قد تم حمامها وانقضت ايامها وناحت عليها امدا ها
وهامها فلم يزد على ان جشم السلطان كلفته وكر عليه قبل ان اطمأنت
به عقدته او جف على طرفه لبدته فجفل عن نيسابور على سمت ابيورد وشد
السلطان عليه الطلب فركب المفازة الى مرو مبقيا بالوجاء على الحوبة ومستظهرا
بالبقاء على النجاء وخلص الى مرو فمن اغاثتهم فراهنه المراكب وقوة الصبر على
وعثاء تلك المهارب ورام ان يمكنها وبحجرها فمانعه اهلها موالاة
للسلطان وشكرا لما وسعهم من العدل والاحسان فشن عليهم غارة
وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب مفازة امل حتى عبر النهر الى
بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون واصحابه رتب السلطان ارسلان
الحاجب والى طوس الى قهستان لنفضها عن ابي القسم بن سيمجور اذ كان
يقلب الظنون في تدبيره ويطمع في الارتياش عن تحيره فواقعه بها وطرده
الى نواحي طبس عنها وولى السلطان اخاه الامير نصر ابن ناصر الدين قيادة
الجيوش بخراسان ودمشه نيسابور على ما كان يليه ال سيمجور على قديم

الزمان وامتد الى بلخ مستقر ابيه ناصر الدين فاتخذها سرة الملك ودار السلام و
لما انتهى السلطان الى بعض حدود مرو الروذ عند منصرفه اليها وركب على رسم
التصيد في خف من العدد ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين وقايد من قواد
ابيه يعرف بنوشتكين كاج قد وثره احساسه بمال امره على يده لا غير اذ كان
كاحد نقابه في الاثبات والاطلاق والاحسان والارفاق فبينا السلطان
في ثورة الاقتناص اذ خانت منه التفاتة فاذا هو قابض على قبيعة سيفه يروم
انتضاءه وقد دنى وجه اسمعيل يطلب ايماءه ولاح للسلطان انكار اسمعيل عليه
بدلا بل بعزه وايماضه وشواهد ديناصه وامتعاضه غير ان استثاره اباه
فيما جناه قد فرشت لرباط التهمة وجرحت لرجاء حمى الثقة وبادر السلطان
الى مضربه وقد امر بالاحتياط عليه في وقته وحكم عليه خواص غلمانه فاخذته
السيوف حتى تطايرت اعضاؤه وتناثرت عليه اوصال الرواجز ثم دعا
اسمعيل فادلى بعذره وجحد العلم بما ابداه الخاين من خافية سره وجرت
بينهما وضات ومراسلات افضاها الزوها ان يستوثق منه لنفسه وملكه
اذ كان لا يليق سيفان في غمد السلطان بعد استنزاله اياه عن القلعة بغزنة
ليبطنه في بعض مجالس انسه ومباحثه بلسان الاستدراج عن حقيقة
ما كان ينويه في معاملته لو ملك من امره ما ملكه هو منه فحملته سلامة صدره

ودخنة

ونقوه خبره على ان قال كان رايي فيك انا وغر بك الى بعض القلاع موثقا
عليك فيما تقترحه من دار وغلمة وجوار وورق على قدر الكفاية دارة
فلما ارتاب السلطان عند الحادثة بعامله بعين ما نواه وقابله بجنس ما
ابداه واستودعه والى الجوزجان ابا الحارث ممكنا اياه من جميع ما يحمل
ما كان ينويه فلله هذا الفعال الذي طرز دهباج الكرم وغبر في وجوه مساعي
ملوك الامم وقد يستغرب هذا الاسجاح من وجه وان كان لا يستبدع من
اخر لان هنالك عاطفة القربى والرحم ولكن الشان في الاجانب الذين تعلق
رقابهم الاجرام القادحة والجنايات الفاضحة كيف يسلط فيهم رايه
على هواه ويستبقي الجاني بما جناه فلم يسمع باعف منه في الجنايات سيفا
ولا احسن على هفوة الزلات صبرا واحج لهذه الخصلة الفاضلة بان الملك
الحازم من سلب الجاني في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه او بمثله عند
رضاه ومرجع المال يؤسي بالتعويض والاخلاف واما النفوس فليس لها تلاف

ذكر ارسال الخلعة الفاخرة القادرية الى السلطان يمين الدولة وامين الملة محمود

اوجب القادر بالله امير المؤمنين له خلعا لم يسمع بمثلها محمولة من دار الخلافة
ولقبه في كتابه يمين الدولة وامين الملة لقبا كان مصونا في صدف العز
لم تنله قط ايدي الغاصة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك بالقاب فخمة

سرير الملك واجتاب خلعة الحمد واذاع شعار الطاعة لامير المومنين وخليفة
رسول رب العالمين وقام بين يديه امراء خراسان سماطين مقتمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة واجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس وامر لكل منهم
ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه اوليائه وحاشيته بجائزة تعز من روائع الخلع
والصلات ونفائس الاحبية والكرامات بما لم يقع لمثله
ملك ملك ولم يف ببعضه ضمير امير واستجابت خراسان لامره وفرغت بالها
بذكره وانتظمت الامور عن التوائها في كنف ايالته واستوسقت الاعمال في ضمن كفالته
وفرض على نفسه في كل عام غزوة الى الهند ينصر بها الدين ويقمع اعداء الله الملحدين
وكسب لها اجره واحسن نصره كذلك قال الله في محكم كتابه يا ايها الذين
امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

ذكر رجعة عبد الملك بن نوح الى بخارا

عبد الملك بن نوح الى بخارا في الفل ومعه فائق وتلاحق به بكتوزون
في اصحاب واولياء عبد الملك في مضائه طمعوا انفا في الاستقلال وتمكنوا
لانفسهم بطالع الاقبال وتحدثوا بالاحتشاد لاستيناف القتال واخترم من
بينهم فائق في شهر شعبان سنة تسع وهو وحيد الزمن وطراز الحلة وجملة
المجلد والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال من صدورهم وسرى الانحلال
في امورهم وانحدر ايلك خان الى باب بخارا يظهر لعبد الملك وسائر اجناده

واجناده

واجناده موالاة خداع واحتيال وممالاة استدراج واغتيال وهم يظنون
استظهارا على ما غراهم واحتياطا لما شدهم مغرورين عن واجب الاستبصار
والاحتراس عن حبائل الاوتار حتى انهم بلطائف بره وانقادوا لطمعهم
بزخارف اقواله واعتقدوا الورود ركب اليه بكتوزون وينال تكين الحاجب وسائر
قواده عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم والقبض على احمالهم
ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم فلم ينج منهم الا الفارد الشارد
والنادر المتادد وبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وفوته مستحيلة
فلم يجد غير الاستخفاء حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلثاء العاشر من ذي
الحجة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار الامارة وبث عليه عيون
الطلب وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر بمحله الى اوزكند ومات بها
بقية الشعل من دولة ال سامان بما وراء النهر واطراف خراسان فصارت
كان لم تغن بالامس كذاب الدول الماضية في القرون الخالية ان في ذلك
لقوم يتفكرون

ذكر خروج المنتصر ابو ابراهيم اسمعيل بن نوح وما اتفق بينه وبين ايلك خان والامير ناصر الدين

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك خان من بخارا قبض على ابي الحارث
المكحول وعبد الملك واخيه ابراهيم وابي يعقوب بني نوح ابن منصور الرضي

وعلى اعمامهم اى ذكوتا وابى سليمن وابى صالح الغازى وغيرهم من الا دومنة الثانية
وامر باعتقالهم ووسم افراد الاخوة منهم فى حجرة على حدة احتياطا للفتنة بتفريق
ذات بينهم عن تمكنهم من اقتضاب الحيل واختلاف الاراجيف واحتال ابو
ابراهيم المنتصر للتخلص من معتقله فى زى جارية كانت تتناهم لمطالعة
احوالهم ومراعاة اوقات اقواتهم فكانت خاطر فى الخلاص موافقة لحال الكميت
حين استشعر شباب طلته وانسل عن غمدة الاعتقال بمهجته ثم انشأ يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل   على الرغم من تلك النوابح والملى
على ثياب الغانيات وتحتها   صريمة راى اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى ان انى منه الطلب
ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل الشهاب الثاقب متجردا للانتصار
مستعينا بالله على درك الثار وتلاحق به من ند وغار وانجد وغار من بقايا
القواد والاجناد السامانية فى اطراف خراسان حتى اجتمع شمله وكثف
خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارا فبيت الخانية بها
تحت الملاحف والنمارق وشغلهم بحقائق السيوف البوارق عن مجاز
الاحلام الطوارق وقبض على جعفر تكين وعلى سبعة عشر نفسا من اعيان
القواد الخانية وحملهم فى وثاق الاسر الى الجرجانية وافلت الباقون بحزر بعد

الاذنان

الاذنان نحو ايلك الخان فركب ارسلان اكتافهم يحثهم حث الشمال القزع الخريف
وطردهم الى حدود سمرقند وما يليها مقتفيا اثارهم وكاسعا ادبارهم ووافق نفطرة
كوهل تكين خان فى عسكر جرار تاباعن ايلك فى حراسة سمرقند وما يليها فاستبق
لمناوشته واستعان بالقتل وسائر اصحابه على مبارزته فقضب ارسلان لدرجها
وقتلوا واضرم عليه الارض كما جانوا لا ذلهم الادبار واقتفاه بعوذة الفرار وغنم
ارسلان ومن معه اموالهم ودوابهم لاثقال احوالهم وعاد ابو ابراهيم المنتصر
الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاودته على مراده وبلغ ايلك خبر فجمع اخابيش الترك
وحمد حمده فى العدد الدثر فكر ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه
للاحتياط عند ذلك العبور الى امل الشط فوافاها وجباها واضاف ..
ويعسكره فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها وسار عنها قاصدا قصد
نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين والقيا
على ظاهر نيسابور ودارت عليهما رحى الحرب يفصلون بالبيض البواتر
ما بين الطلى والعواتق ويضربون مفارق الهام ضرب القدار نقيعة
القدام ولما اشتدت قطاة الحرب على صعبها ودرت كاسها على شربها
وتكاسفت جموع ابى ابراهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابى المظفر
اقتضاهم الاحتياط ان يتحيزوا الى جانب هراة انتظارا للمدد واستنفارا للمال

صنع الله في الغد فحوّ ظهور الحيل بين ذيول الليل حتى ثاب عليهم لمته بين
حدود بوزجان وتمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه من شذاذ العسكر الجمع
الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فاستركب
خيله من غزنة ثم ركض كنهارة ليلة وسار سير الخبب يطوي الارض كطي السجل
للكتب حتى انقض على نيسابور انقضاض بني الهواء على بنات الماء ولما
تسامع المنتصر باقباله انحل الى اسفراين في عامة رجاله وبث اصحابه في الرساتيق
يجبون اموالها واراحة اطماع حشمه فيها فانجحه الطلب للحاق بشمس المعالي
قابوس بن وشمكير مستنصرا له ومؤملا لغوثه وجدواه فتلقاه بكل ما غنا
ومهله نزاه واعطاه حتى ارضاه وكان مما امر بحمله اليه صفقة واحدة
عشر دواب بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق
الجياد بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون
اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة احمالا واثقالا من البسط النادرة والفرش
الفاخرة من حصر طبرستان وسائر الطرائف المجموعة في الخزائن بجرجان واضعف
الى ذلك الف الف درهم وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من الديابيج
التسترية والسقلاطونات العضدية والحلل الفخرية والمحروز الطائفية وسائر الثياب
المصرية وامر لاهل عسكره بعشرة ايام معونة حاجاتهم واشار الى المنتصر بقصد الري

اذ كانت

اذ كانت معرضة لقصادها بخاذل هوائها وتواكل ولاتها واشتجار الفتن
والاحن بين الرائدين عن فنائها على ان يمده بولديه دارا ومنوچهر في جيوش
الجيل والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص تلك الولاية ويكون
ما نوى من معاودة خراسان عن ظهر الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة
وسار حتى خيّم بظاهر الري فاحس اهلها منه بام الرتق على ارتق ثبات الري
افلاذ كبدها فتاخوا باقبال المنتصر ودس الكفاة بتلك الدولة الى ارسلان
بالو وابي القسم بن سيمجور وغيرهما من اولياء المنتصر من اطمعهم في مال محمل
اليهم سرا على ان يثنوا عنهم عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل
فانخدعوا للشوملهم وطمعوا في تاميلهم ونصحوا للمنتصر بان قد ترشك ممن
بحله مملوك الترك على جلالة اقدارهم ونفاسة اخطارهم ليجل عن مناواة قوم
يدعون قبلك قرابة ويفترضون لك طاعة ومهابة موالاة لمن يجر التار الى
ويفترضون لك طاعة ومهابة موالاة لمن يجر الثار الى فرصة بالغول عليك
ومغراه ان يحرس الا في يديك فلا الغنم ان قدرت وعليك الغرم ان عجزت
فلفتوا للمنتصر عن رايه ورتبوا له الملك بخراسان من ورائه فادخل من باب
الري بويه الدامغان وانفرد ولد شمس المعالي عنه عائدين الى جرجان فخفي
نجم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك التقدير واذا اراد الله بقوم من سوء فلا

ترددكه وما لهم من دون غيره من وال وامتد المنتصر طلقا الى نيسابور وبها صاحب
الجيش ابو المظفر فاشفق من ذلة القدم كالتي حدثنا من قبل فانحاط الانحا
الى البوزجان ودخل المنتصر نيسابور في شوال سنة احدى وتسعين وثلثمائة
وبث عماله في جباية الاموال ومطالبة من ظفر بهم من العمال واستمد صاحب
الجيش السلطان يمين الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير التونتاش
والى هراة البدار اليه في معظم الجنود من شجعان الترك وسرعان الهنود حتى
اذا استظهر بذوي الغناء في حومة الهيجاء كر عائدا الى نيسابور وتلقاه المنتصر
بارسلان بالو وابي نصر بن محمود وابي القسم ابن سيمجور فالتقوا على حرب
مخطت فيها الصفاح المشهورة ونقصت الرماح المطرورة وغربت
عندها الكواكب المنثورة ثم شاعت الهزيمة في الشامانية فولوا على
ادبارهم نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا ودخل صاحب الجيش ابو
المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي
على زوجها الكفي واقيمت له اشارات كانها ذرى النجوم السائرة ونهاد
الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت ابيورد والطلب على اثره حتى وصل
الى جرجان ولما انا مع الامير شمس المعالي قابوس ابن وشمكير نبا به
وماه نزها الغنى انجادا الاكراد فالجادوه الى الارتحال دار البنوة من طلب

الحال

الحال فكر على ادراجه ناهيا في الغي واثما ترك الراي بظاهر الراي وقد كان
المنتصر مجدا على ارسلان بالو مراغمة بحصه عليه واشطاطه في المطالب بين يديه
ومنازعته الراي فيما ينحوه ومراجعته القول في كل ما يفوه به فوه وانضاف
الى ذلك انهامه اياه بالخاذل في الحرب التي انهزم فيها عن وجه صاحب
الجيش ابي المظفر نصر لمنافسته على ابي القسم السيمجوري بمكانته من اخصاصه
واثباره وغيرته على الشركة الواقعة به في محله ومقداره فحمله ما احتشاه من
ما الكرم على التشفي باراقة دمه والاستراح الى انتهاك روحه فقتله بمكر
انت فكان الاسلام ونفث نفسه من الداء العقام وتجمع اهل عسكره
لانكار ما فعل والاخذ لمه وقد سبق السيف العذل وقام ابو القسم ابن
سيمجور مقام تعالمهم عن المنتصر بلسان المعتذر حتى خمد التهابهم وسكن هيجهم
واضطرابهم وتوامروا بينهم على قصد سرخس للاستظهار بزعيم اهلها
المعروف ابوه بالفقيه اذ كان قد رغب المنتصر في ارفاده وانجاده واثباره
بعدته وعتاده فركبوا المسافة اليها على طريق ابيورد حتى وردوها وجبوا ما امكنهم
وارتاشوا بما سمح الرغيبة لهم بها وحين علم صاحب الجيش اجتماعهم على نضح
الا باطيل بينهم دلف اليهم في سراة الكماة لطردهم عن شريعة الطمع وازعاجهم
عن خطة الامل ووصل اليهم بالبرى حتى اشرف على سرخس في الهيئة المشوق

والهيبة الموفورة وبرز المنصور الى ظاهرها فخيم بازائه واستعد للقاء وتجاثيا
للقتال فاستك سمع الهواء من قرع الحديد بالحديد ودوت صدور المواضي
من موارد الوريد وبلغ كل من الفريقين غاية الامكان في منازلة الاقران وتنادوا بشعار
الضراب والطعان بمحاحشة عن خطوط الرقاب وتفاديا عن سوء الذكر على تناسخ
الاحقاب غير ان قضاء الله اغلب وامره انفذ وله الحكم في تبديل الابدال وتغيير
الاحوال ونقل الاملاك من وال الى وال وهبت لصاحب الجيش ابي المظفر ريح
قبول الاقبال فتمزق صف المنصور عن هزيمة عوابس الوجوه وجرحى بانياب المكروه
ولم ينشب صاحب الجيش الى ان اتاه بعض العرب بابي القسم علي ابن محمد في وثاقه
من الوهق على بغلة من الرمق واردف بالتونتاش الحاجب وكان يراه المنصور
جلدة ما بين العين والحاجب وانضمت حبالة الاسر على معظم ذلك العسكر
فحملوا الى غزنة في الاصفاد مقرنين وسار المنصور لا يرى وقذا غير اعناق
المسالك وارتكاب المهالك على جبلة لا يتميز فيه المملوك عن المالك وقفل
صاحب الجيش ابو المظفر قد اعلى الله كعبه ورفع قدره واطعمه نصره واطار بين
الخافقين ذكره وانشدني ابو منصور عبد الملك محمد الثعالبي لنفسه فيه يذكر
ما اتيح له من هذا الفتح الرابع منظره الشائع في الآفاق خبره

تبلجت الايام عن غرة الدهر ... وحلت باهل البغي قاصمة الظهر

وولوا الادبار ادبارهم وقد ... تحكم فيهم صاحب الدهر بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا ... الى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ... ومن هو بالعليا اولى ولي الامر
فيالك من فتح غدا زينة العلى ... وواسطة الدنيا وفائدة العصر
ابى الله الا نصر نصر ورفعه ... على قمة العيوق اوهامة النسر
وملكه صدر السرير كانه ... لنا فلك بالبحر او شمسه تجري
وخوله دون الملوك محاسنا ... تبر على الشمس المنيرة والقطر
اذا ذكرت فاح الندى بذكائها ... كما فاح اذكى الند في وهج الجمر
فتى السن كهل الحلم والرأي والحجى ... يعم بني الآمال بالنائل الغمر
له همة لما احسنت علوها ... حسبت الثريا في الثرى ابدا تثرى
غدا راعيا للمسلمين وناصرا ... لمن الله راع قد تكفل بالنصر
الا ايها الملك الذي نول العلى ... عباديد بين الكسر والقتل والاسر
قدمت قدوم الغيث ايمن مقدم ... فحليت وجه الدهر بالحسن والبشر
الست ترى كتب الربيع ورسله ... يقولون هذا كالربيع على الاثر
نعم نسبت الحبوة بالظفر ... تجر فويق الارض اردانه العطر
وثوب بانفاس الربيع معنبر ... فيالك من طيب وبالك من نشر

وضيم عاكى واحتبك كانه   على المسك والكافور يهطل بالنجم
فروح بشرب الراح وحل الحشا   لقى تعب من وقع البيض والسمر
ودم لانشاء الملك فى كمل المنى   وفى ادفع العلياء وفى اطول العمر

وانشدنى ابو سعيد بن دوست لنفسه

للامير المظفر العادل العالم   فتى ابى المظفر نصر
كرم فى شجاعة وسخا   فى وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو رامها نجم نسر   يوم فخر اعيت على نجم نسر
فيه تنقطع الخطوب وتفرى   وبه تندفع الكروب وتصرى

وانتبذ الركض بالمنتصر الى محال الاتراك الغزية ولهم صغو الى الدولة السامانية واخذتهم الحمية من خذلانه وحركتهم العصبية لعونه على شانه وتذاكروا بينهم ال سامان وما تعرفوا فيه من بركات ذلك البيت القديم والشرف العميم وسار مصعدا حتى لحق بايلك خان فكذلك فى شوال سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وعندها دلف ايلك للانتصار من المنتصر فى جيوش الترك يستمر فى طلب الثار استغارا النار حتى اناخ بحدود سمرقند وتبادر الغزية باقدامهم وتوازروا بينهم على بيانه فهجموا الركض عليه نحو الخيل تحت الليل حتى كادت لا تنفس الارض بوطى اقدامها ولا تنعر النجوم بانخاض الوتها

واعلامها

واعلامها حتى اوقعوا بهم وانتهبوا جل سواده وقبضوا على اجلة قواده وانقلبوا بما غنموه الى اوطانهم عند حصول البغية فاستاسروا على المنتصر بالاسر طمعا فى الفدية ثم بلغ المنتصر تشادعهم الامر بينهم فى مواثبتهم ايلك عليه وافراجهم عن الاسراء تقربا اليه فرابه سبعمائة رجل ركبانا ورجالا اخفافا ووقفا لاوقات على المعابر فاذا النهر جامد واهل الشط فى العدامد ففرشوا النهر بالتبن الا حتى امكن من العبور وتبعه الطلب فمنعهم خطر المعبر من قصد المنتصر وارسل عنده قراده بارسل رسولا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واشتداد الامر لانثيال العداة عليه وانه لم يجد بدا به طاعته له واخلاصا فى هواه واظهر الانقطاع الى كنف قبوله واشتمال الرد والانقياد الى معونته بما لم يرد جا لم يرد واشتد من اهل الشط الى سواد مرو واحتز اناس من مغرة النزول فى العبور على الاطراف والفلك وارسل الى ابن ابى جعفر المعروف بخواهر زاده وكان رجلا من جملة الرعاع ونفعه الزمان فى دولة ال سامان ليتمحه المعونة مما يفضل عن منفعة يده من مال وسلاح فرد الرسول على غير وجه المحرمة والارتياح لحكم الاناسيه ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا وبالجفاء مقابلا فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة وتردى ساقه ابو د حتى وافاها فى شهور سنة اربع وتسعين وثلثمائة واوجب السلطان اكرام

رسوله وتحقيق مأموله ووصله بصدر من المال بجبر خلته وخاطب خوارزاده
بخلعته وتضمن مرضاته وترك الانحراف عن مراده فاضطره الامر الى طاعته حين
شاعت سبة البخل عليه واستطالت شادخة اللوم بجبينه وقد كان ابو نصر
نصر بن احمد الحاجب لما شام تقدم راية المنتصر مالاه على صاحبه واظهر له
الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة بنسا مظهرا له طاعته ومتقلدا في نصره جهده
واستطاعته ولما احس اهل نسا براي ابي نصر في اتباع راية الخلاف اشفقوا
على انفسهم من عاقبة الاتهام بموالاته والاشتراك في جناياته فكاتبوا خوارزم
شاه مسعود بن علي فانهض ابو الفضل الحاجب احد اعيان ذلك الباب لرفع
لازالة النائرة وكفاية امره ومال ابن محمود الى المنتصر فقارب العدو وصدر الى الخبوشان
من رستاق استوا وناهضهم ابو الفضل في رجال خوارزمشاه فاتفق التقاؤهم
على الحرب ليلا من النجوم الثواقب حيث لا يدري الضارب مضروبه ولا
يعرف الراكب مركوبه فاختلط الفارس بالراجل والدارس بالنابل وتضاربوا
ما بين الشوى والمقاتل وتطاعنوا سلكى ومخلوجة كر لامين على نابل
وتصدع شمل الفريقين قبل ان صاح الليل صاحبه ونفض النجم على المغرب
رشاحه فلم يعرف احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام حتى استفاض
ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة ابي العباس تاش الحاجب صريع

وقرن

وقرن
الباقون عباديد بين اقطار المهامه والبيد ووقع المنتصر الى اسفراين فمانعه اهلها
حذار المحنة وخيفة الهرج والفتنة فانثنى على ادراجه في شرذمة من اصحابه
يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود سرخس فاقام هناك
ريثما تلاحق به الفل وسار حتى عبر النهر من ساحل دبرز شحنة بخارا في طلبه
وشد عليه وجوه مهربه فركب عزيمة الرجال في ثبات القوم وثبت بعضهم
للبعض جلادا بالدبابيس والحراب واغمادا للسيوف في قراب الرقاب فجد
المنتصر في الامر واشتد ونجا براسه ولم يكد وصار القوم الى دبوسية من
الصغد مستنجدين من بها من العمال ونفاد بقيا الرجال ووقع المنتصر الى
ثغر النور من بخارا وركض منها عليهم ركضة فتنهم بين اجتياح واختبال
واصطلام واجتثاث ومال اليه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند
فاتاه في ثلثة الاف رجل وتقرب اليه مشايخ اهلها بثلاثمائة غلام على سبيل
الخدمة ووصلوا بها كرامات تضاهيها وبشارات تدل على اخلاصهم
فيها وتوافى اليه الغزية فاشتغلت حدوثه وتراجعت قوته ولما
سمع ايلك الخان باعتداد شوكته واشتداد وطاته وخف في
الحشر المذكور من ديارات الترك واشتبكت الحرب بينهم بقرية
بورنمذ من حدود سمرقند حتى نفذت النبال وتكسرت النصال وتحطمت

الشهر الطوال وخان الخانى مغامره وانفض عنه اقوامه فاستقفاه العزيز
فى طلاب الاسلاب حتى بردت ايديهم بالسبايا والنهاب والغنايم الرغاب
وذلك فى شعبان سنة اربع وتسعين وثلثمائة وغادر الخان ارض الترك
فضم النشر ونادى فحشر ثم كر على ثاره وثب على المنتصر بشره وناره ووافق ابناء
تراجع الفضية الى اوطانهم تماخبوه على عادتهم فى كل ما غنموه واستانف
الحرب على فضاء بين قريتى درذوخادس من اسروشنة واستانف المعروف
كان بابن الحسين طاق الى الخان فى زهاء خمسة الاف رجل من رفقايه عند
التقاء حومة المصاع واشتداد زفرات القراع واضطر المنتصر الى الانهزام
وحكم الخان فى اهل عسكره سيوف الانتقام حتى روت الارض من دمائهم
وشبعت النسور من اشلائهم وسار المنتصر الى شط جيحون فعبر على
الجمد لعدم السفاين وخلو المعابر ومضى الى اندخود من ارض الجوزجان
محزونا من ركضة الخان وامر باستيفاق الدواب الراعية بها واقتسامها
بين اهل جملته وركب المفازة الى قنطرة زاغول ولما بلغ السلطان يمين
الدولة وامين الملة خبره اسرع الانحدار الى بلخ لاعجاله عن نظام امره
واستخلاله واتبعه بفريعون بن محمد فى اربعين قايدا من قواده لطرد
سواده وحصد قتاده فانهزم المنتصر وصار الى الجنابذ من قهستان

مجرده

ضرورة اذ كانت جيوب الآفاق عليه مزرورة فحيث ام شهرت عليه السيوف ذات
الرواعف بالحتوف وقد لف اليه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين
فى تعابيه والى سرخس وارسلان الحاجب والى طوس يحثون الظهور فى
الطلب ويغرقون غلالها بين الركض والخبب فضاقت به الجهات ومنها الى
بسطام فرماه شمس المعالى قابوس بن وشمكير بوجوه الفين من الاكراد
الشاهجانية فادرجوه عنها الى نسا راجعا باللوم على من لفته الى الانحدار ولما
ضاقت عليه المذاهب واحاطت به المعاطب بادر الى كورة نسا بداومن
لا يمكث بدارا ولا يوطى الارض جنب قرار وتلقاه ابن سرخك السامانى
بكتاب يوبخه لترك الانتقال اليه لمضامنته على اهلاك الخان مواربة ومواراة
ومطابقته للخان عليه ومواطاة فثار عن نفسه تقدمهم اجابته طمعا فى ذمامه
وتاميلا لعونه على ذمامه فركب الاخطار وسار حتى اذا بلغ بين حماد من
مفازة امل سبق خيله الى الشط فوافق ذلك جمود جيحون فاغتنموا
مفازة قفز خلاصا مما منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار وقد وصلوا
استهم الليل بيابا النهار وتبادروا فى العبور الى سليمن الحاجب وصافى
حاجى ايلك الخان فعبروا الانهار وعرفوهما ان السامانى بالقرب وان
المحن قد محصته والحوادث قد طحنته فهو خلسة الطامع ونهزة الطالب

وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر ابو ابراهيم المنتصر الا بالخيل مطلة عليه
فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر الفرار وقبض على اخويه وخاصتهما برباط الشري
وحملوا الى اوزكند اسرى فاحل المنتصر بحلة ابن بهيج الاعرابي من جملة
العرب السيارة في تلك ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان المعروف بماه روي
بندارا من جهة السلطان يمين الدولة وامين الملة فيهم وقد اوصاه بالعقود
له بكل مرصد واذكاء العيون عليه عند كل مورد فلما البس الليل جلالة الغبش
وعرض على النجوم جيش الحبش وثب اهل الحلة على المنتصر جهلا وغباوة وبذاءة
وشقاوة فاخمدوا حس مقدمه واحلوا اللاد من جواد دمه فكانما عناه ابو تمام بقوله

فتى بين الطعن والضرب ميتة　　تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه　　من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله　　وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه　　فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة　　غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني　　رايت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل تابوته الى قرية ماي مرغ من رود باد ثم دفن بها في شهر ربيع الاول
سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره

فامر

فامر بالقبض على بندار واذاقه حر الانكار وشن الغارة على حلة ابن بهيج
الاعرابي خاصة وعلى سائر العرب السيارة عامة وصارت جرة ال سامان
وما داحت تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا

ذكر احوال الامراء السامانية ومقادير ايام دولتهم

كان ملك ال سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان مما يضاف اليها في
الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان والري
الى حدود اصفهان مائة وستين وستة اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابراهيم
اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث ساحته ببلخ يوم الثلثاء
النصف من شهر ربيع الاخر سنة سبع وثمانين ومائتين وملك خراسان ثماني
سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة الثلثاء لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس
وتسعين ومائتين منعوتا بالعدل والرافة موسوما بطاعة الخلافة وقام بعده
ابو نصر احمد بن اسمعيل فملك ست سنين وثلثة اشهر وفتك به نفر من
غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الاخرة وكان مقتديا بابائه
في اثار النصفة واختيار الاحدوثة الحسنة اقتداء الابناء بالاباء في اختيار
افضل السنن واتباع احمد السنن الى ان طوت الدنيا صحائف ايامه كعادتها
في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وسدد مسده الشهيد ابو الحسن

نصر بن احمد فملك ثلثين سنة رفيع النجاد قوى العماد ورى الزناد زكى المراد
وتلاه وارث الملك نوح ابن منصور وهو الحميد فملك اثنى عشر سنة وثلثة اشهر
وسبعة ايام وتوفى ببخارا يوم الثلثاء لاحدى عشر بقيت من شهر ربيع الاخر سنة
ثلث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه عبد الملك ابن نوح فملك سبع سنين
وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها
ميتا وذلك عشى يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة وخلفه
فى الولاية اخوه منصور ابن نوح خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفى ببخارا يوم الثلثاء
لاحدى وعشرين سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون لرخس يوم الاربعا لاثنى
عشر ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه عبد الملك ابن نوح
فلما استقرت قدمه فى الولاية حتى خرجت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة
دعامته وشالت نعامته فطار الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع الولاية
من يديه وكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما وذلك حدثان ما ولى
السلطان كور خراسان واقبل بعد ذلك جده يزداد فى اسباب العلى جدة وجده
يتضاعف فى رقاب الاعداء حده فما يقفل لرشم الا عن ثغر مفتوح وصنع ممنوح
وذكر على هامات الاعواد مرفوع وباب الفضاء المنى والامال مشروح

ذكر ما جرى بين ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد من انواع الموافقة

والمخا

والمخالفة وخاتمة امره وكيفية انتزاع السلطان ولايته من يده

وما جرى بعد ذلك من الطوايل والتراث التى ثنت عنان السلطان يمين
الدولة وامين الملة اليه وعطفت به الى انتزاع الملك من يديه وما جرى خلال
ذلك من وقايعه فى الهند الى ان استتب له ما اراد فى امره بعون الله ونصره
قد سبق فى اول الكتاب ذكر الامير خلف ابن احمد فيما رواه السديد منصور ابن نوح
من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى ان تقاوت رجوم الفتن بخراسان فتفرغه
اشتغال ولاتها بما دهاهم منها للاستهام والابداع والاستظهار بما بحوزته
ارض سجستان من صنوف الارتفاعات حتى اتسع نطاق همته لطلب الفضول
ومنازعة القروم ولما تصدى ناصر الدين سبكتكين لواقعة ملك الهند جيبال
ثوره حدود الاسلام على نطق بذكره صدر هذا الكتاب اغتنم خلف ابن احمد مكان
لبثه عن الحضرة وخلوها عن الحماية فسرى اليها من انتفاض بعضها وافضى
عذرتها وحرف كلمة الدعوة عنها وغمس يده فى اموالها فجباها وجمعها فاوعاها
فلما افلح ناصر الدين على الكافر اللعين عطف العنان الى بست ممتعضا من عذره
مخفضا من سوء محافظته فانقاه اصحاب خلف بظهور الغار واعقاب
الادبار والصغار وهم ناصر الدين سبكتكين بمناهضته واستخار الله
فى مناجزته فارسل اليه خلف من تناول عليه فى ذلك البعث محافظة على

حكم الموالاة في حفظ ولايته وتضمن تصحيح ما صار في جبايته وتبرع بزيادة
تقوم مقام الارش عن جنايته تفاديا عن ثقل وطأته على اعماله وتصونا عن
عورة الافتضاح في قتاله فنكب ناصر الدين عن سر عزمه كفا لليد الاقدر
واكتفاء ببذل الاعتذار ثم طالبه بتصحيح المال حتى اداه وادى به بعض رضاه
وكانت الحال قائمة على جملة المسالمة الى ان حدث من امر ابي علي ابن سيمجور في
الجولة الثانية بباب نيسابور ما سبق شرحه فاظهر تقربا الى ناصر الدين بمباعدة
على خصمه ومرافدته بنفسه وسائر اهل جملته امتنانا عليه بتظاهر المظاهرة و
للتشفي من ابي علي بمعونته الحاضرة وقوته الباهرة اذ كان ابو علي قد ورد بقصد
حضارة وعزوة في عقر داره وانقاذه ببعض انصاره وصحبه الى بوشنج في جميع
اتباعه واشياعه ثم خلفه بها ناصر الدين سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر
وابقاء عليه من خطة الخطر وصار الى طوس لمواقعة ابي علي وطلب الثار المنيم
عنده حتى اذا طرده ونفض من شغل تلك الحرب يده رد الى خلف ابن احمد
اصحابه مثقلين بالنعم الباهرة موشحين بالخلع الفاخرة تقودهم المراكب والجنائب
وتردفهم النجائب والرغائب فعادوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
فتصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة وتجلت عن مخيلة
والمداجاة الى ان عبر ناصر الدين سبكتكين النهر الى ما وراءه المداخرة ايلك

الخان

الخان عن ولاية الرضى بوفق المناصحة ادخرت المكافحة ثم اقتضت صورة الحال
مسامحته ببعض تلك البلاد على ان يسلم له سائرها وباين عنت الغشم مالحها
وحاضرها ودوانيها اثناء ذلك مكاتبة خلف ابن احمد ايلك الخان حثا له
من غربه ومغريا اياه بحربه طمعا في بست ونواحيها وغزنة وما يليهما وانضاف
اليه بلاغات وقوادح بوقت له من جانبه في امر ابي علي واظهار الندامة
على ما سبق من عونه عليه والافتضاح على رؤوس الاشهاد معترضا بان احتياج
الملوك شوم واستباحة البيوتات لوم وضعف في الراي معلوم فطار الغضب
بناصر الدين كل مطار وحدثته نخوة الاقتدار بالسداد الى ارض سجستان
لاطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه ابو الفتح علي ابن محمد البستي
عما نواه بالقول الرفيق والراي المؤيد بالتوفيق واراه ان بعض البلاغات
زور وان القائل كالقابل ماخوذ موزور وان قلوب الرجال وحوش نافرة
وطيور في مجاري الجو سابحة فما يمكن منها الا باعمال الحيل في نصب الحبائل
وتمكين الجوارح ورمي البنادق وبث الحبوب والمطاعم ثم لا تنجو ابدا من
افلاتها عن حبالة القانص ولا دنا لها من شرك الصائد كذلك لا انقياد للقلوب
الا باشراك الصنائع والعواطف ولا انقياد الا بازمة الايادي والعوارف
ولا استنقاذ الا بابتذال التوالد والطوارف ثم الكلمة الجافية تهيج وادعها

ويطيروا اغنها ويكبدوا عليها مشارعها وتلا عليه قول الله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما
فعلتم نادمين ثم قررها له حتى اذا نزل عن ظهر التعجيل الى ارض التمهيل وانشدني
ابو الفتح في شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين لنفسه

اذا شئت ان تصطاد حب الخلائب ... وتملك منه حوزة القلب والخلب
فاثر كرة الخير الذي قد بذلته ... وادخله بالاحسان في شرك الحب
الم تر طير الجو يهوى مسفة ... لحب تقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد اولو الحجى ... محبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك منتصلا مما عزي اليه ومتبريا مما نقم عليه فعفا
ناصر الدين عما حاك في صدره من امره واغمض له عما اشاعه من قلبه فلبس عذيره
على عدته وثبت باخيه على مداراته وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل
الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبر حوزة
الزمانة باظهار الشماتة واستشهد قول القائل

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهز لاخرى مثلها فكان قد

ثم اسرها في نفسه يرتقب الميقات الفرصة في الايقاع به والاستشفاء منه الى ان
ورث ملك خراسان ونفى الاطراف من عوارض الخلاف سليم الافاق من غبرات

الشقاق

الشقاق وقد كان خلف بن احمد عند قيام السلطان باستصفاء
المملكة قد بعث ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم عدل منها الى
بوشنج فاستولى عليها وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق اخي ناصر الدين
سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان اوزار تلك الملاحم
اتاه عمه يستاذنه في طرد المتغلب عن ولايته وقلع ناجذه من حد نكايته
فاذن له فيه وسار حتى اذا شارف بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن
والاه من العديد مختلفين للحديد فتناوشا الحرب قدا للهام من خطوط
المفارق وقطا للاجسام من خصور المناطق واستقاء للارواح باشطان
الرماح واختلاسا للرؤوس بسيوف كسيوف الرؤوس ثم حمل بعضهم على بعض
فذهب الميامن بالمياسر والمياسر بالميامن وانفتل طاهر من بين يديه هربا
واتبعه بغراجق منتهزا ظهرها وقد كان قبل ان ثمل الحرب اصاب كؤوسا بغراجق - ص
ليستيقظ بها اعين الطعن والضرب فتعادت عليه ناوان من كان بين يديه
حتى غفل بها عن تنبيه التحزم وذهل معهما عن بصيرة التحفظ والتحرز
فغرر بنفسه في اتباع خصمه اغترارا بحبال سكره فلم يشعر الا بابن خلف
قد كر عليه بنفر من اصحابه فبلا ونزل للوقت اليه من قطف علاوته
اخذ غيره وانثلم الهزيمة على الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب

ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فانه قفا آثار قلة من ردهم
الى محله وورد الناعي على السلطان فنال من الغم بفقد العم ما ينال الوالد
لعدم واحده والواله لافتقاد صنو ولده وانشد بما اتفق لابن خلف على
احداث الشقاوة وبأيه والطباق البلاء عليه وعلى من يليه وحدس ان اليرقة
تبحث عن المدية بروقيها والنملة يقضي عليها نبات جناحيها ولو عقل
الفراش لما عشا ما عاش الى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار

اشارت الفرس في اخبارها مثلا || وللاعاجم في ايامها مثل
قالوا اذا جمل حانت منيته || اطاف بالبير حتى يهلك الجمل

وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثماية الى خلف ابن احمد وهو
متحصن بحصار اصفهبد قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب قوسين بل فيد بهمين
تحيد عن مراماتها الابصار وتقصر دون مسافة نحوها الاطيار فحاصره بها
ممنوعا من فسحة الاختيار ممنوا بشدة الاضطرار مجرعا براحة الفرار ولذة
القرار حتى نخب الروع روعه ودعدع الروح روحه فاستشعر الخضوع والطلا
وسال سوال مسكين ان ينفس من خناقه ويبقى من حبل ذماه على
نفسه بماية الف دينار بما يليق بها من خدمة نثار وتحف ومبار فاجابه
السلطان الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاء المال حتى استوفاه وغادره

بها

كما هو في اسار الحصار وخناق الوثاق وفي نفسه قصد سجستان لكنه احب
ان يجعل غزوة في الهند مقدمة لما نوخاه وصدقة بين يدي نجواه تبركا
بما يجري على يديه من ارتفاع راية الدين واتساع ساحة اليقين وانارة كلمة
الصدق واغارة قوة الحق فتوغل بلاد الهند متوكلا على الله تعالى الذي
هداه بنوره وفضله بالعز في مقدوره وبالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى
الى مدينة بتور فخيم بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله ملك الهند جيبال على
لقائه واستعجاله القضاء بمجاوزة فنائه فاستعرض الخيول من ابناء جريدته
وسائر الغزاة والمطوعة في جملته واختار للجهاد خمسة عشر الف عنان من
اعيان الرجال وقروم الابطال وخطران يخلط بهم من ردء الاختيار بهم
الانتقاد حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب واجتلاهم كجنات الصرائم
او اسود الغاب دلف بهم الى قتال المجهزين اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة
وفروع صبر على دوح الاخلاص نابتة واقبل الكافر الفاجر في اثنا عشر الف
فارس وثلثين الف راجل وثلثماية فيل تئن الارض من ثقل اطرافها وتحف
من ثقل اخفافها حتى اناخ قبالة السلطان متطاولا بعدده ومتطاولا
بقوة باعه ويده ويظن كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا او تغني من الله
شيئا ولو درس الجاهل كتاب الله لقراء كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

باذن الله فادنى الكافر بمكانه جانحا الى المطاولة ومحترزا بالمدافعة والمراوغة انتظارا ل
المدد ما ثم من اوشاب الجيوش واوباش القبايل والشعوب فاعجله السلطان عما
حكم به من تقديم المطاولة وتاخير المقاتلة وبسط عليه ايدي اولياء الله فاوسعوهم
ضربا ونهبا وشقا ودقا وحزا ووخزا ووخنا وسحقا حتى اضطر الى الدفاع وصلى
نار القراع فاصطفت عند ذلك الخيول وحفت الطبول وزحفت الفيول واقبل
بعضهم على البعض يصول وتوافت النبال على الخصم تترامى وكادت الاصايل
بالخيل وتلالات متون القواضب تلالؤ البرق في الغيم جنح الغياهب وفارت
ينابيع الدماء كما فاضت مدارج الانوار وتكاثر اولياء الله على جماهير المدابير
يوردونهم ازاد بحتوفهم ونصا وجرا فلم ينتصف النهار الا بانتصاف المسلمين من
اعداء الله المشركين وحكموا السيوف في زهاء خمسة آلاف رجل فبسطوهم
على العراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء وحصل على سبيل المغنم خمسة
عشر فيلا معروفات العراقيب باطراف القواضب مخرزات الخراطيم باسباب
اللهاذم واخذ عدو الله جيبال وبنوه وحفدته وبني اخوته وذوي الصيت
من رهطه وذويه فشدوا بحزايم القسر والاسر الى موقف السلطان كما يساق
المجرمون الى النيران وجوه عليها غبرة الكفر ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف
الى الظهر قسرا او مسحوب على الخد جرا او مضروب على الوريد صبرا وحل مقلد

جيبال

جيبال على نظم مرصع بفرائد الدرر وجواهر الزهر واليواقيت الحمر قومت مائتي الف دينار
واصيب اضعافها في اعناق المقتنمين من قرابته بين قتيل واسير والمطعمين شقى
ضبع ونسر ونفل الله اولياءه ما فات حد الاحصاء وجاز جهد الحصر والاستقصاء
واغنمهم خمسمائة الف من روقة العبيد والاماء واب السلطان بمن معه من الاولياء
الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين لله رب العالمين فتح
الله على السلطان من ديار الهند ارضا تفضل بلاد خراسان في عرضها وطولها
وعرضا ووافقت هذه الوقعة الباهرة اثارها السايرة في الآفاق اخبارها
يوم الخميس الثامن من المحرم سنة اثنين وتسعين وثلثمائة ولما وضعت هذه الحرب
اوزارها وحطت عن الظهور اثقالها احب السلطان ان يصرف جيبال ورآه
ليراه بنوه وذووه في شعار الصغار واسار الخسار ويستطير هيبة الاسلام
في ديار الكفر فوافقه على خمسين راسا من حفاف الافيال وارتهن ابنا
وحافدا له على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى اذا استقر
مكانه كاتب ابنه انندپال وشاهيه وراء سيحون يشكو اليه ما اعتراه
من الفاقرة الكبرى والداهية العظمى وسال الرسول ملحف عن تودي عنه
الزمان بما عز وهان فساق اليه الفيول وصرف الرسول وسيقت
حملها الى السلطان فامر باخراج اولئك الرهاين لمع ادبارهم نحو تلك الجرائر

حدث نفسه انه بال بان اباه فلبس بردة الخوف وعض على جوة الهرم وقد طلع عليه
نسر الاسر وعنوان الادبار وعوض عنوا الامتحان وشالت به شولة الخذلان فقدمان
ان يلقى حينه ويتقاضى عليه دينه ومن سنتهم المطاوعة منهم ان من حصل منهم
فى ايدى الناس وهم المسلمون اسيرا لم ينعقد له من بعد رياسة ولم تسلم
زعامة وسياسة ولما رجح جيبال الحصول بين قيد الهرم وقد المذلة اثر النار على العار
والمنية على الدنية فبدا بشعره فحلق ثم تحامل على النار حتى احترق ولما استتب
للسلطان ما اراد وانقاد له ما انقاد ارتاح لغزوة اخرى يطرز بها ديباجة
مقامه ويعلم بنجابها عذبات اعلامه فمال نحو ويهند فضرب عليها بكلكل
الاقتدار حتى انحها صغرا واعتاض منها بعد العسر يسرا وبلغه ان طوايف
من الهنود يتغابب تلك الاعلام واستتارهم بنجم الغياض والاجام متحدثين
بالخروف للفساد والنايب على العباد فاغزاهم جيشا يدوخ مجالهم ويفرق شمل الوصول
اوصالهم فولغت فيهم السيوف حتى دوت من رشاش دمائهم وصبغت من مخالطه
احشائهم وهادب من سلم عن ظباها كالاوعال فى رءوس تلك الجبال
يرون الكواكب ظهرا والمنايا سودا وحمرا وذاقوا وبال امرها خسرا وانقلب
رايات السلطان الى غزنة خافقة بالنجح التابع والفتح الرايع والجول
المنيف والنظر المستنير وقد اشرق وجه الاسلام وابتسم ثغر الايمان

وانشرح

وانشرح صدر الملة وانفصم ظهر الشرك والبدعة وقد كان خلف بن احمد
عند انصراف السلطان عن وجهه عهد الى ولده طاهر فى اعمال سجستان
واسند امورها اليه ايثارا على نفسه وهذا الكرمة الملك البر قبل فيه
وتبينا لها فى ملكه قبل استحقاقه اياه بارثه تعريضا للسلطان باستعفائه
عن الملك واقباله على النسك واعتياضه تواضع العبادة عن ترفع السيادة
ليقطع بخروج الامر عن يده طمعه عن قصده وحصره فلما انقضت المدة
على ولاه نطقت شواهد الجحود فى اخباره وبدت نواجد العقوق من ثنى
اثاره فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى اغماه عما نواه فيه ثم تمارض فى الحصار
المذكور واستدعى ابنه لقبول الوصية وتسلم الودايع المخبية فغفل عن سر
التدبير وتدبر العقاب والنكير واقبل اقبال الطرفة بن العبد على خصلتى
الضبع من ضروب الجهد وحز الوريد وقد كان خلف بن احمد مكن له
مقانب من جيشه فاحاطوا به احاطة حبل الزنابحيد عمة الوشاح
الى ان حصل فى معتقله وحبس فى مطبق اجله وبقى فى السجن على حاله
الى ان اوجبت حادثة محالا عليه فى قتل نفسه والجناية على رحمه
ودمه ولما سمع طاهر بن زينب صاحب جيش خلف ابن احمد

وسائر قواد سجستان ما جرى في امر طاهر دخلت في طاعته ضمائرهم
وتغلغل في موالاته سرائرهم وانتقضت خوف الاسوة فيه مرائرهم
وضبطوا تلك المدينة على طاعة السلطان وشايعته وارسلوا اليه
بما وجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة وسألوا
انفاذ من يتولى تسلم الناحية منهم ليبتدروا الى بابه ويتعطروا بلثم ترابه
ففعل السلطان ما سألوه وجزاهم بخير على ما فعلوه واقيمت
الدعوة للسلطان في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله
رتاجها ويسر له انفراجها عزم على قصد خلف وحسم دائه وكفاية
الخاصة والعامة عوادي مكره ودهائه وهو يومئذ في حصار الطاق
ومن صفته انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان
وثيقة الاركان يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع
المخاض لا يعبر الا من طريق في مضيق على جسر يطرح عند الحاجة
اليه ويرفع وقت الاستغناء عنه فعسكر السلطان حواليه محيطا
من جوانبه احاطة المحيط بالمركز وجعل يتنقى بالرأي وجه الحيلة
في طم ذلك الخندق ويكبه لينفذ على الفارس والراجل خوضه

وعبوه

وعبوه وكانت حوالي معسكره منابت اثل وطرفاء ذوات احتفاف والتفاف
ففرض على اهل عسكره خاصهم وعامهم راجلهم وفارسهم عضد
ما يمكنهم عضده منها اضغاثا وحزما تلقم عرض الخندق ليستتب
ظهر المجال والطريق وبادر الناس اليه فلم تزل شمس النهار على
الكبد حتى اعرض عرض الخاضة من جانب باب الحصار للركود وثار القتال
عند ذلك المخول وتبعها الفيول ومانع اصحاب خلف بن احمد من
شرفات الحصار بقذفات الاحجار واشتعلت الحرب بينهم ترمي بشرر
كالقصور ونحى على القصرات بالقرين والقسى فزحف الفيل الاعظم الى باب الحصار
فاقتلعه بنابيه وزج به في الهوى وانحط الى الارض من حالق وتسلل
من اصحاب خلف الجم الغفير ولجأ الباقون على اطراف الحاجز الى السور
الداخل ودمر عسكر السلطان على الحصار وتماسك اصحاب خلف
فوق شرفات السور الاخر مناضلين عنها باحجار المجانيق واطراف الحراب
والمزاريق واطلع خلف بن احمد عند اشتداد الخطب على ملتقى الفريقين فرأى هول
المطلع من تموج الفضاء بعقارب الانجاد على شياطين الجياد وتطاير النبال
كرجل الجراد ترمي الحراب كفر الى السحاب وفتح الدماء كسبح السماء وعاين الفيل قد

اهوى الى بعض اصحابه بخرطومه فرمى به فى الهوا قاب رمحين ثم تلقاه بنابه واقبل على الخوين بعد سهم بمقدمه ثم انحى على الباب بمنكبه فزعزع عضادتيه واقلعه بضباب الحديد عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاش جاشه وارتاع روعه واضطره هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب الامان واستغاثة السلطان فكف عنه يد الاخراج ووضع عنه سوط الانتقام كرما غذاه الله بدره واطرير بنشوة خمره واقبل خلف بن احمد على بذل الجائزة حتى استوذن له على السلطان فدخل واهوى الى الارض بشيبته البيضاء معفرا بذل الخدمة وغشى البساط من سنخ الجواهر والفرايد بما كسف النهار وخطف الابصار نثارا ينوب عنه عما ذاقه من برد العفو والرحمة وحياه من نسيم الروح والمنحة فتلقاه السلطان بالرفع من قدره وضم يده عند التقريب الى صدره تناسيا لما سبق من هناته وتغابيا عما قدم من دخله ونزواته وحكمه فى احتمال ما احب من ذخاير داره وذخاير حصاره وخيره فى المقام حيث شاء من ديارها الكثر واصلحها فاختار ارض الجوزجان استرواحا الى نسيم هوائها واستعذابا لنمير مائها وانتجاعا فى مراتع الصبوح حول ارجائها وامر السلطان بتسييره اليها فى هيبة ذوى الحشمة معافى بلباس الصيانة عن عورة المهانة فاقام بها قريبا من اربع سنين فى ظل الترفيه وساعد القناعة

بماهو

بماهو فيه ثم انتهى الى السلطان مراطنة بينه وبين ايلك الخان بملطفات سيرها اليه ورسالات اغراه بها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله الى جرديز ابقا عليه من صدق ما اضيف اليه واستتماما للصنيعة لديه وحسما لما يلجا اليه من ابطال ذلك الافضال وتكدير ذلك الغدير فبقى هنالك على جملته الى ان حقت عليه القضية واخترمته المنية وذلك فى رجب سنة تسع وتسعين وثلثماية وامر السلطان بحفظ جميع ما تخلف عنه على ولده ابى حفص وتقريره فى يده وتمكينه من خدمته وانشد ابو منصور الثعالبى لنفسه فيه حين

وهى امره وصفرت من الملك يده شعر

من ذا الذى لا يذل الدهر صعبته ... ولا تلين يد الايام صعدته

اما ترى خلفا شيخ الملوك غدا ... مملوك من فتح العذرا بلدته

وكان بالامس ملكا لا نظير له ... فاليوم فى الاسر لا ينتاش اسرته

وكان خلف بن احمد مغشى الجناب من اطراف البلاد لسماحة كفه وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه وقد ملح على السنة الشعرا والعلما بما هو سائر وذكره فى الافاق طائر وقد كان جمع العلما على تصنيف كتاب فى تفسير كتاب الله تعالى يغادر فيه حرفا من اقاويل المفسرين وتاويل المتاولين ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراءات وعلل النحو والتصريف

وعلامات التذكير والتأنيث ووشحها بما رواه من الثقات الاثبات من الحديث
وبلغني انه اتفق عليهم مدة اشتغالهم بعونه على جمعه وتصنيفه عشرين الف
دينار ونسخها بنيسابور موجودة في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمرا كاملا
وتستنفد صبر الناسخ الان يتقاسمها النساخ بالخطوط المختلفة واخبرني ابو
الفتح البستي قال قد كنت حملت فيه ثلثة ابيات من لم يبلغها اياه لكنها سارت
على السنة الرواة اليه فلم اشعر الا ببدرة فيها ثلثمائة دينار اتحفني بها على
يد بعض ثقاته مسلم لي على ما قلته وعلمته والابيات هذه شعر

خلف بن احمد احمد الاخلاف   اربى بسودده على الاسلاف
اضحى لآل الليث اعلام الورى   مثل النبي لآل عبد مناف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد   لكنه موب على الالاف

فقلت له قريب من هذه الصورة حديث ابرهيم بن هلال الصابي وذلك
ان رسولا لسيف الدولة كان قدم بلدة مدينة السلام فطلب شيئا من
شعره على لسان صاحبه فدافعه به الى ان ازف ارتحاله واتاه عند
الوداع ملحا عليه في تنجزه فاعطاه عجالة الوقت قوله شعر

ان كنت خنتك في المودة ساعة   فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا في العلى   وجحدته في فضله التوحيدا

فقيما

فقيما الولي تحالف نحوسها   لغريم دين ما اراد مزيدا

فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل اليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة باسمه
وللشيخ ابي الفتح فيه ايضا يمدحه شعر

من كان يبغي علو الذكر والشرف   او يرتجي عطفه من قد نبا وجفا
او كان يأمل عند الله منزلة   تنيله قرب الابرار والزلفا
او كان يطلب دنيا يستقيم به   ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
او كان ينشد ما فاته خلفا   فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
توارث العدل والعليا من سلف   حتى بعلياهم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في انجاز موعده   وان اراد عطاء آثر السرفا
اذا النوى عنق ولي حكومته   سيفا اذا ما اقتضى حق الاله انتصفا
والسيف ابلغ للاعناق موعظة   كم من صليف حماه حده الصلفا
وان بدا كلف في وجه مكرمة   جلا بلا كلف من وجهها الكلفا
رضاه يصرف عمن يجتبي به   صرف الزمان اذا ما نابه صرفا
اذا اقشعر زمان من جدوبته   اضحى الورى وكفى جوده له وكفا
بحظه يدفع الافلاك نخوته   والشمس حائرة والبدر منكسفا
يرى التوقف في يوم مخوف ندى   وعندما فات من راي مشكل وقفا

لله نفسك فضل في انامله   اعاد حظي يمينا بعدما لخفا
يهين امواله كي يستفيد بها   عزا يورثا في اعقابه الشرفا
والمرء للوم في احواله هدف   ان لم يكن مالا ذين دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معانيه   وان يكن سابقا في كل ما وصفا

وانشدني ابو الفضل الهمداني قصيدته التي يمدح بها خلف بن احمد شعر

سما الى المجد اهل الجد والبخل   اصحى الى المجد والمجد الفتى عطل
لله من عزم لم يوتعج جونه   كانت في لجنان عين الرائي كحل

وفيها يذكر اياه بهمدان واستقباله الحجيج السوال عن خبره والبحث عن وطنه وطره شعر

يذكرون قرب العراق ودعة   لديك الله لا يسليه مال ولا اهل
اذا ورد الحجاج ولف وفاتهم   بفوادي دمع هما البحر والسجل
يسايلهم كيف ابنه ابن داود   الى ما انتهى لم يعد هل له شغل
اضاقت بساحل الحال لربه   الخرة نقص اقدمه فضل
يقولون ولوفى حضرة الملك الذي   له الكف الماموله والنايل الجزل
وفاضت عليه مطرة خلفية   بها الغوادي عن ولاياتها عزل
يذكرهم بالله لا صد قسم   لدى اجد ما تقولون ام هزل
فلما بلونا كم نلونا مدحكم   فيا طيب ما نبلوا ويا صدق ما نتلوا

والدين

وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين يذكر انهما مكتوبان على باب دار

شعر

من سره ان يرى الفردوس عالية   فلينظرن الى ايوان كيوان
لو سره ان يرى الرضوان عن كثب   ثما يحييه فلينظر الى الباني

ثم وصف سجستان للسلطان فهدات عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب والتحزب وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب وجمع السلطان المغزنة بامر الامير على الظفر قد صنع الله له فيما رامه وسدد نحو المراد سهامه وشهره بانتزاع المدينة العذراء واستصفاء المملكة الغراء والطلاع ذروة الرخاء وادراع لامة العز والعلى وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه

من فتح سجستان من قصيدة شعر

سعدت بغرة وجهك الايام   وتزينت ببقائك الاعوام
وتصرفت لك في المعالي همة   يعيا بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت   يتوارد الاساد والارام
وافتض سيفك لك كل مدينة   بكر عليها للاياس ختام
هذي زرنج استغلقت وتمنعت   فكانها الاطلال حرام
فتحتها واجتها ومنحتها   نظرا هم لفنائك الخدام

وقدمت والايام تنشد في الورى … بيتا يجدد نشيده الايام
قد جاء نصر الله والفتح الذي … تزهى بكنية وصفه الاقلام
باجل احوال واايمن مقدم … واتم اقبال يليه دوام

ورحم الله البديع ابا الفضل الهمداني حيث يقول في السلطان يمين
الدولة وامين الملة شعر

تعالى الله ماشاء وزاد الله ايماني … اافريدون في التاج ام الاسكندر الثاني
ام الرجعة قد عادت الينا بسليمان … اظلت شمس محمود على انجم سامان
وامسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان … اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان
رات عيناك سلطانا على منكب شيطان … فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان
فما يعزب بالمغرب من طاعته اثنان … لك الشرح اذا شئت على كاهل كيوان
اباوالى بغداد ويا صاحب همدان … تامل ما في فيل على سبعة اركان
يقلبن اساطين ويلعبن بثعبان … عليهن تجافيف يشهرن بالوان

وياجوج وماجوج من الجند تموجان

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب لحد المحتشمين من قواد
نامالذين سبكتكين نحنت في السياسة واشتدت في الرفق والتلطف
بالرعي والعنف على المريب بعبرته ثم ان طوايف من نجوم الفتنة ووجوم الشر

والعيبة

والعيبة ابطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الامن وفسحة الحال وسعة المجال فحدثوا بينهم
بتغلبهم من بغيتهم على العصيان وبوثبهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا
بالشقا واجتراء على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف ولخرطوا نصل الشر من
الغلاف فلما راى السلطان انقضاض سجستان على خلفائه وامنائه بادر اليها في
عشرة الاف رجل من نخب العسكر ومعه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين
والتونتاش الحاجب وابو عبدالله محمد بن ابراهيم الطائي زعيم العرب وحصر
المرة العصاة في حصار ارك ووكل جول سكره بجوانب الاسوار واقتسم بينهم
مجال ذلك الحصار وثبت الحرب بعد العصر من يوم الجمعة النصف من ذي
الحجة سنة ثلث وتسعين وثلثمائة وخاض التجربة غمرتها ساعة متوازرين على
المدافعه ومتظافرين على الممانعة والمقارعة حتى اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم
الجراح لاذوا بالانجحار والاعتصام بسور الحصار وظهروا لباء على بعض جوانب
السور في ظلة الدجو فنادوا بشعار الملك المنصور فانهزم الفجار وملك عليهم
الحصار وبسطت ايدي القتل والضرب على من تضمنهم البلد ولفظتهم المساكن
والبيوت فمن رؤس منبوذة واعناق محذوذة ووجوه مكبوبة ودماء على
الارض مصبوبة وهام الاخرون على وجوههم يتساقطون من كسح الادبار في
الاباد ويلوذون من ضرب الاخادع بالمخادع ويفزعون من شق الغارات الى المغارات

والطلب يقطع دابرهم ويلحق بالاول آخرهم حتى خلت سجستان من خبث شرارهم وسلمت من بث
شرارهم وفتح الله تلك المملكة على السلطان ثابتا وملكا ظل يسمع على الايام بمثله فتخاف علوق ٥
الظلام واستفاضت هيبة السلطان في اهل سجستان حتى نالت لياليهم عن دبيب العقارب
وصرير الجنادب وانشد بعض اهل العصر على تقفية النثر شعر

يا ايها الملك الذي زند المعالي تقدح
لا زال ثغرك باسما من اجل ثغر تفتح

وانشدني ابو منصور الثعالبي في هذا الفتح الشهير والنجح الكبير يمدح السلطان
يمين الدولة وامين الملة شعر

يا خاتم الملك ويا فاتح الآمال بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض مسئول على النجح
وآياته تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح
كم اثقف الدين اثرته يقصر عنه اثر الصبح
وكم يوم للفتح شيدتها تثني عليها السن المدح
فاسعد بايامك واستغرق الاعداء بالكبح وبالذبح
ودم وفيها عالي القدح ممتنع الملك على القدح

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لاخيه صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر

الدين

الدين سبكتكين مضافة الى نيسابور وناهيك بها ولاية في بلاد المشرق فنصب
لخلافته عليها ابا منصور بن نصر بن اسحاق وفيرو ووكل بها تدبيره ووضع لها تقديمه
وتاخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية واتقان السياسة وانعام الحراسة
قيام من عدله الزمان بثقافه وفرتبة الكمال باوصافه وعاد السلطان
الى بلخ على استيناف الجد في غزوة الهند على ما سنذكره في موضعه

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير ووصوله الى مملكته

قد كان شمس المعالي اقام بخراسان ثماني عشرة سنة مصابرا للدهر على وقعاته وتقترات
حالاته فلم تغمز يد الحادثات قناته ولم تقرع صروف النائبات صفاته ولم تقصر
دوائر الايام برونقه ولم تنقص على اختلاف احوالها حوبته ولم يبق من اصحاب
الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب بسهم في نوافله ولم يرجع بالحظ من
عطاياه وفواضله ولم يغد منها احد من ذوي الحشمة بسلام الاحظى منه بانعام
واحسان واجبة الوان وافراس مطهمة حسان واعلاق الكتان خاصة ولباسه
وتحت الافخاذ مراكبه وافراسه وحشو البيوت بدره واكياسه وقد كان آل سامان
يعدون وروده الى مملكته مجازة لقصب السبق في ادالته على خصمه واعادة مملكته
الى يده فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم عن اصابة اغراضهم في امره والمحنة
بصيرة التجارب مداواة المحنة حتى ينتهي زمانها ويقضي على الاقبال بحرانها اذا

كان الاضطراب في الحين كالاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه
على نفسه حركة الا ازداد اختناقا وهلكة ومما يضاف الى شعره قوله

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا … هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف … وتستقر باقصى قعره الدرر
فان يكن نشبت ايدي الزمان بنا … ومسّنا من توالي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد … وليس يكسف الا الشمس والقمر
وكم على الارض من خضراء مورقة … وليس يرجم الا من له ثمر

ولما وطئ ناصر الدين سبكتكين عراص خراسان واقلعه الظفر بابي علي بن
سيمجور على كورها وارتاح للقافة وما ينجيه على نصرته واعانته ثم اتفق له من
الانقلاب الى بلخ ما حال بينه وبين المراد فغيرته على حالته الى ان انقرض
ارباب ما يحوي نجم الشغل به واخذ والطوس في طلب ابي القاسم السيمجور
فجدد شمس المعالي عهده به وتلطف كل منهما بصاحبه بما لا يفي به ولا
يقع له حساب ولا حسبان وجرى ذلك فخر الدولة صاحب الري واستظهار
بدر بن حسنويه صاحب الاكراد والقوافس لا نجاده فاراد ناصر الدين سبكتكين
ان يستظهر عليهم بكماة الشرق ورماة الحدق من كتائب الاتراك الخانية فاد
حاجبه الكبير التونتاش الى ايلك الخان بتنجيز حكم الحال التي تواقفا عليها بما

ودا

ودّ النهم من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الاملاك بامداده بعشرة آلاف
رجل من نخب رجاله وشهب ابطاله وصرف شمس المعالي وهواه على ميعاده معاده
ورجع ناصر الدين سبكتكين الى بلخ مستعدا للامر ومنتظرا لوصول المدد والدثر
فاستاثر الله به قبل ان عاد الرسول وعين المسؤول فحبط عليه ما صنع وصوح
دون نبت ما زرع وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة وامين
الملة وبين شمس المعالي في اسعاده ورده الى معاده على مال يقضي به حق غنائه
وبينا هو به حسن بلائه في تحقيق رجائه وتحقق مكائد اعدائه فاظهر الوفاة
لغاية شهرين من قراره بجرجان اذ كان يحمل بجميل ما يلتزمه على ما ينزعليه من
احلابها ويحفل من احتلافها وانه يتحاشى بدء انتقال الملك اليه خبطه صبيته
بالحيف والعسف والاخناء عليهم بمبرح الحرق والنسف فاعجل السلطان
يمين الدولة وامين الملة ما اهمه من ارث ابيه وشغل الخاطر بامره من
تقديم المهاده وتعجيل رده الى وطنه فاستمهله ريثما يكفي ما امامه وينفض
الشغل بما وراءه وسار الى غزنة حتى يسر الله له افتتاحها وداوى على
يده جراحها وكان ابو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة لسبيله
انحاز الى جرجان متغلبا عليها وكانت شمس المعالي قابوس بن وشمكير في
الاستدادا اليها ليقوم بتسلمها اليه وتقريبها في يده فسار على سمت الوعد

حتى وافى جرجان وابو القاسم بن سيمجور باستراباد وقد جمع من الرى ابو العباس
فيروزان بن حسن في جماهير الشاهيرين من قواد الديلم والاكراد وكان قد اطعم
ابو القاسم من بخارا في ولاية قهستان وهراة وامر بمعاودة خراسان فلاذ متمنعا
به ولاستظهار بعدته وعديده تجرد عزمه للانصراف وضرب قالبا للوا عمد
بالاخلاف غير حافل بما يلحقه من الذمة بخذلان من حشمه لنصرته واستقدمه
على ما عن قدرته وسادعو اسعرا بن فانقلب شمس المعالى الى نيسابور على جمرة
النحل استيفاء بالوقت الى مقتطف الرجاء ومخترف الامل تونيبا بما حو ته
رحم الليالى من جنين المقدور في ادالة الميسور على المعسور ولما راى امور
ال سامان مختلة النظام مخلولة العرى والاوزام ولا يزداد على الوقع الا
خوفا وعلى الرتق الا فتقا بمحض الراى فيما يقيم له ما بدا امره وعوش عليه
ابد ملكه فكانت وقعة مختصة ان سرب الاصفهبد شهريار بن شروين الى
جبل شهريار لاستصفائه فسادعوه بملتف لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم
بن المرزبان خال الامير ابى طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الرى فتنا هدا
للقتال على رؤوسهم في الاحتراس بالتراس وادراع لباس الباس وشد عليهم
الاصفهبد شدة شوشتهم بين المهابة والدكادك واقحمهم لهوات المعاطب
والمهالك واصاب منهم غنيمة جمة بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة وانا

الخطبة

بالجبل على شمس المعالى قابوس بن وشمكير وكان باجى بن سعيد احد اعيان الجبل
وشجعانهم مقيما عند الاستنداريه في طوايف من اضرابه مشايعا لهم في ظاهر الامر
وناظرا الى موالاة شمس المعالى من نقاب السر واتفق ان نصر بن الحسين بن فيروزان
اقطعه الامانة بناحية الديلم الحد والاستندارية فطمع في مغالبتهم عليها وسراحتهم
فيها فقصد من جرات انيابها بن طرحه منها وقبض على خاله ابى الفضل اصفهبد فيحن
الان دفن وما لبث بعد ذلك باجى بن سعيد نصر انشاه ندا على قصد آمل وبها ابو العباس
الحاجب في زها الفين من عسكر الرى فاجلاه عنها هزيما تقفوه السفاح وهشيما تذروه
الرياح وطير عند ذلك باجى كتبه الى شمس المعالى بذكر الفتح التي اتيح على شعاره وموالاته
واستشعار طاعته وموالاته واظهار النصح باستطلاع رايته فقصل من نيسابور سايرا
نحو جرجان وتجهز باجى بن سعيد من منامة نصر الى استراباد مجاهرا بشعار صاحبه وتجمع
اليه من ابناء الجبل من كان يسالك شعب هواه ويستلم ركن طاعته وولاه وكتب شمس
المعالى الى الاصفهبد بالانضمام الى باجى ويجمع اليد الى يده فيما تقدم والحزم والشد على عضد
فيما اوردوا صدر ففعل ما امره وقام ابو العباس فيروزان بن الحسن بنيابتهما وهو مقيم
بجرجان فيهند لكفاية امرهما ولحا وما النهب من جوهما فوافقا بباب استراباد وقعة انت
فيها حدود النواطح من حدبد الدوارع ويزلون الزانات من مفارق الهامات وكادت الهزيمة
تتم باصحاب باجى لولا انقلاب الاكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبى وتفوق

العوالي هنا دين بشعاد شمس المعالي فانهزم ابو العباس فيروزان بن الحسن فنين معه فوكب
الطلب اكنافهم واسرهم وزهاء الف وعشرين نفرا من وجوه القواد فى جملته واستركب
بقية الفيل نحو جرجان وقد قدم اليها قابوس بن وشمكير هالار بن خركاش لجدا قادته فنجوا
فقتلوهم بلا وظنوا انهم لا يستطيعون سبيلا واضطروا الى استيناف الهزيمة قرحا على قرح
وكانوا فوق جوج وخوطب شمس المعالي ابو ريحان بن الفتح وما هيا الله له من عظيم الفتح فسار
الى جرجان وقد شرح الله صدره وجلا عن الكسوف بدره ونسخ بالبسر عسره وزاد على العدد
تدوره ودخلها فى شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ولبعض كتاب اهل العصر فيه

عند دخول الملك اليها قصيدة اولها شعر

الجد ما لم يعنه الجد عداد والمرء ما لم يزنه الصبر خوار
والكريم اذا الايام ذلن به من المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجفون النجوم له جفا على حسك اللاوا جزار
وكم جريح قريح القلب ذي عمه وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم ففير بلا جرم وخائنة وكم ضحى وللايام ادوار
سير سريع ودود عنه منصرم نصب العيون ودون الغيب استار
من كان يجنى حال الدهر وابره لم يثنه عن مبان الحال اكبار
وانما حصل الايام مختبرا جد واضنى من التحقيق فوار

يحى

يحى الزمان من لا اصطبار له ووقفة للذى فى الصبر مبار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يدركه التحقيق منتقصا ويعد بضياء التم انوار
والنار فى خلل العيدان كامنة وسقطها باقتداح الزند معتار
والجد يطبع كالصمصام ثم له من صيقل الدهر جلاء وشهاد
هذا الشمس المعالي فى سيانته لدمع الفلك الدوار لخبار
اعطاه من غيره الامال ما قصرت عن نيل امثالها فى الدهر اعمار
ملكا وعزا ومجدا وافعا وعلى ودولة خضتها نصر واظهار
لما كساه ودوع العز ضافية ولم يجد منه غير الشكر جبار
ابدى نشوزا عليه كى يجرب به بالصبر والصبر للاحرار مسبار
حتى اذا ما قضى من سيره وطرا وللامور نهايات واطوار
اسى يعاودها اوضاه فى خفض وخلة بدم التشويه فوار
فالمجد خادمه والعز صاحبه والراى واسه والكون انصار
قسم تضيء جوة العالمين به كانه الشمس والاعمار اقمار
راح الكرام للاكارتابله كانه الليل والاحرار اطبار

بنظر الى اه ربع ...

له المعالي سماء والندى شهب   والمجد سادية والجود اطوار
علاه كالليل والمصباح همته   وبذله الجود والآمال سمار
تراه تنهزم الاموال من يده   مثل انهزام العدى منه اذا ثاروا
وجده الدهر نبراس لحيته   والجود بازله والقصد احوار
حياتي يوم كاح السيف مبتهج   وعدله في حزون الباس سيار
ندى يديه الى الفردوس منتسب   ووقع سطوته في حرة النار
يوم الهياج صفاح البيض ظلته   والجو من لهب الطعنات صفار
يعاين الحرب والارواح قلقة   الى التراقي وطرف الموت نظار
برشو من دفع الاعناق قسطلها   اذ نقعها بجوامي الخيل ثوار
تناوبت انجم الافلاك سطوته   اذ الرماح من الارواح تمتار
فهن في زمرة الاعداء نتنة   وهن في لجة الظلماء نقاد
للمشتري بنهاف المحشر منطقة   يبغي رضاه والمريخ زنار
كمثله روعته امرا بسطوته   فايد على المحظور دوار
وقد اناخ على الظلماء هيبته   فانفجر حذار الباس صوار
ان السلامة ان لو الهمت نطقت   يارب اتلف لي من سيفه جار
يا ايها الملك الميمون طائره   ومن نداه بفيض اليم زخار

ان الزمان عروس مالها ابدا   سوى خصالك مشاط وعطار
الفضل عندك في وجه الندى كلف   نعم وفي غرة الاقبال ادبار
ترى العلى من بنات الكبد عاشبة   فان ومولعات المرتجى اوتار
كاني ما اقلها واسمى اعن ظالمه   وما ادهت به وعي واقدار
تحمى وتلتهب الاوقات وابية   كانما احمت الاوقات اوتار
لا زلت في نعم تفضي الى نعم   ما طاف حول فناء البيت عمار
ممتعا بسرور وعز منك مفترض   حتى تفوق بجود الارض انهار

ولابي بكر محمد بن العباس البلخي المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة يمدح بها وقت قامه بنيشابور

قامت تودعني بالادمع السجم   والقلب بين بلاء منها وبين غم
البين اخرسها والبين انطقها   ومنه حال الرخ الناس كلهم
قد طال ما انهم سعنا البين فلا   غادر بنا بجيش الورد والعنم
وقد خامت لها اعلام الابناء فلا   تاخى سوا الشاخ في زمة اللجم
لم يبق في الارض للعليا امامته   فهل العلاب الكسا والجفن ذي الخدم
استغفر الله من قولي غلطت بلى   اما ب شمس المعالي امة الامم
كان عطاك من سيف الامير وقد   ختم القضاء ومن عزمه ومن كلمه
قال الامير لاخلاق الكرام قفي   بجنب انت فما فلوت على امم

وقال للعلم والاداب لا تونس   الا عليها فاناها بلا و لم

القائل القول لو فاه الزمان به   صادت لباليه اياما بلا ظلم

والفاعل الفعلة الغرا لو نسبت   بالناس لم يكن النيران من حمم

لا تحفلن بنصوب المال في يده   فقد تجف ضروع العارض النجم

قد يجزر البحر بعد المد تحسبه   وعود الحدب وكر الاجدل القطم

ولا يغرنك ان الدهر حاربه   قد يغمد السيف يوم الروع بالبهم

الان انفدت الدنيا تجشمه   وقابلته صباحا اوجه النعم

ترنو اليه فتحنو ثم تنقبض   لراحتيه وتغضي طرف محتشم

اذا دعت نحوه ساقا نهت قدما   والعمر يذهب بين الساق والقدم

حرى تقربها حال وتبعدها   لدى يكون رجوع الابق الندم

وله من قصيدة اخرى يقول في نسيبها شعر

شموس لحسن الخد فيه مغرب   فطالعها البين والهجر غارب

ولكنها شمس المعالي خلا فيها   مشارقه ليست لحسن مغارب

وما القبوه الشمس الا وقد بدا   بانك شمس والملوك كواكب

اقول لزوار الامير تحملوا   فمن زاره من راجل فهو راكب

وان زاره الفرسان كنت كفيلهم   بان يرجعوا والخيل فيهم جنائب

الا ابلغا عني الامير رسالة   تدل على اني على الدهر عاتب

الى كم تحل المرء مثلك بلدة   بها ينبري فيها لغيرك خاطب

طلبت بحد السيف اقصى بعوده   فللسيف دون عند كفك واجب

فلا تقعدن تغضي الجفون على القذى   وفي الارض مركوب سريع وصاحب

غريمك هذا الدهر فالزمه تغتنم   فان يوقظ الغرام الا المطالب

وانت ابن عم السيف بل انت عمه   فكيف تخاف الاقربين الاقارب

البيل بوكم وشمكم وجدكم   زياد وعمرو واقع ثم مناسب

تحرك بنا اما لواء ومنبر   واما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه قصيدة اولها

اسري خيال الهاجر المتجنب   ومجرى دموع الزائر المتطرب

سألتك بالدهر الذي مر بعدنا   قذى ناظري من بعد ان كنت عاجبا

اعني على عين اذا ما وعدتها   بقربك قالت للدموع تاهبي

ولما بدا للغروب شموسهم   وقمنا لتوديع الفريق المغرب

تاملت اطراف الشموس بمشرق   لحسن واطراف الخدود بمغرب

فما سرن الا بين دمع مشيع   ولا قمن الا فوق قلب معذب

كان فؤادي قرن قابوس لامه   تلاعبه بالفيلق المتاشب

همام براه المال اسرع حادث … الحتفه والقرن اخون معطف

بغض العدى المزعزع قلبه … ويقطرهم رعبا ولم يتا هب

ومنه بوصف الرايات شعر

وذوق على مسرقطال اذا موت … تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب

ترضن من طيش الرماح وزوره … السهام وتقصير الحسام المجرب

فخرن ثنيات البيض ثم وصلنها … البيض من سمر الرماح باكعب

نتان منال السهم فيتبعد … وتقن مقام السيف من متقرب

فتى ما تلاقت همتان بصدره … ولا ايشهد الحل براي مشعب

له الهمة العليا والمنصب الذي … يتبعه الخوف آراء الحاظ متعب

اذا بعض اطراف الرجال تقاصرت … عن المجد الفوه كريم التقلب

بن احمدين وشمكير بمنكب … ومن سلف الاصفهبدين بكوكب

ويذهب عن مجد عزير ومفخر … باثار مر دوايح في كل مذهب

وما خلقت للمرء ساعة والله … اذا لم يقابله بخال مهذب

كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا … اذا ادامه من كل خرق مجب

تجود معالى ادو شمر خالد … وتعلو الدنى عن فياسا مالا اب

ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الري على جملة الانكسار وعذاذة الاقتتار وشبه

القتل

القتل والاسار وقطع عليهم سياط العذل والعنف وملئت عيونهم من نفثات التصبير والتثوير وكان ابو علي الحسن بن احمد حموله على الوزارة فاختار عشرة آلاف رجل من بهم الديلم وفتاك الاتراك ونخب العرب وافراد الاكراد وسار بهم في منوچهر بن قابوس وبستون بن تجاسب وكبار بن فيروزان ودشاموح ابن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب وشاد بن كودويه وابي عباس بن عطا وعبد الله بن ماكان وهو كالتوث الجبل والديلم حتى اظل جبل شهريار وبلغ شمس المعالي اقبال الدنيا تحضر ابطال افواجه واستظهر بشهريار واستعد ادا لواقعته وتجرد ابو علي الله في نصرته وتثبيت وطائده واستقامة اعادة اليد من نعمته وحاد ابو علي بن حموله بما الى نصر بن الحسن ورشيد بن فيروزان شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانقطاعه الجانب فواصله بكتبه ناقضا عقدته فاقلاق دولته نافخا بنخوة في نحوه وملقيا اليه ان القرابة الوشيجة بين ابي طالب بن فخر الدولة وبينه لو صادف منه حكمها الاشفاق على دولته الانتداب لنصرته لكان احق الناس بسياسة اجناده وزعامة ممالكه وبلاده وانه الآن متى سلك طريق المداهنة وجانب جانب التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم ما يهواه من ترتيب وترجيب وتنزيل وتخويل وتفخيم وتعظيم وتقديم واذن له في الانتقال الى قومس الى ان يدبر امره بمقتضاه فارتاح نفسه لما شامه من تلك العقيقة وحدث بالحقيقة وسار نحو سارية ثم قرض الجادة ذات اليسار وتنكب ذات اليمين

مما يلي طراسل وابادان حتى اذا حاذى بقعة قومس داعى في اصحابه وابرق
لطاعة ابي طالب وانه ما عاش ومن خدمته ونصرة دعوته فاختلفت عليه كلمتهم
حين افصح بتدبيره وباح بسر ضميره فمن ثم رجع الى الاسكندرانية وهرب الى جرجان في طلب
الامان وحصل نفر في الباقين حتى اناخ بقومس وسأل ابا علي بن حموله تمكينه من بعض
القلاع ليحصن فيها عياله واثقاله فحمله من حصن جومند فاستوطنه واودعه ماله ومعه
ولما ابو علي شره وعادته توجه نحو سارية على قصد جرجان فلما اطمأن بها اسرى
بن شمس المعالي الى ابيه عائذا بالله من عقوقه وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه
فاقام ابو علي بن بيشوت تجاسيا لاشركها في نسبة الجبل وادومة ذلك القبيل و
اشفق من صفوه القديم في خدمة شمس المعالي فحثه اياه على معاودة سدته واهتبال
الفرصة في رجعة جلته فاخذ بالحيطة في استقلاله ووفد الى الري في وثاقه وامتد
لظاهر جرجان مما يلي قبر الداعي فعسكر به وتوصى اهل الحفاظ والحمية والانفة الابية
من اصحاب شمس المعالي بالترافد في الجلاد والتآزر على التقاتل والتماسك
التعاون وشدوا اجيادهم للقراع وقرعوا ظنابيبهم للمصاع وفاتحوهم الحرب طرفي
النهار والرواح لا يسامون وقع الصفاح ولا يالون لذع الجراح حتى غبر شهران
كيوم واحد في معاسة الكريهة بين تكلف وبديهة ومس عسكر جرجان ضيقة
لانقطاع الميرة والمواد عنهم فاستعصموا بالهضاب الشريفة وتحصنوا طول الايام بالبلخ المنيفة مو

لنزف

لنزف المقام على شبع الطعام وورد الشجاعة على سد المجاعة واصاب الاخرين تلك المضيقة
واستقلوا من الفضا بقبر الداعي الى جانب محلة باداسان في العلوفات من جهة جنا
فتدارك عليهم الاقتصاد بالطوفان حتى اعوزهم الاستبداد ومنجت عليهم الاسطار فثنا
الخيام وساخت القوائم والاقدام وعندها برز انصار جيوش شمس المعالي اهل الحفا
من وراء الخنادق واجنوا نار الوغى كمنادمة القراغم وعامية الاراقم وثبت بعضهم
لبعض من مطلع الفلق الى مسقط الشفق يحكمن متون الصوارم في شؤون الجماجم
وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد وفوق الزانات في سود المهجات حتى اذا ذلك تم
العصر لان الله بالنصر فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالبا ولا راغبا واسر من
عظمائهم اسفهسلار بن كوراتكين وزهر او جستان بن اشلكى واخوه وجيد بن
سالار ومحمد بن وهشود واشتملت المعركة على الف وثلثمائة رجل من انجبهم الحتوف
وسلختهم على الارض الشنوف واتى الله على الجبل غنائم لا يتوجها بيان ولا يثبتها بنان
ثم راى شمس المعالي ان يوعز بمداواة الجرحى فاطلق عن الاسرى وصرفهم ودعهم بالخلع
والكرامات والاجبية والصلات شكرا لنعمة الله فيما اولاه واكبارا للقدرة في تحقيق
ما رجاه وانشدني ابو منصور الثعالبي بيانا في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله في

سلك ايامه والحق الذي افتر في بنيانه نظم

الفتح منتظم والدهر مبتسم   وملك شمس المعالي كله نعم

والعدل منبسط والحق منتجع   والشعب ملتئم والجور مصطلم
الفت مقاليدها الدنيا الى ملك   ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المشرقين ومن   به يليق العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو   البدر التمام هو الصمصام والعلم
هو الغمام الذي يحيي سوامقه   فهراد بجوده العرب والعجم
هو القمر وقد سارت مآثره   كان عليا من دنياه تنتظم
والماء من جوده المأمول منسكب   والنار من بأسه المرهوب تضطرم
والارض من صده والريح من يده   والروض عن خلقه للخلق يبتسم
الله جاول بابن جاد حضرته   بالقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا   وعاشر الفتح منشور له العلم
يا من اذا الخطب يعتمد الملوك به   اسعى وامج بالرحمن يعتصم
ابل الجديدين بالعمر الجديد وذم   للملك مجد ملك التوفيق والقسم

وانشدني الامير الفاضل ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي في ذلك شعر

لا تعتبن شمس العلى قابوسا   فمن عمي قابوس لاقى بوسا

ثم لما بلغ ابو علي بن حمولة قومس منهزما من تلك المعركة ارسل الى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به ليتعاضدا على لم شعث الهزيمة وسد ما جاش من تخرق الكشفة

القبيحة

القبيحة ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فاوجف نحو الري وماناه نصر فلم يلحقه فاستوطن سمنان وتابع كتبه الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن علي فخر الدولة مستمدا وشمر لهلاك في الخلل محدانه لمن المدة على استتباب امداده واقبال معونته وانجاده ثم امده ابن بكتكين الحاجب في زهاء الف رجل من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ورماه شمس المعالي بساتي بن سعيد في رجال من الجيل وكتب الى الاصفهبد شهريار بن رستم لمعونته واذا حة ملته فصمدا صمد نصر وخلعا ثياب التحفظ وغمضا جفون التيقظ وقد كان سد الطرق على ابنائها ستر الخبر وسحب ذيل الكتمان على اثره فاتفقت اناقة باغته علي حين تقطع من رجاله وتفرق من اكثر اصحابه وانشب الحرب ساعة ونصر مستعد واسرع في الفراغ ثم اضطر الى الانقلاب على ادراج الخيبة وفشت الهزيمة فيمن تلاحق به وتوافى من ذناب عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر ما امتد به نفوس اصحابه من اجل طلب نغل به وجه حاله وجلا عليه صفحة اقباله ونهض عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة ابو طالب في ثلاثة آلاف رجل لمدد النصر وعقدت له الاصفهبدية على جبل شهريار فقلقله عن الجبال ووند وصادمه الى صعوده واستلاب حدوده فلجأ الاصفهبد شهريار الى سادبه بها نوچهر شمس المعالي معتضدا بعقوته ومعتصما بعروته فاصاب اهل فريم فلاذ ثم بلاده وشمل الكافة داؤه وسببه بسط الايدي بالغارات وانتهاب ما اودعه الرعايا الا وما من الاقوات فاضطر بحول الانصراف عن رستم المرزبان

للسفط الشامل والبلاء النازل فلم يتهنه الاصفهبد عند انقلابه ان ركض على ستم فاجلاه
عنها الحد الرى نكوبا نحو باوند وكلا مغلولا ضعفت لذا جانبه ولحمن بعده شذاة
نفوه عادته وكان ابو نصر بن محمود الحاجب قد الجاه بعض المحن الى خدمة
شمس المعالى فمهد له كنفه وحكم في اصطناعه شرفه وطالت الصنايع والرغايب اليه و
ملا من الاموال يديه وسهل ركوب المطالب عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن بن مزاح
العلاء بتقلد الكفاية من ذوي البسالة والنكاية فقفا اليه جاش ثبت ووجه على
الحادثات صلت ولحق عليه الادمرج بابكوا الحمايات وعوانا على ايديهم فوانه وملده
ثم حل على جموعه حملة شردتهم كل مشرد وطردتهم بين اعين البيد كل مطرد وعلق فجا لة
الاصحاب ستان بن اللاحق وابن هند وغيرهما من اعيان القواد واصطفى على جبالة الكرب
من القتلى ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه الوحوش الجياع وانهزم بين يديه الى سمنان
وكان نصر على خلال دينه ونجابة حشمته وهطول سيفها بالظلم مغرى بالحيف والغشم وافقت
ولايته مدة مجة الحجيج وفدوا البيت العظيم وزمزم والحطيم فشملهم حيثه في كل سنة
بوجوه من المطالبات الخاسرة والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط
عليه جمال تلك الحلة الموروثة ولعل شاد الزمان به عدى حجيج الحجيج منه بالاستغاثة
في حالتي الوقوف والاقامة وواصل نصر الرى بكتبه في الاستنفاد والاستنهاض
من صومعة العشاق قد الدهر طول التطويل بانواع التعليل والتأميل شعر

مواعيد

مواعيد كالخشب سواب المهمة القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالى قد تصالحا على الحبال عقيلة و
الظفر فساء ظنا وضاق بالامر ذرعا وتحلى اليه ابتدا ان بعض قواد السلطان يمين الدولة
وامين الملة وكان يعرف بارسلان هند وعبه والى قهستان قد اوقع بابي القاسم
السيمجوري واجلاه عنها الى الجنابذ فانفذ الرسائل اليه على مظاهرته والتحضيض باتفاقه و
مظافرته وجعل عصب حبله وبقيل في ذروته بحبله وحبله وبعزب له قصد الري
معه لاستلاكها على ابي طالب بها ما نعل البنات في طاعته ودخل الاهواء في
متابعته فاغتر ابو القاسم بتغريره والجرى في جويه وسار الى خوار الرى فتلقاه من
سرهان الكاتب من فضض بهم طرقات تلك الخادم والمساويه لما راى ابو القاسم
ان الامر جد والطريق منسد تحسر وراه عاضا على البنان متحرقا لعارض الحرمان
وبلغ شمس المعالى قابوس بن وشمكير انحرافه مع نصر عن وجه الرى فانفذ فيهما بعثا ثبتت
الاكراد من كل جانب وصرمها من حدود مملكته على عذاب واصب وبلاء باات
الادوش قد ضاقت عليهما بما رحبت وتوافرا على قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة
مستامنين اليه ومستعدين على الزمان بالمثول بين يديه فتمما على حضرته وتوشحا
بجمال خدمته فاما ابو القاسم فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه الحبس واما
نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه بياو وجوه عمالتها فنهض

اليها وابت عليه همته القناعة بها فلم يزل يضطرب في حبالته الى ان خلع من الري
وحل منها الى قلعة استوناوند فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا ووكل شمس المعالي
بعد ذلك همه الى القلاع فيما بين جرجان واستراباد وما وراءها من احاط بهم احاطة
الخلخال باوساغ البعير حتى افتتحها قبلا او مكيدة او مراعاة لحقوق الاستسلام والتسلم
وكيد ضعفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها بما اعد
من ذيال الاحقاب فيها واتفق بعد ذلك اخلاد الاصفهبد بجبل شهريار الى جانب التخاذل
في طاعة شمس المعالي قابوس بن وشمكير وادعاؤه الامر بنفسه اغترارا بما اجتمع له من الوفر
والتف عليه من العدد الدثر والعسكر المجر فرمي من جانب الري بابي علي بن رستم
المرزبان خال ابي طالب صناديد الديلم وفيهم بيستون بن تجاسب المقبوض عليه
من قبل في النظم بهولاء صاحبه قابوس فضبا لهم عرب قواعا ومساعا وثقافا و
ثقافا وكانت عاقبة امره ان كسره ونادى ابو علي بن رستم مكانه بشعار شمس المعالي
الوحشة كان استشعرها من اهل الري واقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر
طاعته وشرح ما فتح الله له على يديه وهاجر ابو حرب بيستون بن تجاسب الى حضرته
المقدسة من فناء ساحته وظل نعمته فانشرح صدره وقوبل اباب جنبه وطاب
بالايناس والاحسان عيشه ولم يجد من الخلوة جنبه وانتظمت مملكة الجبل باسرها
الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالي منوچهر ابنه حتى من لو عاش الى

زمانه

زمانه لرو عليه هوادي مفاخره ووجع اليه حلى آثاره ومآثره وانفتحت عليه بعدها
الرويان وسالوس وما وراءها من الحدود والاستندارية فصارت ولاية ثرثر
بنور العدل والاحسان وتبسم عن ثغور الامن والامان وواصل شمس المعالي السلطان
يمين الدولة وامين الملة بكتبه ورسله في عقد وثيقة يتحصن بها من صروف النوائب
ويستظهر بها على وجوه المطالب وقدم بين يدي نجواه من انواع القرب والمبار
ما خرج من الحد والمقدار حتى اذا كدت العصمة وتاكدت العقدة واشتبكت اللحمة
واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر وبلاد الديلم بحكم
الحال المتيحه كاحدى ممالكه التي يحكم عليها آمرا وناهيا ويبسط فيها حاظرا و
باديا فالله شمس المعالي في همة له بين المجرة مجراها وفي عماد الكوم مرساها فلم يبع
في شيوخ الملك باشرف منه قيمة واوطف ديمة واكرم شيمة واصدق بادرة
مشيمة واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جلالة وتفضيلا واملك للنفس بعنان الحكمة
ولجوى البدن بكفاف الطعمة وقد فطم النفس عن رضاع الملاهي فلا يعرف اللهو
ما هو ولا البطالة ما هي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس للبقاء بهما
يدان ولقد احسن ابو الفتح البستي الكاتب في نصرة هذا الراي بقوله

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا — فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة — لما غدا برج نجم اللهو والطرب

نعم ولا احرص على انصاف الرعية واخذ باطراف العدل في القضية وابرع في الاداء
والحكم والجمع بين ذؤابة السيف وذلاقة القلم ورسايله موجودة في البلاد عند الاقوام
لكنني اكتفي منها بلمعة من بوارق بنانه وزهرة من حدايق بيانه اذ كان في تصفحها
ما يغني عن التكثير في هذا المكان بها فمنها رسالة انشاءها في الترجيح بين صحابة
النبي صلى الله عليه واله وسلم بعقب رسايله القدسية وفرايده اليتيمة وهي بسم
الله الرحمن الرحيم اعلم ان اصعب الامور واشقها عند الجمهور هو الخروج بالنبوة
والاستعلاء على الخلق بهذه القوة لانه معدل الوجوه عن القبل المعبودة وادخال
الاعناق في قلادة غير معهودة ومخاطبة الخلق عن الخالق الذي لا تدركه الابصار والخلد
وقد اعطي نبينا صلى الله عليه واله وسلم ذروة هذا الشرف فضلا عن سلف من الانبياء
خير الخلف وفاق بمزية هذا الذكر العظيم واذاق العرب لذة النعيم ونقلهم الى الثروة
والغنى من الفقر والفاقة واراحهم من رعاية الجمل والناقة ولبس لواء الابتغاء الحط
امده فما فوق السماء للسمو وصعد ثم ضبط الامر بعده وغيرهم على نظامه واقامه فيه فوقا
وهذا امر تولاه ابو بكر لعنه الله عليه حين وقع عمر من منهاج ان سلم الى احد امره فانه
قام به قيام ثابت القلب مستقل بمقاومة الخطب غير مفكر في ردة ولا مبال بمعاداة
معاند حتى حمى حريم الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بان يثلم بيضة الشريعة
ثلم ولا ان يتغير من احكامها حكم فلما نصب خليفة رسول الله باستدلاله عجبا للمدين

الله

١١٥

الله ثم تحصين الاسلام من عوارض الفساد ومحاربة الاعداء والاضداد والمجاهدة
في استيصال فتنة باغي الخالفين المجانب للاسلام ومجامع المسلمين وهو ما اتاه عمر لعنه الله
لما آل اليه الامر فانه صرف جهده الى الجهاد وقصر كده على افتتاح البلاد حتى اتسع
نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لاهل هذه القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان
نعم العون لرسول رب العالمين ثم فرغ النبي من الامر الاعظم والشان الافخم واطفاء
لهيب كل ملتهب على رغم من ابى وطمس النار بعد التجني شعب الاقربين والاخرين وبلغ
من الاحكام مبلغا لم يبق فيه مستزاد ولا يتبين بياض غرته سواد ولم يبق للنا بعين سوى
التسليم بين ممهد ومراعاة بناء شيده ولم يقدروا على القيام به واحجموا وامسوا
احجامه ولما انتهت الخلافة الى عثمان لعنه الله كان منه ما كان من تبديل رفق الناس
بزينة الملك وتغيير سيرة الائمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جني
ثبته به سوء ما اتى ولما عادت الى علي بن ابي طالب عليه السلام هاجت الرياح
من كل جانب وبدت الاوابد وتبدل العقايد وتحول امر الدين سلال الغالبة
ودول القتال والمحاربة ووقعت الخلافة في الخلاف وبرز نصل الشر من الغلاف
وبقي علي عليه السلام على اضطراب لا يهدأ وفي مداواة داء لا يبرأ مع شجاعته
المشهورة وماثره المأثورة وانتهى اخر الحال الى ما جرى عليه وعلى عقبه ما جرى
فلينظر اذا كان الامر كذا امر الامة احق بالتقديم ام اولئك فقد مضى القوم والامر هم

في الاسلام كالشمس في الاشتهار والماء في الانتشار ومنبعهم صالح يحيى على الفلاح
وليس بالكي الخفاء الا الشناعة والفضاح وهل يقدر الكلب الا على النباح وقرات
توقيعاً له الى بعض الافاضل يستقدمه حضرته ليتوخى سترته مجال لمن سمت به همته الى
قصد من تعلو عنده قيمته ان يكون على غير عرجته وليبيت من سواه في باقته وحجته
فاما خطه فخلة المحاسن فسمه ان شئت وشياً محوكاً او تبراً مسبوكاً او ورداً مفصلاً
او سحراً معجلاً وكان صاحب بن عباد اذا راى خطه يقول هذا خط قابوس ام جناح
طاووس كما قال المتنبي شعر

في خطه من كل قلب شهوة　　حتى كأن مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه　　حتى كأن مغيبه الاقذاء

ذكر موافقة السلطان مع ايلك خان ومخاصمته بعد موافقته

قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على القدرة بآل سامان اختص بنظر
ما وراء النهر عن كل منتسب الى تلك الارومة ومتشبث بشعب تلك الجرثومة فلم
يبق هناك ذا ظفر الا قلمه ولا ذا حد الا اجتاحه واصطلمه ثم كاتب السلطان
مهنئاً له بما ذخر الله له من خالصة الملك وصافية الملك وظاهر اليه من ظاهر
العز وباطنه الصنع ومعتذراً لنفسه بما قطفه من عنقوده وجنى به من ملادة على

صفقة

صفقة اقباله وعلاوة على جماله وجلاله وترددت السفراء بينهما في وصلة تبل رحم الحال
وتوكد اسباب المودة والوصال وتحوم حريم الثقة في الجانبين وترفع ستر الحشمة في
ذات البين وتؤدي برتبة الاختلاط الى الامتزاج وقربة الاشتبال الى الانتاج فتغير النفوس
واحدة والقواعد على وجوه مصالحها متساعدة وانهض السلطان عند المامه كان بنيسابور
في طلب المنشور ابي ابراهيم ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام اهل الحديث
رسولاً الى ايلك الخان وضم اليه طغانجوق والي سرخس في خطبة كريمته وطلبه و
نقلها في صحبته اليه واصحبه ما عدا الحد والعد من سبائك العقيان ويواقيت البهرمان
وعقائل الدر والمرجان وتخوت الوشي والحبر ونوادر البدو والحضر وصوان الذهب
مملوءة من بيضات العنبر واواني الفضة منضودة بشمامات الكافور وغير ذلك من
شارات الهند وقطاع العود وذكور النصول واناث الفيول تحت حلي مغشاة بنفائس
التعاويج من الوان الديابيج منطقة بعصائب تخطف العيون ببريقها وتصطحب على الاقتاب
معالقها وعتاق مذاكي كالقداح مخدوة مكنون الصفاح وغرر كنجوم الصباح مقودة
كالخرق الرياح وسنابك كفاق القفاح في مراكب كانما حلي بعضها من قطع عقيق او
شعل حريق وحلى سائرها بنجوم الثريا والنثرة وبنات نعش من فعله المجرة وقرن
ذلك كله باموال على سبيل الالطاف تعجز نواهب الاوصاف فسار الامام ابو الطيب
سهل بن محمد الى ايلك الخان كريماً بنقل كريمة ويحمل من مجد الترسل الى ايلان دقة همة

فطلع على بلاد واصل بيته طلوع النجم طالبا بابه بعد ان طال اعتزابه واجتنب لطيف
اعتابه بعد ان قدم هجره واجتنابه اعظاما منهم لقدره ومفارقته عن باب السلطان في
ذلك الملتهم من الشان ثم لم ينفك في نفسه فهو الامام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يقرن
الى رتبته ضرب لديه ابواب الفضايل خصوصا في خلال بنات المسايل واقام باو
الى ان فرغ من امر الوقاف وانبعثت علته في الانصراف فعاد على جناح النجاح مصحوبا
بحلويات التراب من نفر المعادن ونوافج المسك وقود المراكب وعيس الركايب و
وعد الوصفاء والوصايف وبحل البزاة وسود الاوبار وشغب الخيل واجياد العشب
وطرايف الصين واتحدت الحال بين السلطان وبين ايلك الخان اتحاد الاستراقيه
المراتع والنعم واستمر فيه الصنايع والخدم وبقيت على جملتها في التاكد والنما
الى ان نزغ الشيطان بينهما فتغلبت النمايم واحكمت القوى بالمرايب وتولى الشيخ
تدبير ذلك الوصال لحل معقوده وفصل سروده وسياق الشرح على الوقايع التي
جرت بينهما في موضعها على الاثر فاما الان فاني اشير الى نبذ من محاسن هذا الشيخ السعيد و
الكامل بالاشرف السديد وجانبه معالي خراسان من اعيان رعايا السلطان
بين الدولة وامين الملة ووجوه الفضل من اولياته من منثور كلامه قوله
من تسدد قبل اوانه فقد تصدى لهوانه يشير الى قول منصور الفقيه شعر

الكلب اعلى همة وهو النهاية في الخساسة	ممن ينافس في الرياسة قبل اوقات الرياسة

وقوله

وقوله العقل الطيب عيش والعدل الغالب جيش وقوله اذا كان رضى الخلق معسورا
لا يدرك فان ميسوره لا يترك وقوله انما يحتاج الى الاخوان العشرة لزمان العسرة وقوله
من تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى عونه فهو من طلب عليك علة اذا ما نبهته على تقصيره

كأنه الذي يقول القائل شعر

توقى الناس بابن ابي واوي	فهم تبع المخافة والرجاء
الم تر مظهرين على عتبا	وكانوا امس اخوان الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا	على اشد اسباب البلاء
ابت اقدادهم ان ينصروني	بمال او بجاه او بشراء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم	صديقا فادعوا قدم الجفاء

ولبعض اهل العصر فيه شعر

كلام الامام امام الكلام	وفوه بفوه بدر النظام
مزاج المعاني في نظمها	مزاج المدام بماء الغمام

ولبعضهم شعر

الا ايها الشيخ الجليل ومن به	تبلج افق الدهر من فلق البشر
لئن كنت في الدنيا وانت وحيدها	عيانا فان الدهر في صدف الحجر
ولم تعول الدنيا لانك دونها	ولكن لب الشيء يحسن بالقشر

وقد صين نضل السيف عنه قرابه		كما صين نور العين بالجفن والشفر

من جملة الاعيان من فضلاء نيشابور ابو محمد بن علي بن اسمعيل الميكالي

وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلاً موفوراً وادباً مشهوراً و
عزاً مفقوداً ومالاً ممدوداً ويداً بالكلام رقيقاً وخرجها كالمرج مغاداً ووهياً يأتي الليل		كالمراد كالمواهب
البهيم نهاراً ونظراً يستشف اسناد المعاني ويكشف اسرار الغيوب وشعراً انقى السحر		البيان
والجوهر ذكي المسك والعنبر رضى الوجود والمسك فمنه قوله

بان العلى والمجد والاحسان		والفضل والمعروف اكرم بان
ليس البناء مشيداً الشيد		مثل البناء يشاد بالاحسان
البر اكرم ما حوته حقيبة		والشكر اكرم ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره		كفل الثناء له بعمر ثان

واما كتابه فالسحر الحلال والعذب الزلال فهي تحكي ما تحويه من لطف العبارة وحسن
الاستعارة وحصول الاشارة والنادرة ومناص مشاء الى قراءته ونشوه كلامه ورسايل
منها ما كتب به الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير اقرانه تهنئة بسم الله الرحمن الرحيم
كتب العبد وحاله فيما يديمه مولاه من شرف اقباله ووجهه وبينه عليه من ملابس
فضله ونعماه حال من تقبل عليه دنياه ويسعد في ظل دولته باولاه واخراه والحمد لله
رب العالمين ووصل كتاب الامير موشحاً بدر خطابه اغايبه وبدايع بره وافضاله

ودوايع

ودوايع انعامه واشباله فيما اكرمني به من عز العبادة والبسته من حلل الفوز
والسعادة وشرفني من التهنية عن العامة المستفادة فاوصل غرا يبقى على الايام
اثره ولا يخلو عن الزمان ذكره ومفخره وخصه العبد فخر من آنس به وشدّ واقتبس
من اثاره قوته وابدا وسجد لله شكراً على ما افاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه
من ظلال الفضل والكرامة وزيد العبد في اسباغ العوارف عليه وصرف الحادثة عنه
فاما ما اهل الامير العبد من شريف كتابه ولطف خطابه ورقاه اليه من درجة العبادة
اولاً ومنزلة التهنية ثانياً وانفاذ القاصد ثالثاً فان ذلك من نتائج همته العالية وعوايد
شيمته الزاكية التي تحوا بها على اعلى اياته وخدمه وتعطف على اضيافه بانعمه فليس للعبد في مقابلة ما
اولاه ومعاوضة ما كتا الا الشكر بهمة والنشر بقيمة مع الرغبة الى الله عز في اطالة
بقائه وادامة عزه ونعمائه وانهاضه بموجب خدمته ومعرض تقدر نعمته بهمته وحسنه
هذا اول مالك العبد في مقابلة هذه النعمة على جلالة قدرها وبناهة خطرها غير بذل
المهجة والقربة في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية لبلوغها تقرباً الى حقوقه
بما يقتضيها ويؤدي شرط العبودية فيها وحكم على نفسه بالعجز والتقصير عنها واذ قد تعذر
المراد فما يتمسك الا بالرغبة الى الله تعالى ان يتولى من مكافاته ما لا يبلغه الامل ولا يفي
به الاجتهاد فهذا هو الكلام الذي ليس به عثار ولا عليه غبار وقد وطّا الفصل تحيير وملك
العقل وسمعه وتصويره والقليل منه على الكثير دليل وكلام الجليل كقدره جليل ومن شعره

قليل منك يكفيني ولكن   قليلك لا يقال لها قليل

وقد اكثر الشعراء في مدحه لكنني اثبت ابياتا للخوارزمي فيه من قصيدة اولها

زفت المنام الى طيف خياله   لو ان طيفا كان من ابداله

ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع   شكر الامير وقد غدا من آله

لا يشتفي الالحاح نايله ولا   سؤل امرئ يشفاه عن اسآله

الوفر عند نواله والنيل عند   سؤاله والموت عند صياله

والخلق من سؤاله والجود من طوله   والغيث من هذا له والدهر من عماله

وفعاله كمقاله ومقاله كفعاله   وشماله كيمينه ويمينه كشماله

يجمع الاموال في امواله   فيفرق الاموال في آماله

لا علم الا عنوة في عزه   لا حلم الا حالة من حاله

ومنها

سمح البديهة لين الفاظه   وكانما الفاظه من ماله

وكانما عزماته وسيوفه   من حدهن خلقن من اقباله

متبسم في الخطب عند اناته   متلثم من حسنه بفعاله

هبني وهبت مجده من فضله   من ذا يفي بالشكر من افضاله

وله ايضا من قصيدة اولها

١٠٩

تلك الديار غريبة الاحقاب   صنعت بعيني صنع ساكنها بي

والى الامير بن الامير تواهقت   مدح الركاب بوازخ الركاب

لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه   وغدوا لحاجتهم غدو غراب

والنجم يطرف والظلام كانه   فضلات عتب في خلال عتاب

طلبوا اسرا افعاله محسوبة   ونواله فوضى بغير حساب

غدت المدايح وهي اسماء له   ولغيره اصبحن كالالقاب

والمكرمات كثيرة الخطاب الا   انها تابى على الخطاب

متبسم الجلباب مكتئب العدى   مثوى النديم بجانب الحناب

شيم ارق من الهوى والذ من   خطا العاشق رددته بصواب

وعزائم لو كن يوما اسهما   لنفذن في الايام غير نواب

ما ثبتة الحركات الا انها   نادبة الاقدام والالباب

يخطرن بين سياسة ودماثة   ويجلن بين مثوبة وعقاب

قد اصبحت الفاظه صور النهى   وقوالب الاسماع والالباب

واذا احلت لعجائبا واحدا   حل المؤمل منك الف جناب

وما آل ميكال الاكابر قاله ابو الطحان القيني شعر

ولقد من القوم الذين هم هم   اذا مات منا سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غاب كوكب   بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود   تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومما يعد من مفاخره نجيبان له ابو الفضل وابو ابراهيم عبيد الله واسماعيل ابنا احمد كل
منهما بدر في ضيائه وعلائه وبحر في تياره ونمائه فمن ان ابا الفضل ابرع في لطائف
الادب وانظم لقلائد العرب فقد سار له من النظم والنثر ما يزري حبره بوشي صنعاء
وزهره بروض ميثاء شهباء فمن فصول كلامه كتاب الشيخ وصل فاذعنت القلوب
لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في تشبيهه ببدائع الاوصاف فمن مدع انه ذو قبة
الوصل ووديعة الخل ومنتحل انه عقد النحر ومعقد النحر وسط الدر وقائل هو سلك العقود
ونظم العقود فاما انا فقد تركت التمثيل وسلكت التحصيل فقلت هو سماء فضل جادت
بصوب الحكم ووشي حبر حاكه سن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم وايضا منه
وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع ووشي الوشي الصنيع فلقيته بجلالة الاجلال
والابلاغ وجلاء النواظر والاسماع ومسن الخواطر والطباع وصيقل الافكار والالباب
وعيار المعارف والآداب ولاحت منه تميمة فضل وتميمة مجد وثمينة عقد
ولطيفة خلق وغنيمة بر تجلوا صفحة العهد وتجلي تاج الاثر وتجل عن قدر الشكر كلا
اعذب من قطرات المطر واعبق من فتات المسك والعنبر تزري بنور الخمائل وقد عطر انفاس

الشمائل

الشمائل ومن منثور الفاظه اخلاق قد اخذت من الورد عرفه ومن الند عبقه
اخلاق هي المسك لولا فارته والورد لولا شوكته والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض
لولا حاجته الى المطر ووجه البدر لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه وهو عامر
من العود وآخر كاس من العلاء وله الشرف الباذخ الا ان المطاع والعرض المصون والمال
المضاع وله النوال المنسكب والرأي المقتضب ومنه الاباء المر والكرم العذب وهو
واحد البشر وثاني المطر وثالث الشمس والقمر ورابع المسك والعود والعنبر المخفي
على مر الحداثة اذ غصن شبابي غض وريق ونقل شرابي عش وريق النعمة عرق
مهرها الشكر وثواب صوانه النشر النغمة منه تكسبني من لومه اطمارا وتشكى
غربة واسارا ولي المخزون يوسف من القلب في خلو وبجري مع الريح في طلوع
دلوت دعي الحرب بين اهمار تباخ واجسام تطاح وارواح تشفي بها الرياح
فالسيوف للهامات وامخة والرماح في الاكباد والغة ومن نظمه قوله

لقد راعني بدر الدجى بصدوده   ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي   ويا كبدي صبرا على ما كواك به

وقوله شعر

مناق ذرعي في هوى قمر   قمر القلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت   فترى الجفن الذي فترا

وقوله شعر

تفرق قلبي في هواه فعنده … فريق وعندي شعبة وفريق

اذا ظمئت نفسي اليه فانني … فان لم يكن راح لديك فريق

وقوله شعر

انكرت من دمعي تهري كيها … على جفوني على البكى والى بها

وقوله شعر

ان لي في الهوى لسانا كتوما … وفؤادا يخفي حريق هواه

غير اني اخاف دمعي عليه … ستراه يفشي الذي ستراه

وقوله شعر

لنا صديق ان كان مهفهفا لا طفه … فان يكن في دهرنا ذوابة لاط فهو

وقوله شعر

لا تبتهجن بالحيوة ذائقة … فكل نفس للممات ذائقة

وقوله شعر

وكل امرء يتبعه بعد غنى … فهو يجمع بموت او زوال

وهم يجدون على الارض طرا … البس الموت يرى مادون على

ذكر ابي البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد الملقب بجور بن الحسين بن علي الملقب

بالديباج

بالديباج المدفون بجرجان ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم الصلوة والسلام

واري النجابة لا يكون تمامها … لنجيب قوم ليس بابن نجيب

نسب توارث كابرا عن كابر … كالرمح انبوبا على انبوب

فلجمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور الرياض جادتها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب فمن نثره فصل له احب ان يكون مكاتبتي للامير انفا لم ترتع ويكوالم تفقوع وسابية لا تؤكب ولا تغلب فلا اشوبها بارب ولا التسبب اليها بسبب فعل من لا يثنى ولا وطمع ولا يتوبه عواه عبث ولا طمع على ان الاضطرار يعتبر في وجه الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاحرار وفلان تمتني بحق الجوار ولقد نشر جوايد شكره واظهر محاسن التشرخبايا بره فملا الارض ثناء والسماء دعاء وعادة الامير ان يحقق الامال ويسترق الاحرار فليجعل تشكر ما هذه الامال محفوظا ولا يجعله محطوطا ان شاء الله تعالى ورقعتي هذه وانا عايد معود وقاصد بالزيارة مقصود الخاطب صديقي بما الخاطب به الكاتب اخوان بما كاتب سماي وقلد وارضي وعاد نتنا بني الحمي ولا نفاد في الكر بعضي نفثان ونفخي نفثان كان الحول شاطرني فصوله فتات خريفه وجعوله فالربيع بين جفني وجنوبي والصيف كامن بين صدري وحاقوي ومما عرفت لعلى هذه

سببا الا اني رايت نفس الحرة متشكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم
والكمال متاذية فحلت عنها اذاها وقلت ممتثلا لا متمثلا شعر

ونعود سيدنا وسيدنا · لبث التشكي كان بالعواد

ثم ذكرت ما اعد الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت عند
ذلك ما استعظمته وسهل مسلكي وان استوعرته وقلت مسح الله تلك الشمة
من العلة واعطى الشيخ بها امانا من القلة واعمى ناظر الزمان ولا طرق الفنا عنه
طوارق الحدثان وتمنيت ان واصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ مشاهدا
لحال ما قابله نحو البر والاقبال وقد حيل بين العير والنزوان وعلى حال الوهدة
فان استروح الخبر سلامته واحصل لنفسي به منة وله ابده الله باهداء الى
يدومنة ورايه في التماس به موفق ان شاء الله تعالى

ومن نظمه قوله شعر

واهيف يحار بالحاظ عينه · حكى لي نشيه من البان املودا
سلمن بذكراه من الشمس ليلة · اسامره والكاس والناي والعودا
يرى النجم للجوزاء والنجم فوقها · كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب ابو بكر الخوارزمي شعر

لئن كان ذنبي ان اتى اعلاك · فذلك ذنب صغير صغير
وان كان هجري من اجله · فذلك ظلم كبير كبير

صدود لعمري صدود الجبوة · وصد سواك يسير يسير
تزور قليلا تجد شاكرا · لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقانق شعر

فان كنت تهوى اليوم اكل اللقانق · فبادر الى امثالها الجيد الغرانق
الجامع اللذات طيبا وجودة · تفنن حقه طاه بصنعة حاذق
تراه على السفود عند صلابه · كرخبة زنبك بجلى الخانق
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه · منوط عليه في محل المناطق
فاعم لقيت المجنون في حاجة امرئ · وفي بشرط الود غير ماذق

ذكر ابي جعفر محمد بن موسى بن احمد بن ابي القاسم بن الحمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام

وهو عندي ممن يستحق ان يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان يواليه لولا
ان قدرة الله عندي جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله
جاوز السبعين وناهز الثمانين واحد الانام منثورا ومنظوما وثاني الغمام معقولا
ومعلوما شب العلم خادما وشاب على العلا مخدوما · فصل له من
كتاب وصلت ملطفة السيد فالطفت لقليل برده ووجه مسع الارتياح
ووددته بخبر سلامته التي نيتها عندي نسيم الجنان والوسيلة الى السلوان
كيف لا اعتد بصنع الله لي في تجديد وده وعقيلة عهده وقد تبلغني انه

اخا حين عز الاخآء وعدم من الاوفآء الوفآء وكاد لا يصدق في وجودهما ابدا ولا
يظفر بهما اصلا ولا بالشد واصبحت المصافاة مجاملة ومغايرة والمخالصة مكاشرة و
متاجرة وقد كان المتحابون في الله اقل من القليل والاسلام عليه رونق التشبيه
وهو في بودقة التشبيه   كلامي في غالبة الشيخ مماثل لانعكاس شعاع
الناظر وورد الفواره ماء الغمام الماطر على المذهب الذي يذكره علي بن الجهم في

صفة الفوارة شعر

تردّ على المزن ما انسكبت   على الارض من صوب اسطارها

كان كل مجلس من مجالسه مرتوقا وللازدياد مشوقا فكان مرويا
مطيبا وموافقا مطيفا ومما انشدت من قلائد شعره وان كان كالحصى تمثلا

شعر قوله

انما قصر الصديق المقل   عن حقوق بهن لا تستقل
ولئن قل نائل فوفآء   في وداد وخلة لا تقل
ارخ سترا على حقارة برّ   هتك ستر الصديق ليس يحل

وقوله شعر

قالوا توقّ في الامور فانه   نجح ومرمى الدرك بالالباس
ولقد وقفت فما اصبت بطائل   ما ينفع الالباس بالالتباس

دقد

وقوله شعر

واخلاق كاطراف الزجاج   رفقت بهن رفقك بالزجاج
الى ان عدن لي عند التجني   كذاك تكون عاقبة الفلاج

وقوله في مرثية سليمان الخطابي رحمه الله

انظروا كيف تخمد الانوار   انظروا كيف تسقط الاقمار
هكذا هكذا يزول الرواسي   هكذا في الثرى تغيض البحار
احد الدين والمروة والفضل   رمته بسهمها الاقدار
مات من لم يكن لدنياه فيها   بجاه ولا عليه اقتدار
هي مغترة اليه خداعا   وهو دون اغترارها فرار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له

ابا القاسم استعبدت ودي بنائل   تلاه بلا من ليتول طارف
واضعفت شكري حين ضاعفت نعمة   وقد يضعف الغيث الندى المتضاعف
الاكان كتاب منك في طي ظرف   تضمنت من الطافهن الطرائف
بمجمعة احسان لحر يحسنها   يجود اذا ما الاخلتها الصحائف
فواصل منها شبابا مساعد   وطالعني منها زمان مساعف
واصبح منه عاد لا وهو عاسف   وعادت رحاه وجهه وهو عاسف

ذكر ابي منصور احمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي

الكاتب ابن كاتب والنقاب ابن النقاب البحر ابن السحاب والبدر ابن الشمس والنار التي لا
يخمدها الماء ذكاء والسيف الذي لا يالف القراب مضاء والسعد الذي يلي وتد السماء نكا
ونما فعطارد تلميذ افادته والمشتري مشتري سعادته وثاقب النجم حسد دهائه و
شارق الشمس خادم رايه وهو ابن خادم ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابو العباس تاش على
ديوان اسراره بارعا في الصناعة متمكنا في البراعة مخلوقا لفصل القول بموقا بعين
الطول بامل الصاحب اسماعيل بن عباد مخرق عليه قرطاس الادب وسجلة فضلا
الدلول الى عقد الكرب مصعب لا الصعبي يناهيه ولا الموصلي يباهيه ولا القادسي يدانيه
ولا البديع بعض مساعيه يجانس النجم النثرة نثره ويثاقب شعره فما بلغني عنه انه قال

بحسام دولته وصاحب جيشه   وحجاب سيدته ابي العباس

وقد جمع في هذا البيت خصائص اوصافه وختم الى واسطة اقاصي اطرافه فلا على نبوة الاعجاز
ببرهان الاختصار والايجاز ولو اراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعداه
موقف التشبيه فنما نمو الاشياء على طيب التربة صالما ليبن نمو القامة والفخامة
لكن نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفا والمجد يرشو ما على القدم
واختص بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجاب
وناظرهم الباب تا علاه بمتد حتى لبس للاستغناء متنا وغنى عن السواد ان

كان

١١٤

كان عليه بباسنا وانتقل بانتقاله عن هبة الكتابة الى رتبة الوزارة ومن جنس
الخدمة الى بقاع الشركة في الامارة فلم يشركه من ابناء جنسه في البلاغة اثنان
وسار حتى اعياه من يتبع مبد المدان مدان فمما وقع الي من نسج قلمه وحر كلامه من
كتاب خاطب به بعض اخوانه لعل الدهقان يظلمني او توهم مساعدة الزمان مباعدة
الاخوان وادنى من صدر الوزارة بقاب كالمجادة فلم يزل بتل الراتب حلالا
للعقود وقطاعا للاواصر والعهود وكلا انى ما ازداد ارتفاعا الا ازددت للمتدني
اتضاعا ولا انال على الايام رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة غير ان بصافه
الزمان وبيد له السلطان وبذم عهد الاخوان على اني مهما نسيت عهدا او
تناسيت وقلعت اخية الوفاء دون من احببت فلست انسى عهده ولا ارضى
تطبعته ومجراي وقد قيدني بايادية النظم واسترقني بمعاليه الغرفاوي
له بديلا ولا املا عنه تحويلا اماذي الله ما بقيت من صدوده ولا سلبني
طيب الانس به بمنه وجوده وهذا القدر على مبلغ القدرة دال وللمميز الباري
متى قصد الانصاف في المدح والتقريظ مجال فهؤلاء اعيان رعايا السلطان
في الفضل الواسع والادب الجامع ووراهم من اعلام البراعة واحداث
الصناعة من تحف ذكرهم عن الغرض المقصود بهذا الكتاب وسنعود الى
ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة ووقايعها التي دوخ بها حدود الطباق

[illegible]

وان تحتطها نفوس العداة فتنتهي كل الى وقتها ويومها ونلحق شرح حالها بتقريبها الحين
ان توفى الكلام حقه من الاشباع في الحروب التي جرت بين السلطان وبين ايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان وسكو
له نابضها والغاب عنه عارضها ارتاح لغزوة بهاطية فجر الجحافل سوم بين بشعا
العداة الثقاة ورايات الحماة الكماة حتى عبر سيحون من وراء المولتان الى مدينة بها
طية فالفاها ذات سور تقصر عن مراقيها اجنحة النسور وقد احاط بها خندق
كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي مشحونة بمل الوهم من عدة وعدد
ومحول من حديد وكل فيل كشيطان مريد وعظيمهم يومئذ المعروف بيجي راي فاستخفه
بما حوته يده البروز من وراء السور مدلاً باعداد رجاله واستخلاص افياله ومتطاولا
بباع الاقتدار في قتاله وخطا السلطان عليه نار الحرب ثلثة ايام وليا ليها
يرميه بالصواعق من ظبي السيوف البوارق ويقذفه بالشهب اللوامع من شبا
الرماح الشوارع وواصلها عليهم صبيحة الرابع بغروب يطير الحواجب عن العيون
ويزيل القبائل عن الشئون ووشق بدم الاجساد مناخل بل مناخر قد انبحرت عروقها
واحمت على النكوص عن نصرتها حتى اذا توجهت الشمس قمة النهار اهاب بالشد على
الكفار الفجار فتجاوبت نغم التكبير استنزالا لنصر الله وتنجيز الصادق وعد الله
وحمل اولياء الله على ذوي الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم واوقعت بالذل انوفهم

واقبل

واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين ويقد الدارع بنصفين ويسقي ظما
الكفر من كؤوس الحين وملك عليهم في تلك الشدة الواحدة عدة من الفيلة التي
كان يعتدها الكافر حصون القلب ويعدها سكون القلب وتماوج الفريقان في
غمار تلك الحملة بين ثقف ينشر ادمغة الهام وطعن ينزف حشاشة الاجسام
واعلى الله راية السلطان بل راية الدين والايمان واهب ريح النصر رخاءً فولى
المشركون نحو المدينة اعتصاماً بسورها واعتصاراً في دورها فاعجلهم الطلب
عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار وتعاون افناء العسكر على سد
خنادقه وهدم وثائقه وتظافروا على تفسيح مضايقه وتفتيح مغالقه وكان بيجي
حين غلت مراجل الحرب واضلت مناجل الطعن والضرب يحس بالموت والعطب
وشام برق الويل والحرب فاندس في عصابة من رجالة رجاله للالتجاء ببعض
الغياض والاستناد الى شعف تلك الجبال فضرب السلطان كوكبة من خواصه
في طلبه فاحاطوا به احاطة الاوزار بالاعناق وحكموا فيه حدود البواتر
الرقاق فلما راى بحور ما دهاه عمد الى خنجر في حضنه فهتك به حجاب صدره و
انتقل الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة جزاء لمن كان كفر وتولى وجحد
الاولى فلا صام ولا صلى ولا سبح ربه الاعلى ثم واقبل عسكر السلطان
فقتلوا المقاتلة وغنموا الاموال الحاصلة وحصل للسلطان مائة وعشرون راساً

من الفيله بما يضاهيها من ذخاير الاموال والاسلحة ملكا عزيز على غير مناله و
وملكا تطفل على حلته حلاله واقام بمهاطية الى ان طهرها من انجاس اولئك
الارجاس وادناس اولئك الانكاس ونصب بها من يعلم جملة الذين سنن الاسلام
ويبين لهم طرق الحلال والحرام ثم كر الى غزنة موفور العلاء منصور اللواء عالي الراي شامخ
الجد على خط الاستواء الا انه واقف عنصره هوامي امطار وطوامي انهار وقوارع ضخم
واقتال فاستغرق الغرق جل اثقاله وشمل التفرق جله من رجاله ووقاه الله انه
تلك المسافه ومهالك تلك المسالك وهو يتولى الصالحين وقد كان ابو الفتح
محمد بن العلي البستي يذكر حركات السلطان بنفسه في تلك المقاصد
براي يستمليه من عطارد وحقا لقد كان يقول لما تشهد به العقول ولكن اذا
جاء بهرام والسيف الحسام والبطش والاقدام فقد سقط الكلام وبطلت
الصحائف والاقلام وانشدني ابو الفتح لنفسه في هذا النبا

الا ابلغ السلطان عني نصيحة　　ليشجعها ود وراي محنك
تجاوزت اوج الشمس عزا وهمة　　وذلك قصر الكل من قد تملكوا
فلا حركات متعبات بدنها　　فان اوج الشمس لا يتحرك

وهذه مسئله تنازع فيها الاوايل فمنهم من يجعل لاوج الشمس حركة كساير
حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروه ببراهين هندسيه واشكال

برهانيه

غزوة الملتان

غزوة الم

برهانيه غزوة الملتان قد بلغ السلطان يمين الدوله وامين المله حال والي
الملتان ابي الفتوح في خبث نحلته ودخل دخلته ووحش اعتقاده وفتح
الحاده ودعائه الى مثل رايه اهل بلاده فانف للدين من مقامه على فظاعه شره و
شناعه امره واستخار الله الخالق في قصده لاستتابته وتقديم حكمه في الايقاع
به وامر بضم الاطراف ولف الذيول وجمع الخيول الى الخيول وضوى اليه من
مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى الحسنيين في الازل
ومشى بهم نحو الملتان عند موج الربيع لسيول الامطار وسيح الانهار بفصول
الانداء وامتناع سيحون واخواتها على ركابها واستصعاب متونها على اصحابها
فطلب السلطان الى انندبال عظيم الهند ان يطرق لهم في مملكته الى مقصده
فتسرع وتمرد واخذته العزة بالاثم ورأى عزة الراي في دهمه ذلك الخطب
سده به على عزة جانبه فبذل صليقه ووسع عرضه وعمق لفه وتلفيفه
جامعا بين غزوتين وقاطفا جنى الحسنيين فبسط عليه القتل والاسار والنهب
والارهاق والهدم والاحراق بليه من مضيق ونفقه من طرق الى طريق
طاويا عليه بلاده طي التجار بحضرموت برود الحبال وحوت القنا من خلت
حلق الدروع وسكرت الطير من رشف على الاحشاء والضلوع وركب
اثره في اغوار دياره واعماق رباعه يتجسس دمات السهول وقصص الاعلام

ويقري عليه وحوش الجو بين مضيق المداخل ورحاب المغاور حتى اضمرته نواحي قشمير
لما سمع ابو الفتوح والي المولتان بما جرى امر عظيم الهند وهو الواهية الرقعة
والسد الثلم والسيف الضيع قاس باعه بشبره وذراعه بفتره وايقن
ان دعن الجبال لا تطال بهضبات القور وزرق البزاة لا تنال بنغاث الطيور فحمل
ثقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى المولتان للسلطان يفعل
فيها ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا بالله على من احدث في دينه او خبث
بنو هينه فاذا اهلها في ضلالتهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فضرب
عليهم بحران المحاضرة وكلكل المناجزة للغلاصم وتبكيتا للاملاحي
من المعاصم وارصاد الحرب بالعادات العواصم حتى افتتحها عنوة وشحنها
عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم يرحضون بها استعصابهم
ويذودون عن انفسهم محجنة استشرائهم وابائهم وعمر ذكره بما اباه الله من
نصرة الدين واناره معالم اليقين عرض البحر الى مدارات المصر حتى درست
بها مقامات التي لم ير امثالها عن ذي القرنين الى حيث انتهى من ارض السند
وارتعدت فرائص السند واخواتها حذار بطشه وانتقامه وخفقت بها
بحق لالحاد وطمست صوى الغي والعناد فلله در من قال ابو تمام

حيث يقول

حيث يقول

كرمت غزواتك بالامر والخيل ... دقاق والخطب غير دقيق
حين لا حلة السماء بخضراء ... ولا وجه شطوه بطليق
ان ايامك الحسان من الروم ... بحر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانها بالدم ... المهراق ايام النحر والتشريق

قد كانت الحال قائمة في الالفة بين السلطان وبين ايلك الخان الى ان دبت
عقارب الفساد في ذات البين واضطرب الجبل الساكن واشتعل الجمر الهامد
وراعى ايلك فرصة الجاهز بنير المكاسر حتى اذا اصعد السلطان صعيد المولتان
وغلبت نحو تلك البلاد راياته وخفت عن اعيان رجاله ولاياته سرى سباشي
تكين صاحب جيشه واحد قرابته الى كسور خراسان في معظم اجناده
وسعى بلج بجعفرتكين وعدة من وادة وكان والي طوس ارسلان الجاذب مقيما
بهراة مامورا بالانحياز الى غزنه متى نجم ناجم عناد ونعق ناعق بفساد فاسرع الانقلاب
اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال وتربصا بالجمل غاية الفصال وورد
سباشي تكين هراة واستوطنها وندب الحسين بن نصر الديوان بنيسابور
لترتيب العمال وواصل الاستخراج وما يليهم كثير من اعيان خراسان لاستخفاء خبر
السلطان من جانب مولتان وتناقله الالسنة اهواء القلوب وتوازع

النفوس اخابير زورود راجيفة وسوامر الامير ابو العباس الفضل بن احمد لامحا
على الطرق بين غزنة وحدود البامنان وتجبير وسد اها الحاه الرجال على حصانة
مداخلها وصعوبة مراكبها وطير النذير الى السلطان بما انبث في اطراف البلاد
من حيات العداء وعقارب الغواة فاعجلته بديهة البلاغ عن استتمامه وازعجته
عليه الحمية عن مقامه فركب ركوب العاصف اكتاف الجهام الفازع بطوي الارض
طي المهارق بين ايضاع وايجاف واهتداء واعتساف وبين سهولة وضراب
سهوب وشعاب حتى القى عصى القرار بغزنة واقام العطا لابناء دولته وانشاء
حملته وملا ايديهم بالعطايا والرغائب وازاح عللهم بالمطايا والركائب
استنفر الاتراك الخلجية احلاس القهور وابناء الصوارم الذكور فنفر منهم
جن على جن وان كانوا بشرا كما تاخيطوا عليها بالابر وحاشهم نحو بلخ وهبا
جعفر تكين فاسرع الكر الى الترمذ اشفاقا من ضغم الضيغم الحادر وحذرا
من وثبة الارقم الثائر واستقر السلطان ببلخ موفورا الانس والجد كما
تجلى صفحة القمر من برج الحمل وامر باتباع شباشي تكين بارسلان الجاذب في زهاء
عشرة الاف من ابناء الكفاح وحتمة الارواح باشطان الرماح وسارع شباشي
تكين نحو الوادي للعبور فلم يرعه الا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكر
على ادراجه حايرا عايرا وعطف الى مرو على ان ينسرح منها الى الشط على

سمت

سمت المفازة فاذا الابار مردومة والمناهل مطوية وودقة الصيف مسعورة
واذيال السوافي على المعالم مجرورة فانثنى الى سرخس وبها الحسن بن طاق رئيس
الاتراك الغزية فاحدق به احداقا وسد عليه باب الهرب وضيق وبه وجه المجال
المضطرب فانفه مانعه ثم ظفر به شباشي تكين فقدره بنصفين بعد ان قتل
منهم مقتلة عظيمة من الجانبين واعجله ان تلافا رسلان الجاذب اياه من فضل
المقام ودرج الاستحمام فارتحل الى ابيورد ومنها الى نساء وبينهما رحلة واحدة
كلما صدر منها وورد ذاك حتى طحن ذلك اناخ هذا يتقاسمان املاك الطلب والهرب
جالا ولا يردون المياه الا الماما وقد كان شباشي تكين قد حصل صدرا من
المال والاسلحة من نواحي هراة وغيرها فضاربت عقله له دون الخفوف في وجه
النجاة فعوبقا من مرة وبتباسر اخرى منكوسا على راسه خوف العار من اسلام
ما بودت به يده واعيا الخلاص بحشاشة النفس اخرنا الا بازرن عن حملته
وتفرغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب ارسلان الجاذب من نسا رحل عنها
متوجها نحو سنيان فاتبعه الطلب نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال المنيعة الاعلام
الملتفة والغياض المحتفة والمخارق الضيقة والمخارب المضطربة وتسلط
الكر الكلة على اثقاله وافنا رجاله حتى وهنت نكايتهم واستامن الى
شمس المعالي قابوس بن وشمكير طوائف من اهل حملته لعدم المراكب وذهاب

الحرائب وانفلّ هو على سمت دهستان حتى عاد الى نسا وجمع ما بقى عليه من
تلك الاثقال فاصدرها الى خوارزمشاه ابى الحسن على بن مامون ليستودعه
اياها امانة لا يملك الخان وحذّره ان يمدّ اليها بغير الصيانة يدا واصحبها نجا
عسكره والعجزة منهم عن صحبته واقتحم المفازة متوجها نحو مرو وقد كان السلطان
لما انحدر الى طوس راعيا ما يسفر عنه ركض ارسلان الجاذب على اثره والصاقه
الطلب الحثيث به فلما بلغه ركوب سباشى تكين اعرض المسافة اسرى على طريق
مرو ومعارضا له فى مسيره وناقضا عليه قوىّ تدبيره فوصل اليها مخلّصة عن
وعثاء تلك البيداء ورماه بابى عبد الله محمد بن ابرهيم الطائى زعيم العرب وبسائر
قواده رجال يرون الملاحم ولايم والوقايع نقايع وسيوف الضرايب عرايس وصفوف
الكماة فرايس كما قاله سعيد بن الحسان

فررت من معن وافلاسه   الى اليزيدى ابى واقد
فكنت كالساعى الى مثعب   موائلا من سبل الراعد

واحاطت به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهى عاصية ولا مرعى الا
شكائم اللجم وهى عاصية واسرعوا اسباشى تكين فى زهاء سبعمائة من وجوه
الافراد ووجوه القواد وامر السلطان بقرابه لياتهم فافرغت قيودا لكعابهم
وجوامع لرقابهم وحملهم الى غزنة ليرى اهلها حسن صنع الله له فيمن شاقه

ونقض

ونقض عهده وميثاقه ونجا سباشى تكين فى خفّ من العدد بجريعة الذقن فعبر
جيحون الى ايلك وقد كان ايلك عبر جعفر تكين فى زهاء ستة الاف رجل الى
بلخ ثانيا لاستفساد عزيمة السلطان فى قصد سباشى تكين واخراجه فنهد
بهم حتى فرغ الخاطر من امره ووضع ما انقضه من الشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان
اليهم شدّا غصّ الهواء بغباره واستغرق اوقات ليله ونهاره فلم يرعهم الا راياته باجنحة
النجاح طايرة وخيوله فى سهيل المراح سابحة ومكّن لهم السلطان فلما راوا الكمين
انفلوا منهزمين يجترون دعوة الخلاص بامين امين وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر
الى ساحل جيحون كاسعا لادبارهم وشحنا فى غمارهم الى ان عبروه فخلت خراسان
من ضيق سوادهم وخلت من مبثوث جرادهم فاضطرب ايلك خيفة لما جرى على
عسكره من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة فاستعان بقدرخان لقرابة
بينهما وكيدة ولحمة وشيجة واستجرّه بحبل مسئلة الى ثاره متظهرا
بنصرته واظهاره فاستجاش احياء الترك من مظانها وحشر بنى خاقان من اقصى
بلادها واستنفر دهاقين ما وراء النهر فى جيوش تجل عن الحد والحصر
وسار فى خمسين الفا او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره اللهام وبطشه
الهاجم ومعتضدا بقدرخان ملك الختن ذى العدة والعديد والباس
الشديد والايدى المتين والبسطة والتمكين فى رجال كالنخاتى الفوالج

وفي البحور المواج عراض الوجوه خزر العيون فطس الانوف خفاف الشعور جلاد
السيوف سود الثياب من حلق الدروع يحملون حجابا كمخاطم الفيول المحشوة
بنبال كانياب الغول ولما سمع السلطان بعبوره في جمهوره وهو اذ ذاك بطخارستان
سبقه الى بلخ فاستوطنها قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه ممتاره ومنتجعه
واستعد للحرب فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية
والغزنوية انشاء الجلد والصدق وابناء المشق والرشق الى معسكر له على اربعة
فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرخيان وسيع المجال على الرجال رحب الفضاء على
الدهماء وزحف ايلك الى محاذاته في عدد الدهم وعسكر مجر فتطارد الفرسان
وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلايع امام الوقايع الى ان كفهم
حاجز الليل واصبح الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كا
لجبال الراسيات والبحار الزاخرات ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش نصرا وولي
الجوزجان ابا نصر احمد بن محمد بن الفريغوني وابا عبد الله محمد بن ابراهيم
الطائي في كماة الاكراد والعرب وساير جماهير الهنود ومساعير الجنود ورتب
في الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن يرسمه من اعيان الرجال
وفرسان الزحف والصيال وندب للميسرة ارسلان الجاذب فيمن
تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم القتال وحصن الصفوف

بزها

بزها خسما به من قبلته التي تميد الجبال من اثقالها وترتج لها الارض بزلزالها
واقبل ايلك فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنة
في اتراك الختن وشحن بجعفر تكين ميسرته بكلا اليسر كالشجا الحرم والحسام
المرهف بين وفايات الرجف والحجف وتحامل بعضهم على بعض فخيلت المعركة سماء
غمامها مثار القسطل وبرقها بريق البيض والاسل ورعودها صليل
الصلاح ورشاشها صيب الجراح واستنزل ايلك عن صهوات الجبل
الى صعيد الارض زهاء الف غلام يفقلون الشعور انصافا وينصبون
وسايط الاهداب اهدافا فاشتكوا بالنبال بحامد الفيول وشقوا
بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الامر واحتد الحر واعضل الداء واستفحل
الاعداء وزخر وادي الخطب عبه وكان يخرج بادي الشر عن حده نزل
السلطان الى سعيد ربوة كان تشرف بها لتدبر عطفات الحرب وتلافي
نزقات ذلك المركب الصعب ووضع لله خده وعفر بشعره وارسل دمعه
وقدم نذره ودعا الله ان يحرس ملكه ويحيي فلجه ونصره ثم وثب الجهد به
من فيلته المغتلمة فحل بها وبساير خاصته على قلب ايلك فاهوى الفيل
الى صاحب رايته فاختطفه بها من سرجه ورمى به في الهواء من
فوقه وتخلل الاخر بن حطما بخرطومه وشكا بانيابه ودوسا باظلافه

وانثال اولياء السلطان على الاخرين بسيوف تلغ في الدماء وترشف احشاء
الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت قواهم هباء وولوا على اعقابهم
نافرين وتبعهم الطلب بظبات القتل والقهر الى ان لفظتهم خراسان الى
ماوراء النهر ولقد احسن السلامي في قوله وكانما وصف حاله وحكى
اثاره وافعاله

يا سيف دين الله ما ارتع العدى … لو ان سيفك مثل عدلك يعدل
ما ان سننت لهم سنانا في الوغى … الا اطل عليه منهم ابطل
والروض من زهر النحور مضرج … والماء من ماء الترائب مشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرز … والارض فرش بالجياد مخمل
نهضوا العقاب على العقاب وتلتقي … بين الفوارس اجدل ومجدل
وسطور خيلك انما الفاتها … سمر تنقط بالدماء وتشكل

وامتدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وامين الملة ابوالقاسم عبدالله
البستي بقصيدة اولها كان

ظهر الحق ثابت الاركان … صاعد النجم عالي البنيان
ما الذي عزكم بمحمود المحمود … اخاوه بكل لسان
بابي القاسم المعظم ظل الله … في الارض صفوة المنان

وهو

وهوى للردى ذو النكث والبغي … واهل الضلال والعدوان
ملك صار من مضى من ملوك … الارض لفظا وجاء عين المعاني
فخر المشرقان بالخط منه … واستطالا فاشيا في المغربان
جمع الله فيه وهو قدير … عالما للكمال في جثمان
ملك وهو في الحقيقة عندي … ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فادني ضعيف … واخوه في حكمه سيان
اخذ الهند باليماني وتحرى … بما ان اراد بالهندواني
سيفه والمنون طرفا رهان … نحو خلق العدو يستبقان
خذ يميني بان سيخضع حقا … لليميني كل سيف يمان
لو عصى ضرع لثني اليمينيه … ظلت بحيك في سندان
غاب عن غاية الفرير لغزو … الهند مستنزل ضحى كوحمن
مبنى واسباح ولجاج همم … واحل النكال بالاوثان
وانثنى قافلا وقد ملا … الايدي فيا وفاز بالرضوان
فسطا باسه بطاغيه … الترك واهل الشقاق
طلعت رايه لهم فتولوا … كعباديد ثلة من ضان
كم قتيل وكم جريح وغرقى … واسير في القد ذي سفان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب   جرعتهم مرارة الخطبان
طار ايدي سباعسا كر ظنوا   انهم ملكوا على الملك
بخوارزم فى الشجون الوق   والوف تقيم في جرجان
وعبروا في القفار الى   جيحون قتليها كل الحيطان
جزر للسباع في كل فج   طعم للنسور والعقبان
تارك الله ربنا في خنين   رد عنا حسين الفضلان

وكتب ابو الفضل الهمداني البديع الى الشيخ الوزير ابي العباس هذا و
رب الكعبة اضرها في الحجبة لقد انصفه من رامى القارة وحجا السيف ما
قال بن داود ثم لا نزوة بعدها للترك ولا تحكم بعدها بالملك لقد كان
السلطان اذ عرف لله شعره وعرض على الله قدره وفوض الى الله امره واخلص لله
نذره وتاهض بالله خصمه وسال الله حوله ولم يعجبه كثرة الملا حوله شد الله
بذلك ازره وقوى امره واعز نصره واقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه
ارضه ان الظفر باسبابه والموفق يانى الامر من بين يديه وله فضل منه
ان الجلاد ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم سليمان كتب الله ليغلبن
السلطان وذلك ان السيف امامك وخلفك ان الموت قدامك

وارضك ارضك ان تاتنا   تنم نومة ليس فيها حلم

ان

ان المغازي صارت المخازي الا رب ركض نادب ورب شوط ظالم و
رب عبور الى ثبور ورب طمع هدى الى طبع الا ان هذا الفتح فتح حفظ على
الشريعة ماءها وعلى السنة نماها وعلى النفوس دماها وعلى الاموال نماها
وعلى الحرم عظامها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشا الناس نشا حديثا
وعقد الملك عقدا طريفا فاولى يومه ان يتخذ عيدا ويجعل فى المتعرفات
تاريخا وليس العقد مع الله بالشوطة فاوفوا الله عهده كما صدقكم
وعده وانما عهده عند السلطان ان يحسن النظر وعند الشيخ الجليل
ان يحسن المحضر وهراة من البلاد شيعة هذه الدوله وعيبتها وان حط
عن حملها العلاوه وازيل عن عبرتها الاثاره فلله هذا النظر ما احلى ثماره
واكرم اثاره ولما وضعت هذه الحرب اوزارها وانا صنت غرة النصر انوارها
سنح للسلطان ان يثنى اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف
بنواسة شاه احد اولاد ملوك الهند كان نصبه ببعض ما افتتحه
من ممالكهم كالافته على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها
اذ كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشك وانسلخ عن
جلدة الاسلام وارطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين والانفصام
عن عروة الحبل المتين ضمن من فزع اليه وصب سيوفا تقطر من

دماء مخالفيه عليه ركضا بادراج الرياح واختصر اوقات الاظلام و
الاصباح حتى نفاه عن مثواه وملك عليه جملة ما حواه واعاد الى تلك
البقاع بهجة ملكه وسلطانه وحصد شوك الشرك عنها بحدّ سيفه و
سنانه فذانك برهانان من الله تعالى في اعلا دولته وعز نصرته و
اشاعة دعوته واعزاز نصرته وافلاج حجته وليس الله له الا نقلاب الى
عز نيّر مظاهر له بين نصرين يتباريان فخامة وجلالة ويتباريان نباهة
وجزالة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر فتح قلعة البهيم نغر

وقد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ان فتح الفتحين
وافتتح النجحين عرّج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله تعالى على
على النعم المتاحة واقام بها شاحذا عزيمته لغزوة اخرى يرفع بها حد
الاسلام ويثغر بها خدود الاصنام ويتنكس عندها راية الشيطان
في رحل للغواية شدّه وحبل للضلالة مدّه اذ كان بعيد همته يسومه
خلاف الطباع البشرية في استخشان المضجع الوثير واستحباب
الشوك على الوثير واختيار قرع الاسنة والعوالي على نقر المثالث و
المثاني وترجيح حدود البيض القواضب على خدود البيض الكواعب

كل ذلك

كل ذلك لمجد يبتنيه وصيت يقتنيه وعز يحويه وسعي يقرّب الى الله
به ودينه حتى اذا انسلخ شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة استخار الله في
اتمام ما رامه واسراج ما نوى الجامه وسار متوكلا على الله الذي طالما
الهمه ونصره وعزّز صنعه حتى اذا انتهى المسير الى شط ويهند لاقاه
برهمن بال بن انندبال في جيوش تجيش بسود الرجال في بيض الصفاح و
زرق الرماح وزهر الدروع ودكن الفيول وافترت الحرب عن انيابها
العصل وتوالت الحملات كما تتهاوى لوامع الشهب وتترامى نوازع السحب
ودارت رحا الطعان والضراب طاحنة كل ندب شجاع وقرم مطاع وامتدت
الوقعة من طفولة النهار الى كهولة الطفل حتى اكتسب الارض لون
الشقائق من دماء الطلى والعوالي وكادت تدور الكفار دائرة لولا ان
الله اعان السلطان على حملة في خواص غلمانه كسعت ادبارهم ومحت
عن ساحتهم اثارهم واغمد ثلثيهم ميلا كاشخاص الفصوص بل كامواج
البحور واقبل اولياؤه يحثونهم الى ان يثقفوهم من بطون الاودية وشعاب
وظهور المنافي والهضاب واتقى السلطان بنفسه اثره بين تلك
المهارب متنجزا وعد الله في نصرة دينه وقتل كل ذي ثقاف وشقاق
بحيينه فافضى به الطلب البهيم نغر احصن قلعة مبنية على حرف طود

رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك الهند واعيان اهلها يتخذونها
مخزنة للصنم الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع الذخاير
واعلاق الجواهر ما يخف اوزانه ويثقل عند اللثوم قيمه واثمانه عبادة
بزعمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم الى الله زلفى فصارت السلطان منها
ثمرة الغراب وزبدة الاحقاب ما لا تقله ظهور الاجمال ولا تسعه
اوعية الاحمال ولا تكتبه ايدى الكتاب ولا يدركه فكر الحساب
فحشر عليها جنوده وضرب حواليها بنوده واغرى لقتال مستحفظيها
بقلب جرى وانف حمى وعزم ذكي وبطش قوى وراى بالصواب ورى و
لما راى القوم غصص تلك الجبال بغاوير الجنود وتفاير النبال صعدا
كثرة الوفود واستفزهم الرعب والوجل والواى باجلابهم الخوف والوهل
فتخيلت ابصارهم تلك الربوة فنوقا وهاتيك السيوف بروقا والسكو
شوقا وسحر بهم دولة السلطان وهزتهم كلاب الادبار والخذلان اوعتهم
وجوه الامن الا من جانب الاستيمان فتنادوا جميعا لشعار السلطان
وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون الى الارض للبنان كالعصافير
اخرجها البواشق والعثوب جادها الغيوم البوارق وفتح الله
تلك القلعة على السلطان فتحا يسيرا واتاه من لدنه صنعا كبيرا

فاغنم

، غنم ملا منفرج النفوس من نبات المعادن والثغور ودخلها في والى الجوزجان
ابي نصر احمد بن محمد الفريغوني وسائر خاصته ووكل حاجبه الكبير ابن التنو
نتاش واسع تكين بخزاين العين والورق وساير ذوات الاخطار والقيم و
توكل بنفسه بخزانة الجواهر فنقل منها ما اقلته ظهور جماله واستحمل سائرها
اعيان رجاله وكان مبلغ المنقول من الورق سبعين الف الف شاهية ومن
الذهبيات والفضيات سبع مائة الف الف واربعماية من وزنا ومن اصناف
الثياب التسترية والذبايح السوسيه ما انطق مشايخ الزمان والطاعنين
في الاسنان انه لا عهد لهم بامثالها صنعة وتفويفا وتوذيفا وتلطيفا
وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء كفاء بيوت الاغنياء طوله ثلثون
ثلثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا صفايح مضروبة مهياة للطى و
النشر والنصب والحط وشراع من ديباج الروم اربعون ذراعا في عرض
عشرين بقائمتين من ذهب واخريين من سبيكة فضة ووكل السلطان
بتلك القلعة من ثقاته من يراعيها ويؤدى امانة الاستحفاظ فيها
وكر عائدا الى غزنة في ضمان النصر والاظهار وقران النشر واليسار
ولما استقرت عصاه جانب القران بها امر بساحة داره ففرشت بتلك
الجواهر من در كالنجوم الثواقب قد سلت على ايدي الثواقب ومن يواقيت

كالجمر قبل الخمود والجمر بعد الجمود ومن زبرجد كاطراف الآس نضارة وورق
الاقحوان غضارة ومن قطاع الماس كمثاقيل الرمان في المقادير والاوزان
واجتمعت وفود الاطراف على ادراك ما لم يرى في كتب الاولين اجتماع
مثله لاحد من صناديد القروم وملوك العجم والروم وحضر ذلك المشهد
رسل طغانخان ملك الترك اخي ايلك فراوا ما لم تر العيون ولم تبلغه
الظنون ولم تملكه قارون صنع الله الذي امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون قد كانت
ولاية الجوزجان لآل فريغون ايام السامان يتوارثها كابر عن كابر وتلقيها
اول الى آخر وهم اشراف النفوس والهم كرام الاخلاق والشيم وطاء
الاكناف لنزاع الاطراف خصاب الرحال لوفود الامال ذابهم اجلال قدر
الادب ورفع درجات الكتاب وافتراض حقوق الاحرار واعلاء سمكا
الاشعار فكم من غريب اواه احسانهم ومن اديب اغناه سلطانهم
ومن كسير جبره انصافهم ومن حسير انهضه عطفهم والطافهم
وكان ابو الحرث احمد بن محمد غرة تلك الدولة وانسان تلك المقلة وجمال
تلك الحلة وطراز تلك الحلة بما يوتى من كرم خصيب وكنف رحيب
وشرف رغيب ومرتقى همة بعيد ومستقى نائل قريب وقد كان

الجوزجانان

الامير

الامير سبكتكين خطب اليه كريمته على السلطان يمين الدولة
ثم اوجب لولده ابي نصر احمد بن محمد كريمة له فانتجت اللحمة واشتبكت
العصمة والتحمت الوثائق واستحكمت الاواصر والعوالق ولما مضى
ابو الحرث لسبيله ورثه ابو نصر ابنه فاوجب السلطان اقراره على ولايته
ايثارا له بفضل رعايته وعنايته الى ان قضى نحبه في شهور سنة
احدى واربعمائة واقراني ابو الفضل احمد بن الحسين البديع الهمداني كتابا
له اليه جعله مقدمة الوفود عليه فنال به من رغائبه الايادي ما ملأ
يديه كتابي والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد
تصورت خلقه والملك العادل وان لم اكن لقيته فقد لقيني صيته
ومن راى من السيف اثره فقد راى اكثره وما زلت ايد الله الامير اسمع
هذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحيب الاثنه الكريم ابناؤه
النجيب ابناؤه الكريم ابناؤه وانشاء من هذه الحضرة ضالتي والعوائق
تمنعه ونسيره ربي المنى حسرة والزمن العثور يقعد بي ويثور وكم
من عاص عصت وابت المقادير ونوب وعرضت المعاذير والان
لما وقفت لهذه الزورة اختلفت على اخبار الملك العادل في مستقره
واختلفت باختلافها مرة في قوس الطراق ومرة في وتره على اتفاق

اثم حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الي الشيطان بتقديم مقدرا ان
اقصد هذه الحضرة طامعا في مال اوطامحا الى نوال وعظم سلطان هذه
الوسوسه حتى كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم ابعد ما القاه
في خلدي ان يكون وانا انشدك الله للظنون ان يتصرف في قصدي
الا الى معرفة اوفقهها اوخدمة اودعها اومدحة اسمعها ورحبة
اسعها ثم ادخرهذه الدوله لمملكة اغصبها او راية انصبها او
كتيبة اغلبها او دولة اغلبها فاما الدرهم والدينار فدفعهما الي
ونزعهما من يدي سوالدي لا اشكر واهبهما ولا اشكو سالبهما
ان لي في القناعة وقتا وفي الصناعة غنى لا يبعد منال المال اذا اردته
ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب مهما اقصد ترسل
يجيء فيضا ويتطفل على ايضا وهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون
ولم يستغن عنها قارون فان لا احب الي ان اقصدها قصد مؤال
لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال احب من الرجوع عنها بمال وقد قدمت
التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير لضيف ظله
خفيف وظالته تشريف لا رغيف فليأمر له بالاستقبال الطائر
لا اقبال ولسلم وله هنيئا ما صدر عن فنائه ثقلا سنجانه

الم تر

الم ترانّي في سفرتي لقيت الغنى والمنى والاميرا
ولما ترانّي شممت التراب وكنت امرءا لا اشم العبيرا
لقيت امرءا ملأ عين الرجال بعلوا سخابا ويرسوا ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات يدا اولا واعتذار اخيرا
فلا نعدم الملك ذا رعية تمنى المنى وسير السريرا
اذا ما حللت بمغناهم رايت نعيما وملكا كبيرا

لابي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسنا السودد العالي
كانما خلقوا من سودد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا اجلهم قدرا واسخاهم بالنفس والمال
يا سائلي ما الذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر الى حالي
الا ترى ان حالي كيف قد حليت بهم الم تر حالي عند ترحالي
فان اكن ساكتا عن شكر انعمهم فان ذاك لعجزي لا لاغفالي

ذكر امير المؤمنين القادر بالله واستقرار الخلافة عليه بعد ان خلع الطائع لله واتفاق موافقة

السلطان يمين الدوله مع بهاء الدوله

قد كان الامير بهاء الدوله وضياء الملة نقم من الطائع لله امورا

لصدره فيهاعن غير وعد وله بهاعن حكم استحقاقه فدعاه ماقوا لى التى
عليه من خلاف رضاه الى مراعات مصلحة الدين والملك باختيار من
يرعى حق الامامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعزل هوى النفس
فى اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين واظهاره وحماية الملك من
اقطاره وجعل يتلطف (اعز يلطف التحيل) فى التدبير عليه الى ان تمكن منه فخلعه و
احتوى عليه وعلى ما كان جمعه وذلك فى شعبان سنة احدى
وثمانين وثلثمائة وارسل الى البطايح وبها القادر بالله ابو العباس
احمد بن اسحق بن المقتدر بالله واستقدمه به دار السلام لعقد
البيعة سدا للثلمه ونظرا للامة وارتهانا للالفة واجتلا
لمصلحة الجملة فقدمها فى شهر رمضان من هذه السنة وتتابع
الناس الى بيعته واصفقوا على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس
بامامته وتناهبوا شكرا لما اتاحه لهم من بركات خلافته بما
اشتهر فى الافاق من مناقبه الغر وضرايبه الزهر وفضائله
المسطورة على صفحات الدهر فقام مما قلده الله من طوق الامامة
مفوضا اليه ومتوكلا عليه وحده فلم ير فى مقرة من سرير الخلافة
اوفر منه حصاة واوفر اناة واصلب قناة واصدق تقاة واركى
سيرة

١٢٧

سيرة وازكى بصيرة واذكى علنا وسريرة واتم جزالة
وجلالة واعم سياسة وحراسة لثغور الا اقوى منه جنانا واذكى
بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا واحسانا وعطفيه عاطفة
القرى على الطائع لله فاستخصه لمنادمته واجتباه لصاحبته
والحقه جناح رعايته وحمايته تفاديا من غضاضة تلحقه فى زمنا
اونكبة ترهقه فى ظل سلطانه وجانبا ... الى ان فرق بينهما
الدهر المولع بالتفريق واخذ الرفيق من الرفيق فرثاه ابو الحسن محمد بن
الحسين موسى العلوى الموسوى الشهير بالرضى بقصيدة منها طويلا

ان كان ذاك الطود خر فبعدما استعلى طويلا ... موف على القلل الذهب فى العلى عرضا وطولا
فتم يسدد لحظه فترى القروم له مثولا ... كالليث الا انه اتخذ العلا والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا نعدّ ولا عديلا ... من معشر ركبوا العلى والبوع الاكرم الجليلا
غر اذا انتسبوا لنا العز اللوامع والحجولا ... كرموا فروعا بعدما قد عجبوا اصولا
نسب غدا رواده يستنجبون له الفحولا ... يا ناصر الدين الذى ربح الزمان به جليلا
يا صارم المجد الذى ملئت مضاربه فلولا ... يا كوكب الاحسان اعلاك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت محولا جزيلا ... لهفى على ماض قضى الا نرى منه بديلا
ووذ الملك لم تكن يوما نقدر ان يزولا ... ومنازل سطر الزمان على معالمها الجزيلا

من بعدما كانت على الايام رهانا طولا … والاسد تزتكز القنا فيها وترتبط الخيولا
من يسبغ المنن العظام ويصطفي المجد الجزيلا … من ينتجع الامال يوم تعود باللبان حولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا … وتراه تمنع دوننا وادى النوائب ان يسيلا
عقاد الوية الملوك على العدا جيلا فجيلا … هذا وكم كرب تزا الاسد سطوتها الفيلا
صماء تخرس الها الاقرانا اوسيلا … والخيل عابسة تجر من العجاج لها ذيولا
احباب عارضها وقد زحل المنون بها هطولا … كالثائر الضرغام ان لبس الوغى دق الرعيلا
صانعت يوم فراقه قلبا اذ اعتنق الغليلا … ظعن الغنى عني وحل رحله الا قليلا
ان عاد يوما عاد وجه الدهر مقبلا جميلا … ولئن مضى طوع المنون فما الى الصبر سبيلا
فلقد تخلف مجده عبا على الدنيا ثقيلا … واستدرت الايام من نفحاته ظلا ظليلا

وامثال خطباء وشعرائها كاعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القادر بالله امير المؤمنين وذكر ماثر ابائه ومفاخر اسلافه مرابيع الكرم ينابيع الحلم مصابيح الظلم مجاديح الامم ليوث البهم غيوث الفحم وبلغني ان مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور ونظم وشذور فلا حاجة بنا الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحكى لي ابو محمد عبد السلام محمد ابن الهيصم احد اعيان الكرامية بنيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله امير المؤمنين خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ

بغداد واعيان الحجيج فقلت الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم الظاهرة الذي عم احسانه ودام سلطانه ولطف شانه فلا راد لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من خيار ارومة العرب مولدا وافضل اراثيها محتدا واطولها نجادا وارسخها في المكرمات اوتادا فايده احسن تاييد واكرمه افضل تاكيد حتى استقل الدين ناهضا واضمحل الشرك داحضا وظهر امر الله والمشركين كارهين فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى وما طلعت عليه شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيض الله من بعده الخلفاء الراشدين لتمهيد الدين وتوكيد اليقين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للصلاح بساطه ونهجوا لاهل الانفاق صراطه الى ان تادى الامر الى ذويه من آل الرسول عليه السلام وبنو صنوابيه فاقاموا الاسلام عن اوده واسندوا الامر الى مستنده معتصمين بحبل الله صادعين بامر الله معظمين لحرمات الله وهلم جرا الى ان تالقت بيعة الخلافة بامير المؤمنين القادر بالله فبهر نوره العالمين وشفى ذكره على المنابر صدور المخلصين من بعد النواء من اظهر العناد وانزواء من قصد الفساد وابى الله الا نصرة الدين وعدالته وقمع الباطل واذالته

ولقد حدثني محمد ابن الفضل الحلواني قال حدثني الصولي

عن المبرد ان العباس بن حمدون حدثنا ان سعيد الخطيب قال

بايعت منبسطا ولو لم ينبسط كفي لبيعته قطعت بابها
من ذا اليه لايمد يمينه قطع الاله يمينه فاتابها

ولوا الذي في خدمة امير المؤمنين ما يقارب هذا او يشاكله وذلك انه اظهر بيعته
ببيعته لوارد كتابه على احسن التوى من التوى بناحيه بلخ وقال فيها

سبقت يمين يمينه قادر بالله لما خالفته يد القدر
ماضر بيعة التوأم لتوى والله يرميها بمكنون الزبر
ولقد اراه احق من وطئ الحصى بوراثة الشم البهاليل الغرر
فلا اطعن القلب منى ان ابى ولا اقلعن العين زاغ البصر

وها انا قد ساعدني توفيق الله حتى وطيت بساط امير المؤمنين شاكرا لما
انعم الله علينا بولي امير المؤمنين محمود بن سبكتكين فانه في رسمه
كاسمه والله نسئل ان يديم سلامة امير المؤمنين وان يبلغه
امله في الامير ابي الفضل ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن امير
المؤمنين ويلحقه بسعادة اباته الراشدين واسلافه الطيبين الطاهرين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد واله اجمعين
قال فامر القادر بالله امير المؤمنين ان تنسخ الخطبة في جملة انواعها

المسطوره

المسطوره المخزونه ولما ارجف بخراسان بذكر القادر بالله امير
المؤمنين على ما اوجبته طاعة السلطان يمين الدولة وامين الملة
لامر الله في افتقاد محبته واقتفاء خليفته وحجته كاتبه بما اداه من
الافضاء الى ابنه ابي الفضل بعهده في ولاية امور المسلمين من بعده
وتلقيبه بالغالب بالله ورسم توقيته واحتجته والحاق ذكره على
المنابر باسمه وطبع النقود على ذكر تلقيبه فاوجب السلطان يمين
الدوله وامين الملة مطاوعته فيما امر ومتابعته في جميع ما رسم فيقاربن
ذكراها في الخطب وتوافق اسماهما على صفحات الفضه والذهب ويعود
الى ذكر بهاء الدوله وضياء الملة من لدن استاثر الله بعضد الدولة
وتاج الملة ابي شجاع فناخسرو الى ان افضى الامر اليه واستقر الملك عليه
وفيما نطق كتاب الصابي المعروف بالتاجي من وقايع عضد الدولة مع
بختيار الى ان اظفر الله به فقضى عليه بحسامه وجرعه كاس حمامه
واحتياله على التغلب ناصرة بعد انهزامه الى ان امكنه التدبير عليه
بابن الجراح احد المتغلبين من الاعراب على حدود الشام فقبضه
للاقتناص بما اراهداها اليه واطماعه الكدها له حتى اعتقله ونقله

وقتله وحمل اليه علاوة مما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله
وملك شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلثماية عند اشتغال اخيه
مؤيد الدولة بمحاربته حسام الدولة ابي العباس تاش وحميدها فائق في
اجمع ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوه
متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين واتاه الطائع لله امير المؤمنين
في حراقة على ظهر دجلة لتعزيته عن ابيه وقد ثار عوام الناس نظارة له
حتى اذا اقترب منه برز اليه صمصام الدولة فخشم وجهه ورسم الطاعة
وحق الخلافة وقال له الطائع لله نضر الله وجه الماضي وصلّت الخلف
الباقي وصبر التعزية بعده لك لا بك والخلف عليك لا منك وقضاء الحق
لك لا فيك على خديه دموع عينيه وبادر الى الصعيد بشكر الماس به
عليه ثم انتصب منصب ابيه واجرى الامور على انتظامه ويدبرها تسبيا
عامه وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة غائبا
الى مدينه واشهر من ارض كرمان فلما بلغه نعي ابيه راجعا الى فارس
وقبض بها على نصر بن هرون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه خواص
اموالها وبقايا اعمالها وامتد منها الى الاهواز فملكها على اخيه
الحسين

الحسين احمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة معها وذلك في رجب سنة
خمس وسبعين وثلثماية ثم استعد لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه و
استقصا لما كان في يد اخيه سار الى ما يليه حتى وافاها تلقاه
صمصام الدولة بما اوجبه حق سنه عليه اجلالا ومهابة ومداراة
ومقاومة مفاداة من ضرر استيحاشه وعدوى مسائة غير عالم بان
غدا فردا لا يبيع سيفين ووترا واحدا لا يلتئم سهمين فقربه ابو الفوارس
ورفع محله ثم خلعه وكحله وامر به الى قلعة كبوستان من ارض عمان
واستولى على المملكة ولقبه الطائع بالله بشرف الدولة وزين الملة
فبقي على جملته سنتين ونحبه حكم الله تعالى في جمادي الآخرة سنة
سبع وسبعين وثلثماية وقام شاهنشاه بهاء الدولة وضياء الملة
ابو النصر خسرو بن فيروز بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط
الامور المامر وتلافي الحال الحائلة وكفل بالملك كفالة الخبير بالتجارب
البصير باعقاب العواقب وغمالاء لا تزال تعارض على صمصام الدولة
فابرزوه من جملة غلامه المعروف بسعادة على عاتقه فخلصه فملك
فارس وما والاها وتتبع اموالها فحباها ثم تنكروا الديلم بعده وقاموا
ابا علي بن ابي الفوارس وعقدوا له الرياسة عليهم ولقبوه بشمس

الدولة وقمر الملة وتجردوا للدفاع عنه والدعاء اليه فاستبدت لواقعتهم الى
ان هزمهم وقع هزيمة وغنمهم ابرد غنيمة فخنسوا الى بغداد صاغرين خاسرين
وتحرك بهاء الدولة وضياء الملة لقتال صمصام الدولة فقتنا وشاوالحرب وصا
الرماح ما بين المساء والصباح حتى تلاها في الخراب اكثر كور الاهواز وقد كان
اولاد بختيار محبوسين في حصار بناحية فارس فاستنزلهم طائفة من
الاكراد الخسروية عن معتقلهم موججين نار الفتنة باستنزالهم وفك عقالهم
فناصبهم الحرب مستكفيا شرهم ومستدفعا باسهم وضرهم فاختلفت بهم الوقائع
بين تلك الفتن الثائرة والاحن الفائرة عقباها ولات ان اجلت عنه قتيلا وتدمر
بهاء الدولة الحادثة عليه فارصد الحماة لطائله حتى شردهم كل مشرد وطردهم
كل مطرد والجاء اولاد بختيار الى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم يومئذ ابا
بختيار بن الملقب بعز الدولة وكان من امره انه شذ عنها مدحورا مثبورا
مثبورا فاضطرته الحال الى الخفارة التجار في تجاراتهم واجاذاتهم على مراصد
القطع سبعا عاتهم على خرج يستعين به من جهتهم على مؤن معاشه ورياشه
واتبعه بهاء الدولة بجيش دافعوه فغلبوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل
غلام منهم راسه الى بهاء الدولة في متعرض للرحم الدانية واللحمة الجلية
من لتجمعه على صلاه ما ثمرته فامر بالغلام فسلخ جلده الحي من قرنه الحقة

عبرة

عبرة لمن اقدم على مثله بسفك دمه وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب
الى بغداد لمراعاة تلك الاحوال والاعمال واستيفاء حقوق بيت المال
واستدت سيرته وحمدت في العدل بصيرته وعم بفقه حجيج بيت الله
الحرام فانطلقت بشكره الالسنة الخاص والعام الى ان قبضه الله فسد
مكانه بوزير الوزراء فخر الملك الكامل ذي الجلالتين ابي غالب محمد بن خلف الزيادة
في النظر لرعيته فاربى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة واصلاح احوالهم
ورفقا لهم وطرحا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة مضافة الى
ساير اعماله وقعدت الفتن القائمة عن سوقها في زمانه فعم الامن والسكون و
شمل الرفق والهدو واستراح عباد الله مما كان يتقدمهم من وطاة الجيوش عليهم
من معرة اختلاف السيوف وقد كان ابو علي بن الياس قد ملك كرمان امام
عضد الدولة لال سامان واقام بها مدة من الزمان لا نازع فيها ولا
مدافع عنها مدافع وكان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا
من معرته للوثوب داره واضطراب تنبيه في وجوه شمائله واحائد دلهي
عنه مدة من الزمان مديدة وهو يكابد منها ضرا وبؤسا وشدة وعبوسا
فاتفق ان اشرف سرب من نساء ابيه وجواريه عليه فرثين بصوتهم كانه
ودبرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وحطنه

ها عن معقلة وتسامع اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فجمعوا عليه و
انقطعوا بجملتهم اليه عائلاة له على ابيه بهفوات نقموها منه وبلغ ابا علي
خبر الحادثة فارسل الى ذوي التجرب والتالب باحشاد ما دعاهم اليه فاظهروا
الضجر والتبرم بطول زمانه وساموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على ابنه
اليسع بطاعتهم له وتوخيهم موافقته فركب ابو علي قولهم بجنب الذلة والاحتمال
في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكرائمها الى بخارا مخليا
بين اليسع واقام نفسه لبشر بن مهدي وترمش الحاجب على خدمة اليسع و
كفالة امره اذا كانت حداثته تقتضي استخلاف مثلهما في دمائها وتوليهما
على حضانة اموره وتبصيره وسدّ في وجوه تدبيره ولما وصل ابو علي بخارا
الولغ في تعبده واكرام معهده واجلاله فحل ائتلاله الى ان توفي بها في شوال سنة
ست وخمسين وثلثمائة فاما اليسع فانه ولي كرمان وحمى اطرافها وجباها اموالها
وكان اخوه سليمان مقيما بسيرجان واليا عليها واغراه بشر بن مهدي واشار
اليه بمعاجلته قبل انتظام شمله واستقرار رحله فكتب اليه يستدعيه
لا يستخفي من مفاوضة فيه فامتنع عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير
تمحلها وضاق اليسع ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه محاربا حتى هزمه
وغنم ماله ووقع سليمان الى بخارا واطمع اليسع نزق تشبابه في دولة عضد
الدولة

الدولة الى شجاع على بعض حدود مملكته وكان مثله مثل الغير طلب قرنين فضيع
اذنين ذلك انه لما بلغ مفرق الحدين بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعة
بطائفة من المستامنة عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب الخلع عليهم ثم قدم
نفر منهم راجعين ورائهم وظن ان وراء استيمانهم حيلة او غيلة فاوسعهم شكا
وعمهم بالعقاب قطعا وتمثيلا واستامن بعضهم الى عضد الدولة جملة من
رجاله فحملهم وحباهم ووصلهم ومناهم فلما راى اصحابه تباعد ما بين الامرين التي
عليه وتترا والدولة بحزموا عنه ومن جملتهم صفقة واحدة الف رجل من وجوه
الديلم الى معسكر عضد الدولة وهو بناحية الطرمان بين الاخرين فخجلوا
يسألون لواذا ويتفرقون جميعا واشتاتا حتى انفض عنه عامة اهل عسكره
بقي في خاصة غلمانه وحاشيته فاضطر الى معاودة واستهر فابلغ اليه
بعياله وبما خف عليه حمله من اثقاله وامواله نحو بخارا لا يلوي على احد
دون الاغذاذ في السير وطي بساط الارض بحوافر الخيل فلما اتصل
خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى واشتهر فملكها واستصفى اموال
الياس بها ثم استخلف عليها كوركير بن جستان ورجع عنها الى فارس و
لما ورد اليسع ناحية خوس من حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها
وركب الخمارات نحو بخارا للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها قرن

محله ورعى له حقه واستخص مجلس الانس بتخصيصا من تبة الاكرام والاثرة
فلما مر عليه سلطان الروح لم يتمالك ان قال لمستبطا لو عرفت فقودا لهم بال
سامان عن اغاثة اللاجين اليهما والراجين لها الطلب غير هذه الحضرة ملاذا
ومقتصر الحظ من هذا المثقال منه فارس فنفي الى خوارزم وبلغ ابا على
سيمجور حاله ومقاله فبعث الخوزبين من قبض على امواله وغلمانه فنقلهم و
اياها غنيمة خالصة عن ايدي الخوز من الاعتراض والاشتراك واصاب الشيخ
بخوارزم رمدا قلقه واستنفد وسعه وجلده وعجله الضجر بالالم على ان
فقاء عينه الرمدة بيده فسالت على خده وكان ذلك سبب هلاكه وحينه
ولم يتنظر من اعقاب الالياسية بعده بجد ودكرمان احد وازداد باع
عضد الدولة طولا وغرة ارتفاعا وشعولا الى ان ورثه بهاء الدولة و
ضياء الملة فاجرى امورها مجاريها الموروثة في حفظ الاطراف و
بسط العدل والانصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة وامين
الملة خراسان وافتتح بحبستان وحصل بين ولايته وبين تلك الديار
ذمار الجوار فاتحة بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه خاطبا كريما وده على
صداق قلبه المعمور بالاثرة المقصور على تطلب مضامه ووصل ذلك
هدايا ومبازلات بحب صدره وعلو همته وقدره فاجابه السلطان

يمين الدولة وامين الملة الى ماخطبه واوجب له ما تلاها اوجبه واتحفه
بما رهن الاتحاد واكثر الوداد وقضى حق المكافات وزاد وتشوف الحال بينهما
الى زيادة عصمة تتخذ بها البيوت والمرابع والمرانع ويشترك فيها الاقارب و
الاباعد فسفر مشايخ الدولة في تشبيك اللحمة وتوشيح اسباب القرابة الى ان
اتاح الله من ذلك ما عم القاصي والداني فائدة وشمل الحاضر والبادي ولكافي
والتالي نفعه وعائدته   غزوة نارين ونشط السلطان يمين الدولة و
امين الملة في سنة اربع مائة للغزوة في ديار الهند تنكاء فيها وقرح نكاياته
فيها تقربا الى الله واحتسابا للمثوبة من عند الله فنهض نحوها بجيش الخيول
ويخرق الحزون والسهول الى ان توسط ديار الهند فاستباحها وادلقا حما
ونكص اصنامها وعرض على السيوف زعماءها وسار على هيئة نحو مقصده و
اوقع بعظيم الفنوج وهتر افاء الله بها عليه امواله واغنم خيوله وامواله
حكم فيها سيوف اوليائه يحسبونهم من كل سهل وفدفد ويجرونهم بين
كل مهبط ومصعد ورده بهم الى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم الموفورة
سالما غانما وافرا ظافرا ولما راى تلك الهند ما صب عليه وعلى مملكته من
سوط العذاب بوقايع السلطان يمين الدولة وامين الملة فيهم و
نكاياته في اقاصيهم وادانيهم وايقن انه لا قبل لهم بثقل وطاته وخشونة

جانبه ارسل اعيان اقربائه وقرابينه ضارعا اليه في هدنة يقف فيها عند
امره ويمتنع له بماله ووفره ويتجرد اوقات دعائه النصره على ان يقود اليه
هادي الامر خمسين فيلا بعد الحادها باضعافها ثقل احمال وخفة اقدام
ويحمل معها مالا عظيم الخطر كبير القدر باسياهيه من ثمار تلك الديار ومتاع
تلك البقاع وعلى ان يناوب كل عام بين الفاء عسكره في خدمة ما به الفي رجل
بادئين وعائدين الى اتاوة معلومة يتيسر فيها كل سنة سنة يتمسك بها من بين
مكانه ويقوم في كفالة الملك مقامه فاوجب السلطان اجابته الملتمسه
لعز الاسلام بذل الطاعة واعطائه الجزية عن يده صاغرا وبعث اليه من طالبه
بتصحيح الحال وتوكيد الاحوال فقفا ما وعد وقدم الوفاء بما شرط وبعث من حمل
محررهم الى بابه من خواص رجاله على جلبة الخدمة واقامة رسم الطاعة فا
نعقدت تلك الهدنة ووردت تلك الامارة وتتابعت القوافل بين بلاد
خراسان وبلاد الهند في جناح الامان وجوار الحيطة والاحتياط غزوة غور
اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة فكر في جبال الغور وتمرد اهلها
وتمنعهم على عظامهم عن حلية الدين وسمة الاسلام وحصولهم في القلة من
عين جوديه والمركز من دائرة مملكته وتاذي المارة والسابلة بعيث صاحبهم
وعيث قطعهم وافسادهم للاستطالتهم بمناعة جبالهم الشواهق وعجايل

مسالكهم

مسالكهم المتضايقة فانف للدولة القاهرة من ان يخليها على غلوق اقفالها
وشدة رتاجها فصمم العزم على بدء وبخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع لوث الاشراك
من رؤسهم واستئلال وحرة العصيان من صدورهم واجلب عليهم بخيله
ورجله مولا على صنع الله وفضله وقدم رسامه والعراة التونتاش الحاجب
ووالي طوس ارسلان الجاذب وصارا مقتحمين مضايق تلك المسالك الى
ان افضى بهم الدرب الى مضيق قد غص بكماة الغورية من عظماء الكفرة
القاصية والحال المتساند فتناوشوا الحرب بينا وشاطلب فيها العوامل
الا التصادم في الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر على حر الكراهية
حتى سالت نفوس وطارت مع الهام رؤس وبلغ السلطان خبر الفريقين
فلحقهم في خواص غلمانه وحمل بنفسه المهاولهم شيئا وعلت عليهم منه مادوا
شعبا فشعبا الى ان فرقهم في عطفة الجبال الشوامخ والجاتهم بقلل الرواسي
البواذخ واستفتح الحال الى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري فغزاه في عقر
داره واحاط به من جوانب حصاره وهي قصبة تدعى اهنكران وشد عليه
الحرب وبذرا الوجل في قرابة عشرة الاف رجل كانما خلقت قلوبهم من حديد
واكبادهم من جلاميد يستانسون باهوال الوقائع استئناس الظماء
بماء الشرايع فصافوا عسكر السلطان منعدين بالبطش والبائس يومين

بصوارم الاسياف وجعلوا يهرون في وجوههم هرير الكلاب اعيا بها
الفرار واحرجتها الاعيار فامر السلطان بمداراة الشد عليهم على ما
اوجبه حكم الاحتياط اذ كانوا مستندين الى معاقل وثيقة ومقصورين
بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار على مراحتهم في مغامس الحرب
والطعن والضرب اشار بتوليتهم على وجه الاستدراج والاحتيال
فاغتروا بخلابة الانقلاب وانفضوا عن مواقفهم الى فسحة الفضا لاغتنام
فرصة الانهزام فكرت عليهم الخيول بضربات غنيت بذواتها عن اخواتها فلم
يرتفع واحدة منها الا عن دماغ منثور ونياط منطو وصرع في تلك
المعركة واحدة رجال الهيثم المحتظر واعجاز نخل منقعر وتلك الاسرى عظيمهم
المعروف بابن سوري باقربيه وذويه وسائر خدمه ومواشيه و
افاد الله على السلطان ما اشتمل عليه من ذخاير الاموال والاسلحة
التي اقتناها كابر عن كابر وتوارثها كافر عن كافر وامر السلطان باقامة
شعار الاسلام فيما افتتحوا من تلك القلاع والرباع وفوض بذكر منابرها
واشترك في عز دعوته باديها وحاضرها ورجع بعد ذلك عن وجهه على
جناح الشر والنجاح والظفر المتاح وحين راى ابن سوري حصوله في
ذل الاسار واستباحة السلطان ودايع حصاره بترم بحبوحة
واستراح

١٢٥

واستراح الى برد وفاته فامتص سما كان اودعه فص خاتمه فباد للوقت
بنفسه بخسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين سنة احدى
واربع مائة وقع القحط بنيسابور في هذه السنة خصوصا وفي ساير بلاد خراسان
عموما فهلك بنيسابور واطرافها دون غيرها مائة الف او يزيدون وكم دفن
باطمارهم بضيق الاكفان وعجز الغسلة عنهم وكان الناس من بين غلام وشاب
وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخراخر ويذوبون على انفسهم حتى
تقور عيونهم وتحين بالموت حقوتهم وتجب للموت جنوبهم ورعوا نبات الارض
حتى استحكم الياس عن الزروع وانقطعت الاموات عن الربوع وضاق بهم
الامر فجعلوا يتبعون رمام العظام على رؤس الكناسات تعللا بها وبهما
ذبح قصاب ذبيحة اجتمع الفوج بعد الفوج يتقاسمون عبيطها بالكسران
والخزف تسكينا لحدة الجوع واجتزاء ببعض القوت ولم ينل احد منهم الاشبعة
لجنبه وجاد عن كسب نفسه وعهدي بهم يتبعون سقاطات الشعير عن الاروات
وهيهات ان الشعير لاعيا الانام فكيف البهايم والانعام ثم تراقى الامر
الى ان اكل الام ابنها والاخ اخاها والزوج زوجته فظل بعضهم يختلس بعضا
من شوارع الطرق الى الخرابات فيذبح منهم ما شاء من الباحات في اسواق
البدو والحضر وحرمت الاسمان على الناس لكثرة ما صبع عليها من

لحوم البشر قبيح وقبض على قوابلا عدد وكانوا يغتالون السابلة ويحضرونهم
على هذه الحالة ووجد في دورهم ما يعثر الحد من الرؤوس قد اكلت ادمغتهم و
صهرت شحومهم فاما الكلاب والسنانير فلم يبق منها الا العدد اليسير و
وهاب اوساط الناس وارباب الحرف ان يحضروا وقت العشاء محلة نائية
عن واسطة البلد الا في عديد وسلاح عتيد وذكر ان فقيها وجيها
من اصحاب الاحاديث دخل على الامام ابي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي
فسالته عن تطاول عهده فعاد ليأخذ الامام عنه احدوثة عجيبة يرد الله على
بها وجهي فضلا منه جسيما وصنعا كريما اني كنت امر ببعض العشايا وحيدا
شارع اشار اليه فلم يرعني الا وتر صار في عنقي وجذبت به جذبة صفقت
على قفي فعنى فبادرتهم بمواتاة الجاذب ومداراته للسلامة عن ضيق التخنيق
اذ وثبت الي من بعض تلك الاوية امراة فضربت انثى ركبتها ضربة سقطت
منها مغشيا على قلم الشعر بعدها بشيء من مصادرها موري الى ان افقت
عن الغشي برد ماء رش به وجهي وتراسني نظرت الى قوم يتجادعوني عمادها
ويكايعونني صعلة ما ارى فاذا هم ساعة وحقق طبي ادركوني عاقلين
المنازلهم فهز بعضهم من اشفق على قتلي واستباح دمي وتركني برمتي و
وخلى الوتر في عنقي فصبرت ساعة الى ان استوفيت الاناة واستعدت

القوة

القوة والطاقة وعدت الى المنزل وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش
عشرين يوما مدهوشا مبهوتا ومرضا مسبوتا الى ان من الله علي بابل الابلال
وزوال اكثر ما مسني من الم الاعلال فبكرت يوم احسست بالخفة الى المسجد
للاقامة الفرض و   المدينة على الرسم فلم استتم التكبير حتى اختطف عمتي
من راسي وهو ارادها صاحبه يرقني فاخطاها لما اراد الله من انسا اجلي
واستبقاء مهلي فعد لتعرض الاذان الى الصباح بطلب الامان وجعلت لله
علي عهد ذلك ان لا اخرج في هذه الفتنة من داري الا والشمس بيضاء نقية
ولا ارجع اليها الا وفي النهار بقية فهذه هي التي تبطئني عن الخدمة واقعدتني
عن الرسم في مساعدة المجلس فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية وسا
لوا الله حسن الاسلام والعاقبة وحكى عن الاستاذ ابي سعيد بن عثمان
الواعظ احد الصالحين من عباد الله المؤمنين والساعين في مصالح المؤمنين
انه نقل من دار كان يسكنها المرضى والزمنى من المساكين والفقراء وابناء
السبيل في يوم واحد من ايام هذه السنة اربعمائة ميت عن برح الجوع
والمخمصة على ان يعط بتكفينهم ودفنهم فاتاه جنازة الذي كان يقيم
بجرايات المذكورة من جهة وهو جنازة خيرته بذكر انه قد بقي في هذا
اليوم بعينه مما كسره من الخبز اربعمائة من خبز فسبحان من يقضي على من

بثاء بالفناء مع امكان الاقوات ووجود الكفايات وقد اكثر الناس في ذكر هذ
القحط والغلاء فمنه قول ابي نصر الزوزني الكاتب نعم ما قال

قد يصبح الناس في بلاء وفي غلاء وفي تداعٍ ... من لزم البيت جاع ولم يطعمه الناس كلهم
ولا لمحمد العيد كان الزوزني ... لا تخرجن من البيوت بحاجة او غرض حتم
والباب اغلقه عليك ثقة ومنهج ... لا تفتحنك الجايعون فيطعمونك ونزعهم

وامر السلطان امين الدولة وامين الملة بالكتب الى عماله في صب الاموال على الفقراء
والمساكين فاستبقى الله بها مهجات قوم قد اشرفت على الهلاك وافتكهم من بين شك
الاحتناك فبقيت تلك السنة على حالها الى ان ادركت غلات سنة اثنين و
اربعمائة فنفى الله تعالى بازالته تلك الشدة واطفاء تلك النائرة المتقدة وتدارك
عباده بعد استحكام الياس بالغيوث الهامية والربوع الزاكية النامية ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم

ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاودة ما وراء النهر وقد كان السلطان
يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك عنه براي ما يسفر عنه تدبير
ملك الخان واخيه الكبير طغاخان اذ كان اخوه عامل السلطان بايمان زعم انه يؤكدها
اياه ومواثيق يدعي انعقاد عليه ونظهر البراءة من فعلات اخيه الملك في منابذته
ومكاشفته والتخطي لجنود مملكته وبورك الذنب عليه في اغرائه على اتيانه

ومكاتبه

ومكاتبه في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك ان اخاه طغاخان قد جعله عرضة
الجناية وقلده طوق تلك المكاشفة تبرأ منه وخلى لاتا اياه واسلمه الى ما اكتسبت
يداه ورأى ان يبتدئ به فجمع من قرابته ويغسل بالسيف وضر جناياته فجمع من حشود
ماوراء النهر لقصده واستدفاع مكره وغدره وسار حتى جاوز اوزكند سقطت
ثلوج سدت عليه مسالك العقاب المفضية اليه فارتد عن وجهه الى قابل خطوط
الهوا والحسر الشتا وحبث الانداء فكرّ عايدا الى ثاره الغث المشرّ وهنا نباره وكان
رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره قد راجعا القول في البراءة عن جناية العبور
واحالة بعضهم على بعض في نقض المواثيق والعهود فخلاهم السلطان في لغط
القول حتى وصلوا الجرة اللقالى برد الاشتفا واراد السلطان بعد ذلك
قراهم ذا من تجيبة جيوشه وتعبئته فيوله فرتب العسكر سماطين من جنبته
في هيئة سوادها قارون يقال ياليت لي مثل ما اوتي المحمود انه لذو حظ
عظيم وصفة مقام انه اصطف من غلمانه على التقابل قرابة الفي غلام من
عقايل الترك في الوان الديابيج من بين سود وحمر وبيض وكهب وخضر وصفر
وفيما يقرب من موقفه خمسمائة غلام من خاصته على ترتيبهم في مثقلات الزرد
بمناطق من ذهب مرصعة بالجواهر واعمدة من جنبه فوق الاكتاف والعواتق ود
الطاف بهم من عظام الفيول اربعون فيلا على المحاذات عن رشيها دبابيج الروم

بعصايب ومعاليق من الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين وياقوت رزين ووراء
السماطين سبعمائة فيل بتجافيف مشهرة بالالوان المسورة بالجران والمران و
عامة العسكر في سرابيل قد كرثت العيون ووردت على الحيل انها العيون ورتب
الرجاله امام الخيول في الاسلحة الواقية والجنن الكامية والسيوف المرهفة والعوامل
المختلفة وقام بين يديه حجابه كالبدور في ظلم الدياجير قابضين على قبايع سيوفهم
هايبين قدره ناظرين امره واذن لهولاء الرسل على هذه الهيئة حتى لقوه و
اقاموا من رسم الخدمة ما امروا به ثم عدل بهم الى الموايد في دار قد فرشت عالمحلت
عن الجنة مزينة للمتقين معرفة للعارفين في كل مجلس وسعت من الذهب كما حم
بين جفان وحفاص واطباق كبار وقد نضد بها من صدره الى قعره عايا شاكله
من الاواني الفائقة والالات الرائقة وبخاص مجلسه طارم قد جمعت الواحه و
عضاداته بصفايح الذهب وصفايحه ووشحت عباهيه من جنسه وفرش بالديابيج
المثقلة بما لا تدرك الابصار منه غير حمرة الذهب وفي الصدر منه قبله مقوبة ييوت
مضلعة ومستديرة يشتمل كل منها على نوع من الجواهر التي دعيت امثالها كاسرة
العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال العرب وحوالي المجلس اطباق وتخاف من
الذهب مملوة من المسك الاذفر والعنبر الاشهب والكافور العطر والعود
العبق وهلم جرا الى ما يملو الانواع من الاترجات المصنوعه والنارنجات المصوغة

وما

وما يشبهها الفواكه من عقيان وبخش ومرجان الى اوان لم يسمع بمثلها رقة اجسام
ودقة صفة واحكام وطاف على الرسل ولدان كالدر المنثور واللؤلؤ المكنون
بزاج كالماء المعين ورضاب كالخرد العين الى ان اشفقوا من عزارب العقول
فاستاذنوا الانقفول وصرفهم السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد هذه
المادية دراهم بما روجبه همته من تحقيق امانيهم ورعاية حق الصلح فيهم وبقي
الاخوان على جملتيهما في المنافرة والمشاورة كالمكاوحة والمكافحة الى ان توسط
السفراء بينهما ففصلوا الامر على ما كف كلا منهما عن صاحبه على ما سنورد
ذكره في موضعه ان شاء الله **ذكر فتح قصدار** قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة
يراعي ما يتجدد من اخبار الاخوين ايلك وطغانخان فيما تنازعاه من الامر فلما
بلغه اشتجار ذات بينهما استخار الله في قصد قصدار وكان صاحبها قد الح
بجانب المجانبة واخل بحمل المال المقاطعة اعتزازا بالمناعة مملكته واغترارا بحصانة الطرق المفضية
اليها وذلك في جمادي الاولى سنة اثنتين واربعمائة وفصل السلطان عن غزنة الى بست موريا بها
هراة حتى انتشرت الاخبار لغزنه واستفاضت الاحاديث بظاهر عزمه ثم دكض الى ناحية قصدار
في الغلب الغلب من رجاله دكضة طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة ولم يشعر صاحب قصدار
الا بعلجان السلطان حول داره قبل ان يكتحل بضوء نهاره او يحتفل لشد ازاره فنادى الامان
وبرز لخدمة السلطان والزمه السلطان على خمسة عشر فيلا ضخاما هايلة كان اعتقلها

ليومي بوسه وبابته وكل بمن انتوى المال عليه ورجع عنه بعد ان دعى حق طاعته وضراعته
باستخلافه على ما كان يليه تبسط يده على اطراف عمله نواحيه غزنة ظاهر انجحه فاين اقدمه عاليا
يده وابا زنده صنعا من الله تعالى لمن يحتبيه من خيار خلقه لعمارة ارضه واثارة حقه والله يعطي
ملكه من يشاء والله عزيز حكيم ذكر شارين الملكين ابي نصر محمد بن اسد والشاه محمد ابنه وما آل فهي
اليه امرهما قد كان يلقب كل من يلي غرستان بالشار سمة مصطلحا عليها تنبئ عن معنى التمليك
ورتبة الاجلال والتعظيم وكان الشار ابو نصر والياها الى ان ادرك ولده الشاه وفيه نوبة
مشهورة فغلب على الامر بقوة شبابه واستظهاره بمن تابعه من اصحابه فاعتزل ابوه مخليا
بينه وبين ما كان يليه وتفرد بالنظر والتدبير فيه ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة
الادب ان كان مجاموا لعا وبلذاتهما دون سائر اللذات مقتنعا كان يستجلب الافاضل بنيابه من
اعماق البلاد فيهم كل مبدع خطا وبيانا او مبدع بربطوى وامتحانا فلم ينشب بعد ان انتابه يشهد و
بابه حتى يستخصبا جنابه ويستجزل بره وثوابه وكان صاحب الجيش ابو علي بن سيمجور لما افتتح باب استعصائها
على الرضى نوح بن منصور رام ان يستضيف ولاية الغرستان الى ما يليه وان يحملهم على جانب الرضى
طاعته في اوامره ونواهيه فاظهر التمرد عليه كراهة اختيارا على ارباب الملك الذين عظموهم
المقادة قديما وصلوا الطاعة للسماء وادلال بحضانة نصابها وقلاعها ومناعة جوانبها
واشياعها وكما ما الرضى على حقوق طاعتها سوابق حرماتها ان هم ابو علي بمنازعتهما ملكا
ورثاه وفيح فضلا مال فتنيناه فلم يسهل عليه ان يجد اليهما اما القسم الفقيه احدا يناب

دولته

دولته وان كان دعوته في جيوش كثيفة وخيول على الالاف منيفة فنابتهما وعقد ادهما
سوقلا اليهما ذرع بصافح السماء وشوامخ تناطح الجوزاء وسوغلا مخادم تمرد على
السلوك تمرد النجوم على غلاظ السلوك تناجزهما في تلك المقامات التي يدار
عندها بالرؤوس ويغشى على النفوس ويلجئهما من مضيق يفجعهما بفرقة وعيد بوفق
حتى اخلاهما عن قرارة بيتهما الافلعة ودثاها عن اسلافهما في الخزائن مما تبلك
تزلزل عن اعاليها اقدام العقول وتحيق دون مناكبها كرام الطيور وملك عليهما حصون
جبالهما وسهول ديارهما ومحا لهما مجيبتهما وتبيع ما ينسب الى كل منهما فيهما الآن احمد
الامير ناصر الدين سبكتكين حمد الى ناشته ابا القسم الفقيه شغلا بالبلاد القرم عن
التي هي ذوات الطلف والحاجة ما يكون في السنة الثالثة ومن ذوات الخف ما يكون في السنة
السادسة وبالعقاب المنقض من الكرك الى الوادي فحطم على القرى وانضم انشاه الى
الامير سبكتكين في نصرة الامير نوح فانتقما من ابي علي حين ولى منهما وتعكس عما الوالد بما
وحدبثا واحتمل غوجبان لا يملك دارا ولا عزما ولم يزل بعد ذلك ان حالهما على
جملتهما في الامن والسكون وانجلاء المصون الى ان ورث السلطان يمين الدولة وامين
الملة خراسان يحكم الله في ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما انتظمت عن
ولاة الاطراف تلقطم والتزام حكم التباعد واعطاها صفقة البيعة ورفع المنابر بانامته مخاطبته

وكلهم سمع واطاع وبذل في الخدمة والقربة المستطاع افضت الى الشاهين ذي الحدين هما
باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف وحماة الاعمال فلقبها في بعض الظاهر
والحرص على الاقتداء بالجماعة وامرا بالخطبة فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرج في
شهور سنة ثلثمائة وورد على الشاهين وكتب المختار بن المنجا داعي غرجة [illegible] يذكر في
انهم على الاستعداد وتجرد المعاد ينتظرهم عن قريب لياخذ دعن الانصار ودرك الثار فبعث
الشار ابو نصر بها الى [illegible] درج رقعة افرد فيها بسلن فاملها وانفادها باعيانها الى السلطان
ليتعرف حاله في الموالاة ومخالفة ذوي المناوات والمعادات فكتبت اليه
في جواب رقعة تاملتها اطال الله بقاء الشار فوجدتها تدل على غدود تداعل
منها سيقل الوتاخذ كجدل يتوعد صاحبه ان يضرب بكلبه ان لم يكف عنه وربما
نحن في هذا المحن وفيما اولى الله للسلطان من الحسنى الا كما قال المتنبي

ولله سر في علاك وانما ... كلام العدى ضرب من الهذيان

واما قولهم انا على الانتصار ... ودرك الثار فتلك امانيهم

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول لئن كان اعجبكم عامكم
فعودوا الى حمص من قابل فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به بعد
القائل فان قالوا ان العود احمد فذلك لمن حمد البدء لا لمن ذم وصادف

نفـ

نبذ ما شربه ما شاء وعثر وقد راو في بلدة لقائهم كيف شرقت السيوف بدمائهم
ومكنت الثور في اشلائهم فان نشطوا ثانية فها تلك الصوارم ماضية والقنا
عن مناديه وما اشبه حال القوم بما قام به ابو الاشعث خطيبا في قومه فقال
يا قوم انه ما بقي من عدوكم الا كما بقي من ذنب الوزغ يضرب يمينا وشمالا
فما تلبث ان الموت كذا المصباح اذا قارب الضفادة توهج قلت لا تمام يعني ذلك
من جنبه قبلا فالحمد لله الذي جعل سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب اذ
جعل السنة اعدائه تخطب فوق اسرة الاذناب واليه الرغبة في ان يطيل بقاء مولانا
ما طلع يوم من حجاب امس وطلع نفس من قراره نفس منصورا على من نابذه وناوى
ليودعه من بطن الارض لحده ومثواه وعن كتب سير الشار كيف يفعل الله بالغادرين
وليجيهم خزي الغابر وتردهم اسفل السافلين وبعد فالحمد لله رب العالمين كان
الامر على ما حدثت وتفرقت فان الملك الخذ واليهم بما لك عليهم دار الملك
بخارا ولحقه معظم القوم اسارى وشرد الباقون في القوم حيارى ثم وطالعت
الحضرة بصورة امر الشارين في الطاعة حتى خطبا من الاكرام بما توقعا وجلبا
من الاعزاز والاكرام باكثر ما تطلعا وحضر الخدمة بعد ذلك الولد المعروف بشاه
شا [illegible] فصادف بالحضرة من ترحيب وتربيب وحظ من الايجاب والايثار وغيب
وغير [illegible] على هذه الجملة وهو بين الاعزاز بمبعث من الملك ولوثة في الطبع ما محسن

امثالها عند الملوك من الهلاك وهو على كل ذلك محتمل ويلطف القبول واقبال
مقتبل واستاذن من بعد للانصراف وراءه فصادف اذنا بالمبادرة الكريمة
مشفوعا والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموما وعاد الى قرارة
بيته ومثابة عزه الى ان عن للسلطان غزو احب ان يحتشد لها افضل احتشاد
ويستظهر فيها بما حواه قوة وعتادا وامراء جيوش وقواد وامر بالكتاب اليه في استنهاضه
اسوة امثاله الثقة بخصوص حاله وثمرة ما اناخ عليه من سجال افضاله فلوى بالحاجة الذي
على المكان ولفه معاذير واهية الاركان وظل يردد بين الحران والاذعان الى
ان حقت عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره واقبل على
ما اهمه من امر مسيره حتى اذا وان له ما قصد وظفر بمن كند وتمرد وعاد بالفتح
خافق اللواء والنجح شارق الضياء جدد مكاتبته بما ناله من خيفة ان اوحشها
دانيا ثم من وحشة ان لا يبهها واستبقاء للصنيعة عنده من ان يحتصد ثمارها
او يقتطع دون الثمار شاؤها فلم يزدد الا كفورا ونفورا وكان امر الله قدرا
مقدورا وعند ذلك جرد السلطان حاجبه الكبير التونتاش وقفاه بوالي طوس
ارسلان الجاذب فيمن ضمهم الجملتهم ووسمهم بالمسير نحت دار الهم المناهضة للشار
واستلال الغرش عليهما ولخافه وبال العصيان وكفران الاحسان بما افضى
في العدة والعديد والبطش الشديد واستخلفا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ لمكا

٥١٢٠

من ان يعلم معا لم معاطف تلك السبل ومخارم تلك الجبال والقلل فسار واليهما
في رجال قد كدحتهم التجارب وبنتهم النوائب يعجمون باطراف القنا باعلى الزبرد
ويخلون ولو حزنت الابرود مروا على الشار تلك الناحية فاما الشار الكبير والد
ابو نصر فاستقصا اسباب العاقبة واغتنم شعار العافية ولاذ بالامان الجانب
التونتاش مظهرا البراءة من فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه
وتمرده ومتحملا بشفاعته الى السلطان في ملاحظة معين من لم يرتكب جريرة ولم يشغل
سريرة ولم يبد له في الطاعة والاخلاص سيرة وقد قدمه الهراة بين ترقبه فقضى
طاعته واحتياطا وجب خلافا لابن مما نعته فكتب بحاله الى السلطان فورد
في الجواب بالامنة وهي المؤاخذة وعتب المعاقبة واما ابنه الشار فتحصن بالقلعة
التي اعدها ايام الشحودبه وهي التي سبق وصفها في غرة الجوانب ومناعة المنار
وصعوبة المصاعد والنمو على مثول الغيوم الرواكد واستصحب اليها خواص غلمانه و
خزانته وسائر حاشيته وبطانته وقصده الحاجب ابو سعيد وابو الحرث ارسلان
الجاذب في انجم الغفير من اعيان القواد وابطال الافراد وتقاسما اركان الحصار ودونه
تدنا بالمجانيق المنصوبة والعرادات الموضوعة ومناوشة للحرب من جهات كادت
حشاشات النفوس من هول المقام تذوق كؤوس الحمام قبل ذوقها بوقع
السيوف والهام واصلا صبوح تلك الحروب بالغبوق حتى هد الحصار سواد

فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم المجانيق وتسلقها اهل العسكر من
على سائر الاسوار كالعصم واقلة في شم الهضاب الاذناب هاربة من عصف الكلاب
واستكت الحرب على تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب واخذا باللحى والذوائب حتى
سالت المذانب من دفع النحور واحمرت المنافع من علق الصدور ودرأى الثبات
عند ذلك من هول المطلع ما لم يكن ثم ما كان فدعا الامان الامان بها
غضب النفوس اذا صادف نجح المرام ووجه التشفي بالانتقام لموتوره اللداد ذات
او تفعل فعالها وتنال من درك الثار منالها وما زالت تلك دعوا
وهذه حالهم حتى اخذوه اسرا واستنزلوه عنوة وقهرا واستبيح ذلك الحرم
بما حواه من درهم ودينار ومال واستظهار واحد حاجبه ووزيره بل نديمه
وسميره بل قليله وكثيره فوضع عليه الرهق حتى اعطى بما عرف من ذخائرهم
وخبره من ودائعه وطلب غلمانه واوليائه وعماله والمتصرفين في امواله
حتى عروا عن لباس الثار وعريت اخلافهم دون الاستدرار وقوطع ابو الحسن المنيعي
عن ارتفاعات الغرش على ما علم ارتفاعاته من قبل الثار فتمكن منها واستخلف
هناك من يقوى يده في عمله وشحن الحصار بكوتوال يوثق بامانته وجلده
وبعث السلطان بعض خواص غلمانه نقل الثار الماثور الى حضرته على سبيل الرفاق
له من جهته فلما سلم اليه حمله في وثاقه نحو غزنه وسمعت بعض الثقات انه اتفق

للغلام ان يكتب الى اهله بخبره وما لقيه في حالته ورده صدده وتبشيرهم بخبره
واستدعى الثار في عقاله وامره بتولي ذلك بخط يده فالغم فتفكر ثم اظهر تشكرا
او كتب ما هذا معناه ايتها القحبة الرعناء اتريني اغفل عما احدثته بعدي
من خيانتي في الفراش وتمزيقي ما خلفته عليك من مالي والحيفه بانواع الفساد لقد انهى
الى جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور وضيعته من مالي في كل محذور ومنكور
وها انا عايد اليك وايمن الله لا اصعرن الدهور عليك ولاوقفن بيدي
على رجليك ولاجعلنك عظة لربات الخدور في الدور بكذا وكذا واستانف الشتم
حتى علم انه قد اكتفى واشتفى ثم طوى الكتاب ودفعه الى الغلام وطرقه بعض ثقاته
فقامت القيمة على اهله وخص عدواسعي بهن وحرف من صورهن وفكرن في
امرهن فوجدن اصوب الاراء تفريغ الدار وتقديم الاستار وفعلن ذلك وابنا
على القلق بابيات على الجوى والارق فلما وصل الغلام الى الدار رفاها كالقاع
القرق لا يلم بها نافخ ضرمة ولا معلق وذمة وبعج جيران وسال الجيران واخبروه
بصورة الكتاب وما خيف من الفضيحة والعقاب فدعاه ولاه ولعن الكاتب وما
والاه والكتاب ومن املاه واحتال في رد العيال لضمان اكده واحسان جرده وبلغ الخبر
السلطان فضحك لاحتيال الثار عليه وقال كذا حق مثله ممن يستخدم الثار كاتبا
ووضع حرمته جانبا ولما حمل هو الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط تاديبا

له على ما اغفله من حق النعمة وهتكه من ستر الحشمة فجردها واخذته عذبات العذاب
فاكثر الضراعة والاستكانة وشكا الذل والمهانة فلما استوفى حقه دون
ان يبلغ التنكيل منتهاه والعقاب امده ومداه امر بانزاله واعتقاله في موضع
يصلح لامثاله وامر بمواساته والتوسيع عليه في قواته من حيث لا يشعر باذنه فيه وفيما
اتاح له من الترفيه كفاء ما سرى في تضاعيف مزاجه كالخمر في عروق الشرب والماء في عذق
الشجر والنمل بلا مهلة ثم كان خطا عنده فزد عليه مواعيد بعض ما يصلحه البيرانشا ابو
المقيم بهراة فاذن له في ورود الباب ولوحظ بعين الايجاب واتباع منها السلطان
خواص ضياعهما بالغرش حلالا له عن عقدة الشبهة واستضافها الى جملة ضياعه
الملكية وامر لهما باثمانها فنقدا صيانة لهما عن مس الفاقة وذل الحاجة ورفرف
الشيخ الجليل على الشار ابي نصر بجناح الاكرام والرعاية حتى اتاه الداعي واقام مبراكنا
وذلك سنة ست واربعمائة **ذكر وقعة ناردين** وقد كان السلطان يمين الدولة
وامين الملة لما استصفى نواحي الهند حيث لم يبلغه في الاسلام راية ولم يتل بها
سورة ولا اية فرحض عنها ادناس الشرك وقمع دونها اغباش الكفر وبنى بها
يقوم بها دعاة الله بالاذان الذي هو شعار الاسلام راى ان يطوي تلك الديار
الى واسطة الهند منتقما لله ممن جحد توحيده ووضع بعبادة الاوثان من دون
خده ووريده وحكم فيه سيوفا طبعت على عز الاسلام وسقيت بماء الايمان

وحيث في قراب دين الله وانتضيت بايدي الاخيار والابرار من اولياء الله فندب الرجال
وفرق الاموال واخلص اليقين واستنصر الواحد المعين وخاض في القم والرم والليل
المدلهم وذلك سنة اربع واربعمائة وجعل المسير في آخر ابان الخريف ثقة بطيب الهواء
من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك البلدان ان سقطت ثلوج لم يعهد قبلها
مثلها فسدت مخارق تلك الجبال وسوت بين الاباطح والتلال وكلح وجه الهواء
كلوحا اثر في الحوافر والاخفاف فضلا عن المباشر والاطراف وضلت بها الطرق فلم يعرف
الميامن من المياسر لا المقام من المتأخر والمنظر الحال والى الانعطاف الى ان ياذن
الله ثانيا في الانصراف ولكل شيء حد محدود وامد من القدر معدود واقبل
السلطان على استيناف العدة والعتاد واستخلاص الميرة والازواد واستدعاء
اعيان الغزاة من اطراف البلاد حتى اذا تمت له العدة والعديد وباهى العقد
الفريد وتضام الناس كقزع الخريف من كل وجه منشورا وعن كل اوب محشوشا
واقبل الربيع بطيب المقيل واعتدال البرد الغداة والاصيل استخار الله
وسار كالبحر الاخضر يغضي الا غاصيه والامر الحتم تجنبه المقادير والمنى
وحث الابطال فوق القب العتاد وساق امامه اولاء يهتدون اعماق تلك
البلاد ولا الشمس عليها طالعة والنجوم مستقيمة ورائعة وحث الركاب شهرين
بين انهار عميقة الاغوار بعيدة ما بين الاقطار بواد ضل في ارجائها الرفاق

وتجارى دونها امواج العصاير حتى اذا قاربا المقصد عن الخيول كتايب تميز بها
عصايب زينها كواكب وقتمها مناسر ومناقب ونصب شاه الامير نصر بن ناصر الدين
فى الميمنة فى كماة القواد وحماة الافراد وارسلان الجاذب فى البهم الذكور والبزل
الفحول وجعل ابا عبدالله محمد بن ابرهيم الكاتب على المقدمة فى ساعر العرب اجلاد الامير
الظهور وابناء الصوارم الذكور ورتب فى القلب الحاجب التونتاش وساير خواصه فى
غلمان داره رجال اذا اصطفوا فالجبال الثوابت وان زحفوا فالسيول الدوافق
ونذر بهم عدو الله ملك الهند ففزع من فاجى الفزع الى من حوله من كفاة كبراته وانجاد
جيوشه وناصريه ونجا الى شعب جبل لجج المدخل خشن المتوغل صعب المرتقى والمتوقل
مستعصما بالاحتجاز عن البراز وبالاس من وقع الباس وسد منفذ الجبلين بفيله
لها يراها الراؤون هضابا نابتة وجبالا ثابتة وبث النفير فى اقطار مملكته يستنهض
من يحمل حجرا فضلا عمن يلقم القوس وترا او يحسن بالنفار رادية فى طول المطال ولم
كى يلحق بقوة وافية وعدة متراخية او يلجى اولياء الله الى الاخلال الله من فرط
الملال والنفور من ضيق الصدور ولم يعلم ان الله ثم من وراء المؤمنين و
ان الله موهن كيد الكافرين ولما علم السلطان من نيته فى ارجاء اتقنا له و
تاخير النزال ولف الى عدو الله بقلب قد صقلها التوحيد وبشرها الوعد وانذرها
الوعيد ورماهم بابطال من رجال الديلم والشياطين من فغانية المطاعين بخالص

كالجبال

١٤٤

كالجبال مطوحة بالنفوس مذللة الاعين لثورا واللبوث اخرجها الجوع عنها وما
الى اشبالها الرجوع ينفذون فى الاسناد نفوذ المناقب فى العيدان والنيران فى
الحيطان ويفرعون البواذخ كالوعول وينزلون عنها كتحدر السيول وواصلهم على
ايام تباعا يجذبهم بصدق البراز الى البراز جذب النار للسليط والمغناطيس للحديد
فلما فارقوا تلك المضايق التقطهم الفرسان كما يلتقط الافراس البنادق ولم يزل
هذه حالهم حتى انفر الى العين اكثر من ولاه دولتها معظم من دعاه وعنده احتشد الروز
مستندا الى الجبل ومن حوله الافيال كالقلل فجد المصاع واحتدم القراع وحمى
الوطيس واستوى الرهو ... صارا للقاء كفاحا فمن اخذ بالتلابيب ومتاقن
كاليعاقيب مضاربا بين القوس الى العراقيب كلما ابرزت الفيل للتهويل والتفخيم
والحطم بالاظلاف والخراطيم مطرتها سحايب الرانا دمتلوية كالاراقم منابتها الحدق
العيون او ثغر الحلاقم ورأى الكافر موقع ابى عبدالله محمد بن ابرهيم الكاتب من الغناء
وحضر وقته واسال الزالدماء فانحاز باخشن من فى جملته شوكة واعظمهم شكة حتى
المختوه خدما على الهام وحطما من خلف وقدام وهو كالحرث ثابت لا يجل شرفه مقاما
ولا يكل دون الضرب بحسامه متحاما بالنوح فى نصر الدين وطاعة رب العالمين ورأى
السلطان الحاء الكفر عليه فامد بكوكبة من خواصه الاستخلاص فاستنقذوه الى ... السلطان
ممشوقا بالسيوف منقوطا بالاسنة كالحروف فامر له بفيل يستريح الى سعيد عن الم

الجوارح لجوارحه فضا وملكا له يتميز به من اعيان اهل عسكره ولم تزل الحرب على ساقها
حتى اهب الله ريح النصر لاوليائه وادار دائرة السوء على اعدائه فاخذتهم سيوف الحق بجمعهم
بين كل هاد ومنعطف واد ومدخل ومغار ومعتسف وهار وملكت عليهم القبلة التي
اعدوها حصونا واقية فصارت عليه عواقبه باقية وافاء الله على السلطان واوليائه
غنائم رخصت الصعود عن ان تحمد للاشتراك لكاثرة في الغنى المقصود واستوائهم
في كفاية الموجود وفتح الله نادرين محاطة من شعار الاسلام اذ لم يطفها الحق من لدن
عهد النبي الى زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة عز اكتب الله له على يده وضعا
اتاح له التوفيق للتيسير من عنده ووجد في بيت بدعظيم حجر منقور دلت كتابته على
انه   منذ اربعين سنة فقضى السلطان من جهل القوم عجبا اذ كان اهل الشريعة
القرآن والحق المنزل من السماء قد اجمعوا على ان هذه الدنيا سبعة الاف سنة وانا منها
في الالف الاخيرة وكلما تنادت به الاخبار من امارات الساعة موجودة بابصار القلوب
مشهودة واستفرق فيه اعيان العلماء فكل امر جمع على الكفار ذلك المنقور وعلى ترتيف
مثلها من بيتها ذات الصخور وعاد السلطان وراءه تلك الغنائم العظيمة وكاد عدد الارقام
من العبيد والاماء يزيد على عدد الدهماء ورخصت قيمة المماليك فصار اصحاب المهن الخاملة
فضلا عمن فوقهم من السوقة يعتقدون عدة من تلك الروقة ذلك فضل الله الذي اعز
به الدين واذل الالحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين **ذكر وقعة تانيشر**
فكان

قد كان انهي للسلطان ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب
وان صاحبها غال لهاذا الكفرة والجحود وغير الجهد في الطغوى والعنود وانه يحتاج له
دونهم من كاسه وخرقه من جرات باسه ليعلم ان عز الاسلام عام وان له من سطوة الله بينهما
كما لنا بر قبائل الهند سهام فعزم السلطان على غزوة اليه يرفع بها راية الاسلام ويلبخ
معها والاية الاصنام وبدع الكفر عليها محبوب الغارب الشام وسار في اولياء الله الذين
قد نشاؤا على القراع نشاء الاطفال على الرضاع وصروا بدماء الكفار وضراوة الصقور
بنعاب الاطيار وقطع اودية لم تقطعها غير طاير او حيوان غايد وخرق شباب لم يكاد بها
نعل بانشر ولا نعل خافر وجهدهم في ملك القفار علائل الشفار وبلابل الاقواه فضلا
عن ساير الاقوات نادرين بدوا منها الى فضاء يقضى الى ناحية المقصود ودونهم صحاب ارضه
طرائب وصفاح كظهر الوفر حداد يلقى بشامة شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا
العيولة ومستكثرا باقيا ورجاله وخيوله واحتال السلطان لقتال عسكره في مجاوزة النهر
الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروه من طريقين وشغلوهم بالباس من كلا الجانبين وساعة حمل
الكفاح بين الفريقين امراء السلطان بجملته على الكفار في محاذاة النهر الهائل واكثر الغضب
السابل من عجيم عن طرف الساحل ونعهم اشراق ملك الشعاب والمداخل واشرق الحرب ضربا
بالخناجر في الحناجر وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل حال ظاهرون والكفار زاهقون
هم الصاغرون حتى اذا كاد يهرب شباب النهار رجع المسلمون من جميع الجهات بجملة

اوجرت بهم لهوات ملك الخادم مضطرين فخلفوا الفيلة التي كانوا اها مغترين تبعها
اولياء الله يردون الاعظم فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم تقمهم الاماجد في
الحرب وضاق دون اقتناصها مجال الطلب صب من دماء اولئك الارجاس ما نجس ماء النهر
الحاجز على طهارته وامتنع من الشرب على غزارته ولولا ان الليل سترهم لاستلحم الخيل كلهم
صغارا من الله الذي بعث رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم الذي ارتضى مظهرا له
على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الازدياد الى يوم التناد وانصرف السلطان
باولياء الله غانما موفورا وظاهرا منصورا ومحمودا كانه ماجورا وقد غنم ما يكل عن
ذكره انامل الحصر ويضيق عن اثباته ادراج الاضابير وتكايرت التشاير في الافاق و خفقت
ذكر عليها اجنحة الغروب والاشراق والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين الوزير
ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت اليه حاله الى ان مضى لسبيله قد كان الوزير ابو العباس
الفضل بن احمد من خاصة فائق ومن كفاة ابا ثقات اصحابه وكان على الديوان
من ايام سالار السلطان نيشابور الى ناصر الدين سبكتكين خبره وتوقانه
فكتب الى الرضى يستوهبه بوزارة السلطان وكفاية اعماله وتدبير اموره واموال الدولة
ه وجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبدار الى نيشابور على مقتضى معاقدة عهد السلطان
للوزارة واستكفاه مهمات الامارة وبعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة ابي القاسم
احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة واصابة وهداية وحماية ودراية وجباية اذ لم

في

لم يكن على طرائقه شبائبين لدائه اغنى منه غناء وامضى مضاء واذكى زكاء وادهى دهاء
غير ان الامير سبكتكين حين علية في ابيه عند اعتماده لغداره بست وتدبير اعمالها واموالها
جناية سبق السيف فيها العذل اصفاه منه الى عداوة فيما شفعوه فيه ولفقوه عليه من سعاية
ووقيعة فاستوحش منه استيحاشا من بادره مخيلة والسنى تعوذوا القلوب عن ذويه الاسائة
صورة كره السلطان الاستبداد على ابيه في انقضاء مدة حسب رضائه واستكفائه ومحمود
من وفائه طاعة في اخاده وابتاع الفلك دائرة بحيث مداره وقضى الله ان يكون ما يليه حتى
تعرض خراسان بانه غدية لمرجب جذبه المحكك بتبع ما يفسده الغير بالاستصلاح
ما احرصته بكدي الاحتياج بين يدي كل حال بلغته وغائب الماء الى الحاشر فاجرا الوزير ابو العباس
الامور مجاريها على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستدار وقصد التوفير دون الاستعمار
حتى جمع مالا عظيما سنين عدة اذ كانت خراسان بعد سكونه عن اغبارها لم تترق منها
وداعي اللين ولم تنزع عنها كوابس الشرف فلها احتلبها ان ترافا واستنفد فما فضرعها الرفق
ومن قبل فما قد خال بينهما وبين خصب المراتع وبرد الموارد والمشارع وضعته فما خطر الورود فها
من فضول دسم وسمن بما ورآء عظامها من مخ مقتضم حتى صادت من فرط الهزال والعجف
كالاهلة المحنية بل الاخلة المبرية وتداعى بالخراب معظم الضياع فوقفت النفوس بين القعود
والانقطاع وتشرد في البلاد اكثر الاكرة والزراع فقد ها اخذ الجار بذنب الجار ولزم القاعد
مؤنة الدار حتى عمت البلوى دعت الشكوى وشملت نوايب النوب وذهبت غرايب الفقر

وصادفتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محصوراً والمتوسط مقفوراً والفقير مقبوراً وكان
امر الله قدراً مقدوراً وبقيت في رقاب خراسان من الاموال على كل متعذر ومنكسر وناو
متحير لو ذهبت عن آخر فقرة منها لم تف ببعضها فضلاً عما جمعته ادلاء الاستيفاء فالهم السلطان
ضجراً من حجر الاموال وتراجع الارتفاعات وطالب الوزير منها بما اقتطعه وانواه وضيعه
وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين الجناية والاحالة فيها غصص التعب شقاء الظهر
الاستيفاء ويحابيه على نفسه البلاء واسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً وتوسط الملاء
بين السلطان وبينه على ان يجبر بعض المنكسر من خاص ماله مما استفضله طول ايام
وزارته من ارتفاق الاعمال فابى ان ينزل عن درهم الا بعد لم وحيلة في شاء من تلاه عن ضيع المترجم
بالعمل المنغص بالامل المستسلم للبلية المحكك بالمنية واختار عند ذلك السلطان
الدهقان ابا اسحق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس ملح اصحاب الديوان واستنضاف
البقايا على العمال والكتاب بنيسابور وانهضه لها منه سنة احدى واربع مائة فالحد
الى الهراة وحتى من الاموال ما دون اخلافه ولانت على الدر اعطافه ولم يلبث الا يسيراً حتى
حمل حملاً كثيراً وأوّل الوزير ابو العباس علته في صدد الوزارة والشيخ الجليل يسعى بينه وبين
السلطان على سبيل السفارة يوم انتصاحه اياه كي ينصبه مكانه ويسند اليه عرض
الاستقامة شانه ويسند الى غرض الاستقامة شانه وهو باب سوى اللجاج في القول
عن جدة المزاج حكماً من الله عليه لم يسعه رده وقضاء سابقاً عن الغاية وصده وما زالت هذه

لدنيا

لزوماً للصلاة على ما به من ضعف القدر الى ان دكت نفسه الى قلعة غزنة متروعاً الى
الاعتقال لعماتولاه ومستبحاً بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلاً يشتري الحبس
اختياراً ولم يستقبل صرف الدهر بذاً او غاية السلطان ما اتاه فاستبذ له الخطة بغرامته
ما خباه على امواله وودائعه فبذل خطه بمائة الف دينار ثم لم يزل يستدل الى ان عرض
حال الفاقة وعدم الطاقة بمن استخلصه السلطان بجوده ورامه على ظاهر ابلاسه ودمه على الغلاء
ان وجد على الطلب له مالاً مفرقاً او مجمعاً مدفوناً ومستودعاً وبقي على جملته بما بذل وكلاه
معصياً عن الارهاق والتعنيف مصوناً عن التحامل والتكليف الى ان ظهر له على ما ذكرنا
عند بعض التجار ببلخ وديعة وامر موضع الدهقنة عليه لاستصفائه واستخراج ما وقاه
بنفسه وذمامه وما بقي من بريق جاهه واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة
حاله واستبراء ما يصدق او يكذب من مقاله والدهقنة يستمر على اللوم وينال منه يوماً
بيوم حتى اتاه اجله وحاق به ما كان يستعجله بذلك سنة اربع واربعمائة ولما عاد السلطان
ورأى ما سمع فيه وهيهات ابن من الماء قدح مطموسة ونفس بين اطباق الثرى
مرموسة كذلك من اثر المخلوق على الخالق ولم يعتبر في الزمن السابق وقد كان ادرك له
ولد في صدر وزارته يعرف بابي القسم محمد بن الفضل فبرع على صغر السن في وجوه
الفضائل والآداب حتى استطار ذكره واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره فمن قوله شعره

لقد انعى ابو العباس جوداً   على جود الربيع لمعتفيه

فتى احدى يديه ممات قوم ... وفي الاخرى الحيوة لمرتجيه
لقد خضعت لك الدنيا فدانت ... فهل يرقى سواه مرتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى ... غدا بصرا وانت النور فيه
فيوزر الفيروز سعيد ... رفيع الجد في عيش رفيه

وله

وزير تجبر قادت الى القوم بغضه ... لنكبها من كان يعشقها قدما
فقام اليه واحد بعد واحد ... ولم يرذ نبا فعله ولا اثما
واوركته حرفة الادب ... فاختطفته يد المنية اخترما
كان عودا واثبته عمودا ... والهره سعودا واحدا فيا ثاني فعودا

ويحكى بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يرثي بيتا تلقنه في المنام وهو

ارى الدنيا وزخرفها ككاس ... تدور على اناس من اناس
فلا تبقى على احد كما لا ... يدوم بقاء ما في كف حاسي
ساحفظ عهده ما دمت حيا ... وحفظ العهد من كرم النحاس

فنظر له منه ولما انقضى نحبه ذاد ابو الحسين المولى الكاتب فيه ابياتا وهي ابعد محمد بن

ابعد محمد بن الفضل ارجو ... امانا لي من الدهر العماس
اساس الفضل كان برفاه ... وابقى الفضل منهد الاساس

فتى

فتى في نظمه والنثر اوفى ... على ابن ذوابه وابي نواس
راى في النوم معجزة بحرمه ... يقصر دونها ابو فراس

ورثاه بعض اهل العصر

يا عين جودي بدم ساجم ... على الفتى الحر ابي القسم
تكاد ان يهدمني موته ... لولا التسلي بابي القسم

وسد الله مكان الماضين بابن الحسن بن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود موكل بانثار امال الاحرار صورة

فتى السن في حصافة الكهول ... جبان الراى في شجاعة
اوهم الباس في غرة السماحة ... مقدم الحياء في دلو الفصاحة

ندب لاعمال الجوزجان تقدرت على الباس ولايته ونقل الى اعمال نسا فضاف عن رد فضفاضه كفايته يصون الاعمال الصيانة عرضه عما يضيره ويحيى الاعمال احياء شرفه عماده ديمه ويميت بدع الرسوم اماتته ذكر

لنعم الرجال باباء وآونة ... لنعم الرجال بابناء وتزوان
كم من اب قد علا بابن ذوي شرف ... كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل ابي القسم احمد بن الحسن رحمه الله رحمة واسعة قد كان الشيخ الجليل الميمندي لابي القسم يلي ديوان الرسائل للسلطان ايام سالاريته بخراسان وهو الكرم لنشا

العظيم حبا البر تو محملا وحرير الوشي رايا ورايته تنادي عليه اقطار الارض بفصاحة القلم
وسماحة الشيم ونفاسة الهمم واحتقار الدينار والدرهم ودرجته وقاده للسلطان على
تصاريف الاحوال الى الايام الاخرة عرض عناكبي في اقطار مملكته وزاده اعمال البست
والرخج وما والاها باموالها وارتفاعاتها علاوة على ما والاه فقام بجميع ما تولاه
قيام من وفقه الله وحدا اليه جوده بنو الامال من اطراف البلاد فوسعهم جدا وغمرهم
نداه وكتب لهم امانا من الفقر بذاه فاما مروته فحاكوا من بالمعجزة الصادقة الصادعة
منها الا من شاهدها عيانا واستغنى بعدول احساسه عليها برهانا وامتحانا وكان الوزير
ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يحتشم غيره في تصاريف غزواته واغانم فخامة
شانه ومكانته المعمورة من سلطانه وساطته بينهما في معظم ما يرتجيه ويبدده ويأتيه
ويقدره ويرسمه وينقله ويثنيه ولما اوهت عليه قوى امره وانكسرت سورة جمره
واتفق السلطان ان يرحل نحو ناردين في الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ الوزير
ابا القسم على مهمات بابه وامداد صاحب الديوان فيما يليه ويجريه بصواب رايه
وبعثه الى مواصلة المحمول عن فرط رايه وغنائه فهو متسم بالوزارة غير متسم بها الى
ان اتفق للسلطان استدعاء صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع الحسابات و
تقرير المعاملات فنهض كل رئيس ومرؤوس وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول ومسمن
ومهزول قد اتخذوا الطمع والتمحض جراثا ووضعوا الارواح على الراح توكلا وابتداءًا

ووافق

ووافق وصولهم ركضة عزمها السلطان الى الهند فسبب عليهم الاقامات عسكره ما داروا كلهم
باستخراجه مدة يومين الاهمام الركض وضيق رقعة الوقت فغضبوا اعصاب انامل وسلخوا اسلخ الغنم
واقيموا على جرائضهم ومكثوا على الهام والقدم حتى اعتصرها منهم عن تضاعيف اللحم والدم
وعندها صب السلطان على الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الامارة وامره
بمحاسبات العمال ومطالباتهم بما صارت في ذممهم من الاموال محكما في الحل والعقد مخيرا
بين الاخذ والرد وسار السلطان ومقصده واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب
الامور ووظف الاموال وصرف العمال وورد صاحب الديوان ابا اسحق على جملة اعمال الى
خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم من حاصل وباق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر
المنير والسيف الشهير منفردا بالتدبير محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير فلما اتفق عود
السلطان الى قرارة عزه وشاهد الامور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة الحدود
والاموال وافرة الدموع حافلة الضروع وسم له بان ينحدر الى خراسان مستنظفا ما
وهى او وهد صاحب الديوان في جبايته واستيفائه وقصر او قصر عن تدبيره وامرائه
فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ النفوس بمخنقها وتخلع القلوب عن معلقها وتكاد تطوق
له كل محزون ويلفظ اليه كل درهم مدفون فجمع عن سماح النفوس مما جمعه واستكرهها
عما منعته ما لم يسمع بمثله محمولا من خراسان اذ ها باواوراق وعصابة فاقوا قصبا
رقاقا وعلما ناو سياقا وافرا شاعا وتلافيا لرفع على صاحب الديوان بما ناله

من صنوف المنافع ووجوه المطامع فسامه السلطان تقييضها قبضا وحملها الى بيت المال تربّا
فاعتزل العمل وتولّى عن كل ما حصّل ونزع من يده الى الخاص املاكه وضياعه ومواشيه وكراعه
وتجمّله واثاثه حتى حطّ حلى اناثه فجعل ما اعتقده منها على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا
عمله وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعن بها في سالف الايام ولم يرض
بنانه بخدمة الاقلام فانقلبت المخاطبات مدة ايامه الى الفارسية حتى كسدت سوق البيان
وبارت بضاعة الاجادة والاحسان واستوت درجات العجزة والكفاة والتقى الفاضل
المفضول على خطى الموازاة   سعدة الوزارة بالشيخ الجليل سعد الله بن حدود الافاضل
وورد بمكانه خدود الفضائل ورفع الوزير الكاتب عن امينة الاداب فجزم على اوشقة دواته
ان تنكبوا الفارسية الا عن ضرورة ومن جهل من يكتب اليه عجزه عرفهم ما يعرب به عليه
ونفذت توقيعاته في البلاد وسوائر الامثال وابيات المعاني بين القصائد الطوال فنفح
كل ناد نداها كاهنا وفي كل مشهد شهادة باستحسانها فاما الشعر فقد نثر عليه محموده وسعد
جدوده وفتق بالعذب الرواسي عوده فاربا بركا العنادل تريد بمناقبه والقماري تسجعا
على الضرب المادي من مذاهبه فهو عدله في الناس غياث ورحمة وبفضله تمالد نعمه
وانفرد بتدبير العباد والبلاد بناء على الاساس وطباعا على الابناس واغاثه مع الايمان وكفاه
بالاساءة والاحسان واسوالجراح القلوب براهم الرعب بكادا بمعروف العادة سابق التجريب
واشارة على السلطان في امور مملكته بما يفيده عاجل التوفير واجل الثواب العزيز لاجرم
أمر

١٥٠
استتبت الامور بغنائه وانسدت الثغور على اراده وكلت من كان على العلم ارادة اصداده
وعلى البصيرة ارجاه وبدا ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب ذكر شمس المعالي
الامير فلك المعالي ابي منصور منوجهر منصبه ووراثته مملكته قد كان ذلك الامير على ما خص
به من المناقب والرأي البصير في العواقب والمجد المنيف على النجم الثاقب والسياسة التي لا يتناع
كاسه ولا تؤمن سطوته وبأسه يقابل الزلة القدم باراقة الدم ولا يعرف في ادنى درجات العثار
وان لم يقصد اليه مراد ولم يشترك في كسبه اعتقاد غير حد الانتقام بحد الحسام والتغليظ
عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى الوطء والخشب ولا يرى الحبس
الاما بين الصفائح والرتب واهلك من خشونته هذا المس وصعوبة هذا البطش فنا
من حاشيته لو استبقاهم على خفة جرائمهم لكان اشبه بالجلاء لو وليق بالاصالة والعدالة ترعنا زالت
هذه الرحمة حتى استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه وشحنت الصدور عليه ومالت
عنه الاهواء المايلة اليه اذ كان احد لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملجا
بالخطاب اليسير صارت النفوس محتاجة والارواح مستباحة والمرء من البشر لا يمن وزر النجم
فهو اذا مات فقدت وليس ثمّ بعود بعدما عرى العود وانقوا من حاجا لو كان يعرف محاجب
نعيم وهو احد لكراه لرفع حدود جرجان عليهم الغايلة والعادية سليم الناحية من بكين
افيا الحاشية وكان اعتماده بطيطا استراباد وسياستها رفع عليه انه طمع من بعض ناماها
مرما لا ومنالا فامر بقتله وتعليقه عن خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا بما اثر سائحة

وتفاجيه وذاحته وقصور ما سعى به عليه يوضح اسناده عن افاته وافاته ومزاد قتله
في ابغاد الصدور واضغان القلوب تؤامر عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع
الايدي عن طاعته وكفاية النفوس شغلها بثقل وطاته وخشونة سياسته ووافق هذا
التدبير غيبته عن جرجان الى المعسكر بجناشك من اصحها هواء واعذبها ماء واحسنها
مرادا واكثرها ربوعا وارتفاعا استدلالا بجوها عن نفح الحرور عند طلوع الشعرى العبور
فعمي عليه وجه الصورة وشذ عنه علم ملك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير زعام العسكر
بين القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم ما لم يروا من خزانته وتعاليهم في وجوههم ممن كانوا بنزولها
نقبا ندمحا بين من ودائه حتى اكتفوا عنه صاغرين وولوا على اعقابهم وماخوذين وما الواله
جرجان فتملكوها عليه   شغار لعصيان الاسين غار الكفران وبعثوا الى الامير ابي منصور
منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لـــ الشاعر

فلا تحسبني لكم كافرا   ولا تحسبني اريد الغيارا

لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما للحادثة بابيه
واكبارا لما تعلقوا به من المكيدة فيه وطمعا في تدارك الخطب بتلافيه فلما دنا منهم مضربه توافقوا
على طاعته ان خلع اباه وابتزازه رداء الملك ان اباه فلم يجد في تحصيل الحال غير المداراة
ضبطا لما انتشر وسدا على ما انشعر ضوء ستر الحشمة من الانخراق وابقاء على سكر الانقياد
من الانبثاق واشفاقا على البيت من ايضاع وعلى الملك من التخطف والانتزاع وقد كان

شمس المعالي

شمس المعالي لما سمع بنبات القوم واجتماع كلمتهم على الخلع عطف لمن معه وما انتخبه
من رجال وعتاد الى ناحية بسطام ناظرا ما يصير عنه عاقبة التحزب وينتهي اليه ثائرة التحلب
والتوثب فلما تسامعوا بمكانه رحلوا الامير منوجهر على قصده وازعاجه عن مكانه وزحفا
معهم اليه مضطرا ودافعا بالشر شركا الجمل الانفاس منقادا دونا تنح على صعره استبناخ
فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه من اتباعه وخواصه اذ قام دونه رجال من خاصته
يرون الموت شهيدا دون حده لامانه والروح وقعا على شكوا خشانه فلما وصل اليه
كفر طاعته وخضوعا وسال اودية الشؤون دموعا وتشاكيا صورة الحادث و
تذاكرا احق الموروث والوارث وعرض الامير منوجهر ان يكون مجانا بنيه وبين اعاديه
وان ذهبت نفسه فيه ورأى شمس المعالي ان العارض قضاء بليته وانه احق بوارثه
ملكه وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك اليه من يده واستعفاه الخير بما دام في
فحه من امره وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان ياتيه
يقينه فيسلم له نفسه ودينه وان ينفرد الامير منوجهر بتقرير الملك تقدما وتقررا ونفاذا
وتاخيرا وقدمنا اليه عمارته على هذه الحالة ثم ينتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه من خدمه
على صحه عزته وتحري مصلحته وعطف الامير الى جرجان فولى الامير وضبط الصدد واخذ
يداري القوم ترغيبا وتطيبا ويمنيهم الاحسان جميعا وهم على جملة النفور وحسد السور
ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زالوا في الاحتيال عليه حتى فرغوا

من امره وسلموا كما زعموا من عادية شره ولم يرضوا بروحه في صوان الاموات حتى كشفوا عن

محياه رداء رداه وطالبوا ابنه شاحين عدموا شمس المعالي بوشا ووارده في مقبرة كان اتخذها

لنفسه بظاهر جرجان على سمت خراسان وعد الناس في معناه كما قال ——

نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا في كل امر عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوچهر المأتم ثلثة ايام على رسم الجبل في حسر الرؤس وضرب النفوس وقص (المشام)

وهجر الطعام ولما انقضى ايام المعزى بني المقبور واستوثقت على البيعة السرور وكان لم يكن

بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين

بخبر شمس المعالي واستيثار قضاء الله به خاطب الامير منوچهر معزيا ومسليا ولقبه (بفلك)

المعالي مشرفا ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد في ايثاره ففزع الى

السلطان يمين الدولة وامين الملة معتصما بحبله معتصرا لطلبه مستظهرا بطاعته

مستبصرا في متابعته مستغنيا ذا عنايته متلافيا ذم المصاب بقوة اسباب الود (عاتبه)

وانفذ عدة من ثقات بابه بمبادر موفورة ونفايس مذخورة ورسايل على صدق الاخلاص

وصفوة الاعتقاد مقصوده فضاء دمة رجاء ورغبة في موالاته حريصا على تمهد رضاه بريد وترد

السفراء بينهما على زيادة هذه الحال وتوكيد عقدة الوصال لوح السلطان عليه في اقامة

الخطبة على منابره لولاية امتحانا للمصدوق عقدة في موالاته وانفذ اليه ابا محمد الحسن بن مهران

حو

احدثنا تبرعا زاى اصحابه من نفايس خلعه وكراماته فضادف منه قريبا مجيبا وسميعا واسـ

باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان وطبرستان وقومس ودامغان والتزم في السنة خمسين

الف دينار وعلى عكمي الطاعة والاخلاص علاوة واستدعى السلطان على تعبئة دل

وقد عزم غزوة نار بن انجاد خشيه بطايفة من الجبل والديلم يحسنون حرب المضايق ويعرفون

غنا الكماة البطارقة فرتب اليه الفي رجل من خلص الجيليين ان داموا الوعور وعول و قصدوا

السهول فسيول وقد امر بازاحة عليهم في اعطياتهم وضبطهم من نفقتهم اودها حاجاتهم وطلق

مدة الحاجة اغنائهم واجب واستحقاقاتهم ولما استحق على السلطان باثارة في القربة

مزيد لرتبته ومساعيه في الطاعة وقضاء الحاجة انهض رئيس جرجان ابو سعيد الشولكي المقدم

فضلا وادبا المحتشم حسبا ونسبا لاقتضاء مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاة بخطبتها عنه

والطاعة باستنجالها له فنهض في خفارة الادب بحديه وكفالة الرفق بما يبذه وبايته ولم يزل

ياتي الامر من بابه ويستطيع المراد من حجابه حتى استتمت وهو السلطان لما استدعاه واوجب

الاسعاف بما توخاه ولما انكفأ الفاضل ابو سعد ورداءه بصورة الايجاب فيما دعا من هزه

المجد الاطلاب حشمة الامير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم

ورواية الحديث وضع اخلاف التدرب والتجرب لتنجز النجاح وتاريخ عقدة النكاح

فنهضا الى حضرة السلطان متيمنين برسم الخطبة وخاطبين ثم السكالى اللهم فراى السلطان

تحصين ذو ل العدة وعنان سلطان النفس طاعة لرب العزة وقلد للرمته فلك المعالي

خلبا من كبده وسمح له من بهرة الارض من نجوم ولده واى نجم كان فى فلك المعالى بمدار سعد

عند داره انى و مدار النجوم لافلاك وازواج الملكات لاملاك وجرى بن الاستبشار

فى اتحاد النفوس والديار وصب النثار وصعب المبار كالغيوث الغزار مما ارخ به كان

الدهر ووسم بذكره سالف العصر وعادل الرسول بذلك النجح الموقوف وكلا السعدان يقترنان

فى الحوت وعندها تكلف الامير فلك المعالى حرمة للقرب ونحلة بين يدى النجوى الا بقين

من داه على اخلافه اضافه واغراب نفوسه وافوافه لان له همة الى قمة الجوزاء مرفوعة

ونية على صدق الولاء مطبوعة ولم يتواحد من اركان الدولة وحواشيها والراتعين حول

مراعيها لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشرك بالبر المعهود بالشرف لاجرم ان السلطان

حق قرباه وجزاه عما سعى به بمناه واتر ذكاه من تواد جيوشه وازاد رخاله علت اجانب الملوك

كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود وتعصى المجد بعفو الراى دون المجهود فاما باصحب الصدف

وباقوتة الشرف فالما لعهد الدهر بمثلها فى مكان بمحو لا من خراسان ولا عرفها الشمس

البدر نورا والبحر بديع وعلج مسحورا وقد كان فلك المعالى عندان استتب لما بره واشتد

بظاهرة السلطان ظهره دبره على اعيان عسكره المشركين فى دم ابيه فصدع ذات بينهم

بوجوه الحيل وانواع العلل حتى اباد خضراتهم وسقى ظما الارض دمائهم واخترم كاش وهو

العاق والنسيب الشاق بالداهية الدهياء فنسل تاجا بين سمع الارض وبصرها تابان الرعان

والاباطح وتلفظ القيعان والصحاصح فهما مس جانب القرار طلبته هامة المنافع بالنار رفعا

ع

154

على وجهه ولا ضيد تقيف بين تشريق وتغريب تصعيد وتصويب كان احد من اثار ذلك الشى

على شمس المعالى على ما نشاء مدت بر الاخبار القاسم الجعدى وكان صاحب جيشه والخلد الى امر

الحدكار على قفاز برى كل صحة عليه كل حشيش سهم جنسية فامهله الامور فما نا حق ظن

ان له دون شئون الاخرين شانا تم الباء بتطبيعه وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقامر

وايسه من الطمع فى الخلاص وان الله تعالى فى امور عباده حكما معلقا باماد معلومة وغايات

محددة فليس قبلها مستقدم لما تاجل ولا بعدها مستاخر لما تعجل فاحتال ابو القاسم

حتى نزل هادبا روا عنف لبيد جانبا وما زال على حاله رواحيا له حتى ورد نيسابور بعد

وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان على نقل ودخله وارتها نه بانه فعله معما

تمهد فى ذات البين من عقود وتاكد من عهود واشترطه من طارف ومتلود يحل عقال

اثامه ويكف عنه ما حق عليه من باس الله وانتقامه كلا ان سوء الفعل خذول والقاتل لا محالة

مقتول وشر المحن ما اومض بالخلاص قبل اتمامه واستيفاء مدة النجح على مجرانه انه لتوهم الفكاك

ثم يعقب الهلاك كالهرة تطمع الفاره بالخلاص حتى اذا كانت منها على عنق الحقها بعدلا جرم ان

السلطان لما انهى اليه صورة حاله من قبل ما سمع ببؤ فضا له امر برده ودان فى عقاله ولقد احسن ابن

الرومى في مقاله

الخير مصنوع بصاحبه	فمن فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله	فمن فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا ابن شمس المعالى قابوس بن وشمكير وقد كان دارا ابن شمس المعالى بعد ما استتبا ثم نزع على

محمد بن محمد سيمجور الى الامير نوح بن منصور الرضي مقيما على خدمته سهيما في نعمته فيما جلته
الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان فانحاز اليه مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وقينا
من الاقبال والاشبال ما اقتضاه حكم البنوة والابوة ثم حدره شمس المعالي الى طبرستان فاقام
سدادون مخالفيه وذماما على اوليائه ومواليه واستنهضه منها على قرينة القيا لية فاتاه
وهو باستراباد وبين يديه صحة ادمه واستواء حدبته بقدميه فاحسن استقباله واستنزل الدعاة في
وقار تاب بمركوب على قصد تجلسه ثم عطف عطفة الليث الحادر نحو خراسان بين عساكر
تشكو الاوادم بينها ضيق المجال والمضطرب وصعوبة المناب والمترب واستصحب من وافقه واقعد
من علمائه واهل الثقة به الى ان عرف شمس المعالي خبره واستركب فلاقاه عسكره بعدما قد طار
به الركض وحالت دونه منالة الارض ولما شارف حد خراسان رفرفت الامنة عليه بجناحيها الى ان ورد
حضرة السلطان فقبله احسن قبول ولقاه احسن مقول ومنقول وما زال يرفع به تمويلا وتخويلا
وتفخيما وتبجيلا حتى اعزه فضل الانبساط وعزة الانتساب باهداب هيبته وهدم بنيته فاستوحش من
عارض الاعراض واشفق من دهول التغير والانقباض فلاذ بظل الليل مرابا وثبات يطوي الارض تعرسا
وجبا وامر السلطان بطلبه اتباعه في وجوه مهربه فالتحق حيث قامت الحجول بعنا تعبا ولم يجد السوق
عليه مضربا فغرتهم على وجه يجهله الثار المعروف بالشانجال بينهما ذى الصفا معموره وبصول
ودبا لوفاء ما لوره فلما استقر بالمكان وخبر خبرا للسلطان كتب اليه فاستدره وخوفه ان تاتى
عليه ما بعده فاضطر كله رده واسلاه عزيمة وبقي في الحبس مدة يكابد بوسا وشدة الا ان وجد فرصة

للانفصال

الانفصال عن وثق الاعتقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد ولم يكن ليغوغ عنه لولا
المقدور الذي لا اجل دونه وابت عليه عدم النضج فحاجة المحنة ان يتم خلاصه فيكتب له مناصحة واعترت
اليه حتى اعيت وقامت وزيدت في ارهاقه والاخذ في خناقه الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه
فانشاه نشاة ثانية وانبت ريشه وادمه وخوافيه واعاد له الاحسان حاليه على ايدي الاضراب عاليه
ووجهه لولاية طبرستان معضودا بابي الحرث ارسلان الجاذب في ذوي النجدة من كماة الرجال وكفاة
الابطال لولا ان الامير فلك المعالي منوچهر سبق تمام الراي باظهار الطاعة وعرض ما ود الوسع
والطاعة ولما حالت السحة التقرب دون الاختيار عليه استرده السلطان الى حضرته مجرى مجرى
اركان الدولة واخذان العشرة لا يفارقه في حفلة ولا يزايله في خلوة ولا يقعد عنه في وقت
ركوب لا ينفرد عنه دون كوز وكوب الى ان ورد ابو الفوارس بهاء الدولة حضرة السلطان مستزعجه
عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستظهرا به على معاودة مملكته وارتجاع بقيته ونعمته فجمعهم
مجلس دارت فيه الكؤوس وطابت فيه النفوس وجرى حديث السلف والخلف فاعرف منهم في الترف فطلق
دادا بما لو سكت عنه لكان اشبه بحق الخدمة وحكم الحشمة ووقع الاجماع على رضاع العشرة وحلمة
رمز الانكار عليه على قصد المرادة وركوب المحاقة حتى تمادى به الاولاد الى ازعاجه عن مكانه في حجابه
بنقمة المدل على سلطانه وامر به في غد فرد في اعتقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه فلم يرث
مجرى الحوزيات تستغل سوة امثالها الى ان سال الشيخ الوزير في بابه فامر بردها موقوتة له على
مصلحة حاله وموقوفة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع واربعمائة ذكر مجد الدولة ابن فخر الدولة

ابو طالب فخر الدولة وقد كان فخر الدولة كتب الى ابي العباس تاش وهو بجرجان مخدوم الهاربين عن
خراسان تعريفنا وابصاح بشيرة بولادته واجرا الله ايانا في الصنع على كريم عادته وكان كنيتا
وتقدم في الله ولا اكنية ابا طالب طلبا للسلامة في مدته وسميته رستم لانه اسماء نضا برادته
فلما اخترمته المنية بايع الناس مجد الدولة الا ان التي ابيت عن فخر الدولة كانت اختا لاصفهبد
بغزيم وسائر مملكة الجبل فبايع في منعة من اهلها وعزة من جانب رهطها فتملكت على الديلم وتفردت
بالامر والنهي والحل والعقد وجرت بينه وبينها مكاوحات ادت بها الى استنهاض بدر بن حسنويه الله
واستيلائه الرى عليه وجرت بينهم هنات وشات افضت بالديلم الى ان نباهى الرى ثانيا الى ابو بن وفاته
وما بهم انعقد دخوا قومن فاقة الجزع قبل تولد الشاة في السنة الثانية وتولد البقرة في السنة الثالثة
وتولد الابل في الخامسة وعن كل قريب بعود الخلاف جزعا وحبل الصلاح منقطعا فتبحح عبث البادة
الرجال واستباحة الاموال وشردوا الصلحاء في البلاد ومزاودة السفهاء بالافساد ولما
عرض مجد الدولة بالامر وما ينقلح على القوم من شره الشرائر البرية الاعتزال على سنة الانقياد
وحملة الاعتراف لها بالطاعة على ترك العقوق المفضي عن بحث ولاية ودعاية الخطة لاخيانك
المشفي بهم على خطة الاحتياج والاستهلال لغلوم البيت منفردا بالكتب والدفاتر وبضاعة
الفضل بسواد المحابر وانفرد اخوه شمس الدولة بولاية همدان وقرميسين وما والاهما الى حدود
بغداد وورث بدر بن حسنويه اموالا عظيمة طالما خفظها صدور العلائق مكنوزة في خفتها
خيوط الاكياس مختومة فلم يلبث الا قليلا حتى استوفتها صلات الرجال واستنفذها حقوق

الآل

الآل شيمة لبقيا المحموا الفضل والتحرق بالبذل وقد كان ابن فولاد فحم في دولة آل بويه امره
وارتفع قدره وانتشر صيته ذكره والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فسال
مجد الدولة ان الكفالة له بالتدبير ان يترك الارعن قزوين بطعمة له ومن معه لينفرد بولاية
حباتها وكان من اركان دولتهما واظهر من ظهور حوزتهما يذب عنهما بسيفه وسنانه ومع دهاها
ما خطب اليه دخن على نارها خطب وطب نشاعلية بهما يضيق رقعة الملك وبكو ودا الدخل
واولياء اليه نظام العدد فقصد اطراف الرى على قصد العصيان يغير ويقطع دون
اهلها سبل ميرهم وملك عليهما ما بلغ جانبه من قرى وضياع وربع وارتفاع الى ان استغاثا
بالاصفهبد بغزيم فاتاهما في دهم احتجمة من الجيلية اولى الباس ونجدة فتناوشوا القراع
وصدقوا المصاع وجرت بينهما وقعات ملاهم استلحمت كثيرا من الفريقين واصاب ابن فولاد
في ساقه نشابة اثخنته فولى فيمن تبعه على سمت الدامغان حتى الم بها فرم الوشاح على الكمر ثم
وكتب الى فلك المعالي منوجهر يستمده على عسكر الرى على ان يقيم له الخطبة ويظهر الطاعة و
يلزم الانادة فامده بالفي رجل يوزن احادهم بالالف وافرادهم باضعاف يرون الشرف فرضا
لمن بات تحت المشرفيات والتشريب خرجا على من حاد عن الشربيات ووصل جناحهم بالقضيم
حتى انقطاعه اليه اعتمادا وعن ظهر المقدرة عليه ونهض نحو الرى حتى اناخ بظاهرها واعاد الا غارة
ومنع المايرة والماسرة وغادر الديلم بها في ضنك البلاد وضيقة الازواج حتى نضطر مجد الدولة
من وليت التدبير الى ابثاره باصفهان فعقد له عليها وخل بينه وبينها استمالة لقلبه

استغاثة من شره فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن رأسه ورحلت حرة العناد عن صدره
واقبل بعرض عسكره على شاذ وسداد وبغل ايديهم دون سداد وفساد وصرف عسكر
الامير منوجهر وانهم يذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف الى اصفهان خاطبا
لمجد الدولة على منابرها وذلك سنة سبع واربعمائة وكان نصر بن الحسن فيروزان قد انقطع
الى السلطان يمين الدولة وامين الملة واقام على خدمته الى ان جعل ناحية بيارجومند رسمه
فنهض اليها واقام بها يستغلها ويتوفر عليها دخلها الى ان دعاه مجد الدولة من الري
فاعتسف السبيل اليها اشفاقا من عسكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير ومكايده وعيون رتبها
ورصده فلما وصل اليها عرف له حق قرابته وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته فبقي
هناك سنين مرجوعا اليه في الرأي والتدبير وموثوقا به في التقديم والتأخير الى ان عثر منه
على ممالاة لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة استوناوند وما زال بها محصورا او في
مخلب الامتحان مأسورا حتى عفا عما جناه ورد ثانيا الى ما تولاه وذاق ما بخلع الديلم لجام
الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة في هيبته بالاراسة وتبسط الديلم فيما شاؤا من
غضب وقطع ونهب كبير وتعسف لا يرتدع منهم الا من اشعره الله المخافة واودع صدره الرحمة
والرأفة فانبرى نصر بن الحسن بجمع اولئك الضلال واحتاج منهم فريقا واوسع اخرين تفريقا
وتمزيقا فلما رأى القوم ما دهاهم في اضرابهم من حصده واستيصاله تجمعوا على قصده وقتاله
احاطوا بداره فدافعهم بخاصته بنانه ثم انثنى عنهم منهزما وغادر ملكه في الدار نهبا ومغنما

وما زال المضطرب في محنته نكبته الى انحسم صفائح رقبته الى آخر مدته ذكر بهاء الدولة وما
انقضى اليه عمره وقد كان بهاء الدولة بعد ان فتح الله على السلطان بسجستان راغبا في موالاته
راعيا المضافاته موثرا لمكاتبته حريصا على مقاربته بحكم الجوار الواقع بين الدولتين والصحبة
الحادث بين الدولتين وقد وافق من السلطان رغبة في مثله من جهته لشرف نفسه وسلفه
لما خبرهما من الكفاة في الملك والملاءة في سعة الملك سفر بينهما السفراء على الخادم سدى
القربة واحصاد قوى المودة حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتأحدت الحدود وتأكدت العهود
وعندها احب السلطان ان يجعل المضافات مجاهرة والموالاة مظاهرة فانهض القاضي ابا عمر
البكاني شيخ الحديث بنيسابور الى دس وهو البقية فضلا ووجيه محلا والامام علما وتحقيقا
والحاكم لسانا وفصيحا ورايا وثيقا وصادقا من اجلال بهاء الدولة واكرامه واظهار التلطف
اليه في مرامه ما اقتضته جلالة من اصدره ومساعدة الدولة في كل ما قدره وانام عليه
من طلب الاعجاب الى متوسطه الاكرام ومن ولحة الاشبال الى عاتق الاكبار غير ان بعيد المقر عرض
عليه وانم منه علة احدثها سوء المزاج بين الراحة والترحل فاعياه نجز المراد على العاجل
العابق وقد كان فخر الملك مقيما ببغداد وهو الوزير النصير ومن اليه الراي والتدبير فحشم
القاضي الى ما قبله لينفذ ازمة تلك بوجه من الراي اليه وتاهب العقد عليه فاتفق مع
وصوله استيثار قضاء الله ببهاء الدولة وانتقال روحه الى جوار الله وبالغ الناس اثا
شجاع ولقبه القادر بالله امير المومنين وسلطان الدولة فاستتب له طوق الامر وعقد له

عليه عود الملك وجرى له الطير بالاقبال وحسن الفال ولما عاد القاضي الى ما قبله بما لك
له من ذاته جوابا بتغيره ولا حوار الشيفة اذ كان دونه رسولا لابيه فصرف محلا من رسالته
في وراثة الود والوفاء بالف العهد واشير الخلوص بقاصية الجهد ما اقتضاه حكم الابتداء
بعزيز الوداد واستشار الوفاء على ظهر العباد وقد كان الامير ابو الفوارس اخو السلطان الدولة
مقيما بكرمان فنجر بينهما خلاف اقتضى السلطان الدولة تجريد الجيوش لقصده واستصفا
ملك النواحي واستخلاصها من يده فنهض هو لمقاومتهم وكف عاديتهم واوقد بينهم
حربا افنت الرجال اكلا وشربا واجتاحت الارواح طعنا وضربا واستمرت الكشفة باتباعهم
ابي الفوارس فنقلوا منهزمين واقبل هو نحو سجستان يؤم حضرة السلطان يمين الدولة
وامين الملة ممتطيا رجاءه ومستنهضا كرما عهده واياه فلما شارفها وقد كان انهى السلطان
خبر اقباله امر ابا منصور نصر بن اسحق النايب عن الامير المظفر ناصر بن سبكتكين بتجديد
استقباله وتكلف الواجب من انزاله وانزال من معه من طبقات رجاله ونثر عشرة الاف
دينار له من خالص ماله فبلغ ذلك مبلغا شهد من كان شاهدا بسجستان من قراها و
طرايفها ان احدا من ملوك هذه الافاق لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك ولم يخل
ان مثله يهيج تيار الجود فكيف اقطار الصدور واكتسب ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا
بالنجم صغايره وافاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سايره ولما وصل الى حضرة السلطان
اوجب قضا حق مقدمه بالاستقبال وبقر عظيم خطيره بالاجلال وحمل اليه من الذهب

والفضة والخيل المسومة والانعام وكل ما ينتمي الى قبل الاكرام ما وقع عند الخاص والعام
موقع الاستعظام باخلال الهمة التي برى الدنيا خارجة عن ملكها شعرة من ابشارها وصوفة
اوبارها وغرفة من بحارها بل قطرة من امطارها واقام قرابة ثلثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين
ارحاما وشيجة وانسابا قريبة حتى اذا انشط الانصراف والتمس معونته على عارض الخلاف ازاح السلطان
لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه امولا احفت اقوام الكتاب واوهنت انامل الحساب و
الحض في صحبته ونصرته ابا سعد عبد الرحمن بن محمد الطائي احد مشايخ بابه وافاضل كتابه
في رجال قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته لم يعرف وجه الانقلاب الا بالانفال على الاكفال

تحملت صهوة اخرى شواكلها   من طول ما حملت سيبا على الكفل

وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي ساير خاصته نحو كرمان فجلا عنها من كان ولي عليها
بعجزه عن المقاومة واختصاصه ان تعرض للمحاكمة فخلت تلك النواحي ملكا له من قبل واقام بها
ابو سعد الى ان قرر تلك الامور ودون الجبايات السطور ثم كر وراءه من كانوا برسمه وتحت
قيادة تواثبا على ذلك مدة من الزمان تتبع خشيه السلطان وحرمة الناهضين من اتباع
رايته فلما وسمه بعز عنايته ان يقصد بابو يهم خلافا عليه حتى اذا غاودت تلك الجيوش
غزنه وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير وادرايش بعد التحيير شرب سلطان الدولة ثانيا
عسكره المواقعة واستخلاص تلك المملكة من يده فلاقيا على حرب اشابت القرون تحكيما
بظبى الصفاح في مخارج الطلى وتحويما لشبا الرماح على موارد الكلى حتى تشربت الارض

من سبب الاوزار ومرية من اشاش الاكباد وعند ذلك قدم الامير ابو الفوارس قولي
كبير الا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهيا برا الركض الى همذان حضرة شمس الدولة وفخر الدولة فقضى
فيه حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما بامره واغتناما لشكره واستعدادا للنصرة
واقام مدة مديدة على هذه الحالة حتى استشعر انه مغرور ومقصود والى الامير سلطان الدولة مردود
ونفر نفار الاير من ضربة القاتل والوحش من كفة الحابل ففارق مظنته قاصدا قصد بغداد
فنشرح ان شاء الله من بعد ما له وما انتهى اليه امره بما كان عليه اولا ذكر ايلك الخان وما
انتهت اليه حاله وقد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي تجبت عليه بباب بلخ مركب ظهر
جيحون وعاود وانه يضطرب على نفسه غيظا عما دهاه واسفا على ما اعياه وذا العنا
طغانخان ولينتصر قد خان عليها اوهى من قواه وفوته مراده ومغزاه والقدر له
معاند والزمان مناكر ومناكد حتى طرحه الكمد على فراشه وقعد عن قليل بطيب حوبة ومعاشه
فاشبع التراب بعد ان جوعها الحرص والاضطراب لهمة كانت معلقة بالاثير محلقة بالافلاك
التدبير غلبته يد القدر وفرق بين التقدير وما يضع المرء بالجد اذا وافق الجد سافله فيه الخيرة
وجا مجرى لراكم ماؤها وليس لها قطب باذا يديرها وقد ينهض العصفور بكثرة ريشه وتسقط
اذ لاريش فيها نسورها وفاته في سنة ثلث وولي مكانه اخوه وما الا السلطان يمين الدولة
وامين الملة وولاه وهاداه متلافيا برعمه لما اختل براخوه ومتوددا من جنب كب الخلاف
ذووه وجاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغانخان وبلاد الاسلام من ديار الترك وسابر

ماورا

ماوراء النهر يزيد عددهم على ثلثمائة الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم بغيا لما نا صرع واوردهم كما يورد الهدى محاله فاستنفر
من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه رجال من الترك واطراد الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف
رجل واستكف استماع المسلمين من فظاعة ذلك النداء الهايل والنبأ المايل ما ارتاعت لها
القلوب في الناعب النفوس وتناصرت الادعية والذكور وسار طغانخان مستقبلا من
اقبل الله من جموع الكفرة الفجرة بنيات مقصورة على الاستقبال واستقبال الاجال
او ينزل الله نصره ويظهر حزبه تحقيقا لما اوعدهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم
حيث يقول جل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا والعود اياما على بلاد جم
لم يدر من فوق الغزوق وضرب الحلوق وشد الخيول على الخيول اصوبا نواء امر صب دماء
لمع بروق مقام وقع سيوف في ظلمة ليال اودهج نزال وفي كل ذلك يتولى الله عباده بالايد المبني
والنصر والتمكين حتى دنقوا العصيع المستبين وطلوع الفجر المشرق الجبين وقتلوا قرابة
منصوص عليه على فيصل الحرب فشد بهم نظامه وادار على الفريقين دها قدوامنا
اعداء الله فكروا واسكروا واستوجبوا الحدود بالحدود البواتك فصبت عليهم من ان لاح جبين
الشمس الى ان ذكت نار اجاوها جاو كادت تصبح على قحم الروس تاجا فاما اولياء الله فنشوا
منه نشوة طربوا معها للضرب فوق الهام والبعث بطلايع الحمام لاجرم ان الله حماهم
نصرهم وادام واظفرهم فما ذرروه من جماهير الكفار قرابة مائة الف عنان صرعى على جده

البسيط عن النفوس موقوذة ورؤوس معبوذة وايد عن السواعد مجذوذة تعرض للضباع بل
جفلى للسباع والوحوش الجياع وافاء الله على المسلمين ما يزيد الف راس غلمانا كالبدور و
اللؤلؤ المنثور وجواري كالحور العين والبيض المكنون وسوائم غصت بها اوطان البلاد
وضاقت عنها اطراد الدهناء وتردد الباقون وراءهم بيليم يوقف شغل النعام وتخطف
ارواحهم بايدي الحمام وتطايرت بشائر البشارات في ديارات الاسلام فضربت له الوجوه وضحكت
القلوب ورغم الدرود وتوفر الشكور وتباشرت الدود حتى المقصور والحدود ولطف من الله تعم
الذين ارتضاه ووعد ان يوصل التوفيق توره ولم ينشب طغانخان بعد ان فرغ من هذه الحرب
العظيم باسها الشديد مراسها ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبواه مبوء الصدق من
دار قراره وختم له بالشهادة وختم عليه بالسعادة وورث مكانه اخوه صنوه في البقية وتلوه في
الامور الالهية نبت المقام في دين الاسلام لا يعرف له جاهلية ولا ينتقم منه عصبية ولا عجرفية بعيم
الصلاة جماعة وينفتح ضر العدل سمعا لله وطاعة وعمر الحال التي كانت بين طغانخان
بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وخطب الله والى اخيه ملك كريمة له على ولده الامير
الجليل ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة فاحسن الاجابة واغتنم القرابة وترددت
السفراء بينهما في تلك مدة على جملة الهادي يعقد الحال باقسام الايادي الى ان حصلت الحقيقة
وتمت العقدة والوثيقة وانهض السلطان من اختارهم من ثقات بابه لنقل الكريمة اليتيمة
فجهزت بعدة تشاح عليها ملكان هذا اصل الملك وذاك ملك الترك يختص بها الشبرمن

الليث

الليث والوبل بن الغيث والنيار بن البحر والصباح بن الفجر الامير الجليل ابو سعيد مسعود بن
محمد ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من نفقها املاك الدولة واعيان رجالها من عدت
ابنة المشرق والمنطوقة دوا ما نعى اليد والنسا عليها محمت الحالين الجهتين وفضت
الختم في ذات البين وامر السلطان اهل بلخ قبل الوصول بعقد الآذين وتكلف السجد و
التزيين فبلغوا من ذلك مبلغا لم يتوهم لوسع مدخور ولا من ارتسم مذكور ومسطور وراى
السلطان بعد ذلك ان يرفع من قدره فعقد له هواة سره مملكته ونواحيها وسيره اليها بعد ان
وصله بمال عظيم يعد ذخيره وتوسع تجملا وزينة فنهض اليها رشيد السيرة وحميد السريرة
عادل الطريقة فاضل الخليقة خليقا بالملك على الحقيقة وذلك في سنة ثمان واربعمائة

ذكر الامير ابي احمد بن محمد يمين الدولة وامين الملة جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه
من حاله وذكره   ان السري اذا سرى فبنفسه   وابن السري اذا سرى اسراهما   خطا له قول القائل
وقد جمع الله له من المميل الى خصائص الادب والتحلي لمعالي الرتب ما دل على انه ابن ابيه
شرفا سمقت على النجم شرفاته وكرما تعرفت لاهل الفضائل غرفاته خرج من حضن الكفالة
خروج الازرار من جرابات الشبابك والهلال من تحت الشعاع المشابك لم تعرف له طول
ايام الايفاع غير الارتفاع الى اليفاع تصرفا على كرم الطباع وتمسكا للمأثور بالسماع
وتذللا لما اقتضته يد الطباع وارتياضا بآداب الثقافة والمضاع حتى اذا نزع يداه برد
الحداثة ولبس حذاء طوق الشهامة راى السلطان ان يوفيه حق البنوة ويوتيه شرط المروءة

ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الغرابة فيه واستدعته العناية والرعاية فزوج كريمة
الامير ابي نصر الفريغوني الى الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى الكفاية كفاء
والى النفس همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما عقد للامير الجليل ابي سعيد مسعود
على هراة وهي التي رامها آل فريغون وهم الذين حكوا في العز افريدون وفي الهمة المنجوين
في الغزارة والسماحة سيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران كفالة اموره وولاية تدبيره
فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل ونهض على اهلها نهوض السحاب الهاطل واحيا فيهم سنن
العدل الشامل وعدل في العطف عليهم بين الايامى والارامل فعلقته قلوب الخاص والعام
كفة النفوس بوفرة الاستخدام ولما راى السلطان حميد اثره ورشيد مخبره ازداد شغفا
باثاره وحرصا على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جديد انعام ومزيد حفادة واكرام ووفي
خبر الاخوين الجليلين في موضعه من بعد باذن الله وتوفيقه ذكر التاهرتي الرسول الوارد من
مصر قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة منذ شحذ الله عزيمته لغزوات الهند محيا
لسنة ابيه ومقتفيا لنهج اثاره ومساعيه باخذه على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام
وماحيا للبدع المعترضة عليها في سالف الايام استبصارا منه في الدين واستظهارا على
قمع الملحدين بقراءة الكتب وتتبع القياس والدليل وسماع التاويل وعرف الناسخ والمنسوخ و
خبر الصحيح والموضوع وتلقن من اصول الدين ما لم يستجز بعده في الدين بدعة وراى كلفا لفقه
نكرا وشنعة ولحق الايمان في عامة الرعايا بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطل المنسوب

الى صاحب مصر ظاهره وباطنه الكفر المحض بتاويلات موضوعة تؤدي الى رفع قواعد الدين
ودفع معاقد الحق واليقين وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض
فامر بوضع العيون عليهم والصادق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا بين الذكور
وبين اوليائه والملتبسين لدنائه يعرف القوم بسيماهم واسمائهم فنص على عصابة منهم
مختلفي البلدان والاوطان واشخصوا الى الدار ورجموا تحت الصلب بالاحجار ولم يزل
يفعل مثل ذلك باضرابهم ومن كان يخرج له ذكر بالقابهم حتى تقطعهم الرجم والرض
عن بساط الارض وزعيم اصحاب ابي عبد الله محمد بن كرام عزيز الفضل كريم المحل مذكور بالله
ابو بكر والامانة البادية مشهورا بالتقطع على الفرق الغالية البدع الجافية فوافق راي
السلطان على احتياج من ركب بنيات الطريق وعدل في العدول عن سبل مخارق التمعن على
الوثوق بهم على صحة زعموا انهم ضلال لدخولهم في فضول القول وهذا المحال الحال فلكوا في
اصفاد الاحزن ونصبوا عبرة للناظرين وازداد ابو بكر فيما يقرب به من ظاهر المحابات على
دين الله والمرامات دون حرم الله وتطهير بيضة الاسلام عن كل ذي ريبة بعيدة او قريبة
خشية اطمعه في رعايته ايالة ليالي الامال رايه حشمة وضع الله عليها طابع الدين
فهي في جوار النجم علو مكان وسمو شان وكفاك بها فخامة وورد ما جرى في المروي ان الله
قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فاتفق بعقب ذلك ان طلع رجل
من بلاد العراق ينتسب الى الشجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر الى السلطان بكتاب

[illegible]

ويتردد في نيسابور مدللا لسبب النسب ومدليا بصلة الشرف فاستوقف الى ان انهى الى
السلطان خبره ووكل الى نايوذ في شالد صدره ونهض من بعد ذلك الى هراة ممتدا الى
الحضرة فامر برده الى نيسابور لتقرير ما تحمله على رؤوس الاشهاد وبراى ومسمع من كل
حاضر وباد صيانة لمجلسه عما عسى ان يضاف اليه من اخالة وستر مقالة القرامطة وبقي مدة
وفتش عما صح عنه من قضايا تعبها الباطنية واغاليط في الشريعة الحنيفية صح منها ان الايام
خباط الجانبين وعسوا بين المذهبين لا يوخذ في محصول ولا يوجد في معقول ومنقول وقام
الاستاذ ابو بكر من جهة مرسله تفاوتت فيها الفائدة فلم يوجد له على الناد الامتحان ثبات
ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات وما زال يضطرب اضطرابا لا يسد الى ان تبين
له انه قد اخطا في تحمل تلك الرسائل وحرم التوقف في تقلد تلك بسفارة وفضل الله ان
اشخص الى حضرة السلطان فلما وردها واستحضر مجلس جماعة باعيان الاسلام
وسادتها وقضاتها وفقهائها ورؤسائها وعزائها وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر العلوي
ومن قصته ان جده مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد الحسن رضي الله عنه بناحية مصر اوجه
ولا انبه منه ولا اغنى ولا اقوى عنه بمصر خطب اليه بعض بناته على ولده الى
منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل انه وجد في داره ورقعة فيها ان كنت من ال
ابي طالب فاخطب الى بعض بني طاهر فان ذلك القوم كفؤك في باطن الامر في الظاهر
قام من صفة خوذية بعض منها البطر بالاخر لان كورها خوريستان

ومحا

١٦١

وهي ام محمد بن عبد الله الميمون فاعتذر بان لا واحدة من بناته الا وهي في حبالة وتحت عقدة
فما دنا من اجابته ومتحرجا عن مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه وترفعا بنفسه
وضع عليه يد الاستقصاء بعد ان اودعه المحبس سنين وخبطه خبط العشواء وقال السلم وانتبه
عن قضقاضة الغنى غلالة العدم وهلك من بعد على يده فقال قوم غيب عن مجلسه فما يدرى
كيف صار امره واين جعل قبره وزعم اخرون انه هرب عن الحبس على طريق الحجاز فخفي
في الطريق وعند ذلك لجأ طاهر ولد الحسن المذكور الى مدينة رسول الله مستامرا على اهلها
ومعه ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر ختنه فلما مضى لسبيله وورث ابو علي مكانه من الامارة
الى ان الحق به وورثه ولداه هاني ومهنى دون الحسن لاستضعافهما اياه وتغولهما بالحال
والمال عليه فرحل هو نحو خراسان ملتجيا بجوار السلطان يمين الدولة وامين الملة وذلك
في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة فلما ورد التاهرتي بن عبدوس لاصغر الشريف الحسن شانه ووقع
فيه لسانه والى ان يكون له ثبات على وجه الرسالة وثبات على دعوه الرسالة وانساب الى
سفه النبوة وادعى عليه فساد الدين واستخفافه ضرب الوتين فخلى السلطان بينه وبينهما
يستنجزه لنفسه ودينه فقام اليه حيده فضربه غرقته في دم وريده وقد كان القادر بالله
قد كتب الى السلطان يمين الدولة وامين الملة بما تراقى اليه من خبر الرسول وما يقتضيه الدين
من التصلب عليه في تقدم الحد في الانتساب بالمسلم والاسلام فلما ختم امره بما تقدم ذكره انهى الى مجلس
الخلافة وكم التشفاء العذال فقوبل بالقبول بمقتضاه وصورة الحال

وجزى الخير على ما اتاه ودو   وبوخاه وكان حال الناس بحـ

كامل

ومن يشرب السم الذعاف فانه   بانياب المنايا النواهس

الذعاف كغراب السم

ذكر الامير ابو العباس مامون بن مامون خوارزم شاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان
مملكته قد كان ابو الحسن علي بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته وقد كان تقدم استخطب
خوارزم الى الجرجانية خطبة السلطان   لعدة الحال وتسديد اللحمة فاجيب اسعافا بها استد
استكفاه اياه وتوخيا لرضاه وزفت اليه من خطبه ووصل باسبابه سببه ودام التهادي بينهما
حتى صار   والامر لغير الاخلاص جاحد وعبر الحال على هذه الجملة
في الائتلاف والامتزاج الى ان قضى خوارزم شاه نحبه ولقي بانقراض الاجل ربه وورث الامير
ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان ان يعقد له
على شقيقته عقده على اخيه من قبل فوفا ليده في الطاعة بالاخلاص وثانية في القربة بالاشد
اختصاصا فشفع السلطان فيه داعي الكفاء واستجد الحال رونق الطراء وعقد عليها
عقد الخلطة بنفسه وفرع له فرعها من قلبه وخلبه وما زال الامر على جملة الاشتراك و
الاشتباك الى ان دعى السلطان داعي الاختبار الى سومه اقامة الخطبة باسمه ولينحو وسولا
بنتيجة العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه حرصا على الاجابة واعتراض الحق
الطاعة غير انه عرض حال على من حوله من اعيان اشياعه واتباعه واظهر انقيادا واصغا

ودنيا

وَاستكبروا استكبارا وقالوا لئن اخترت اتباعك والطواعك واسلمت الملك من الاشتراك فانا
اذا وضعت خدك وضعنا السيوف على العواتق خلعا لك وتمليكا عليك وجهادا فيك
فعاد الرسول الى السلطان بما راه عيانا وسمع بيانا وعدد انا واحسن القوم بجرة الدم من
وراء جراتهم على ولي نعمتهم بالقول الفظيع والرد الشنيع ودعتهم في الامر يومئذ باسكين
البخاري صاحب الجيش ونحو خيفته وتوامروا على الفتك به غيلة وما زال الوافي التدبير الى
ان دخلوا اليه ذات يوم على رسم السلام فاذا هو صريع كاس الحمام لا يدري كيف قتل ومن
اي وجه اليه يد وصل فبادروا العقد لاحد ولده وبسطوا ايدي الاصفاق على بيعته وعلموا ان
السلطان يتعصب للحادثة ويقصد قصد الانتصاف للقرابة فتحالفوا على مقارعته ان غزاهم
في عقر دارهم وبجزاهم عن سخوط اثارهم ولما انتهى الى السلطان خبر صنيعهم بولي نعمتهم وهو
قيم شقيقته وحامي حقيقته ادركته قوة الحفاظ للانتقام
فجاش لما هضتهم على حمية مسجورة على ابتغاء ذات الله مقصورة وكان سعادة اياسه قد
لفت اولئك العتاة البغاة ما اتوه استخفافا للنعمة وبراءة من العصمة وتمهيدا لعذر
قراه وبعدا في استخلاص مملكته كانت الى غزالية باب الاقبال من دون سياسته قارعة
وجره الجحافل الجبال الشابرة والبحور الزاخرة حتى اناخ بعقوتهم مستعينا بالله تعالى عليهم
واستنزالهم الى مناهل اجالهم وبيننا ورد صاحب الجيش الخوارزمي عامة قواده في كتيبة على
طلائع السلطان ان يلتهم الى التشديد والتبديل فطار تحت اجواز الليل حتى انقض على خوا

الليل محمد بن ابرهيم الطائي وهو خليفة السلطان في كماة الاعراب حتى انفض الكرى دروسهم
وشغل برد الصباح نفوسهم واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل وطعنا
بالرماح الذوابل وطار الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه الى معترك الحرب
وثبت الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى ان حمي وطيس النهار جاهدين في القراع مجاهدين
دون المساكن والرباع يظنون ان ظفروا وقد غدوا امن رباهم في جمود الانعام واردوا هم
من نديء الاكرام هيهات ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار وثانيها اجل النار
ولم يزل قائم على الكبد حتى اضجعت الخيول ثم الفيول رجالا حكموا حما الاقدام تصف اصلابهم
وانتهبا اسلابهم وفلقت بالسيوف هاماتهم وبضعت بها اجسامهم وانهزم الباقون في
خمر الغياض على شاطئ جيحون والصوارم من ورائهم تخطب ارواحهم حتى اذا اقتها اخطلها
الطلاق صداقا واستاسرتها خمسة الاف   دهاتهم عبرة للنظار وعظة
لامثالهم من الغدرة الفجار وركب الجدى   ظهر الماء موليا في الهرب
ومقدا خلاصه من العطب   ولم يدر ان خلة السوء تخزيه   واقدامه على ولي نعمته
تردبه وان حافر البير لاحقه ساقط لا محالة فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض اضرابه
منافرة حملته على الاستيثاق منه وبعث الملاح على استقبال المعسكر بوجه الزورق فلم يلبث
الامير ان حصل في يد السلطان اسيرا واحضره السلطان مجلسه بساير القواد الماثورين
ليسلمهم اياه استحلال دم صاحبهم من غير داعية واجترائهم عليه من غير وطائه فرحبوا

المستبسل

المستبسل المستقتل واما الباقون فسقط في ايديهم لا يدرون ماذا يريدون وامر السلطان
بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه و
صلبهم اجمعين عليها مع عدة ممن اتهمهم بالقتيل للذين عدهم ومقدما الناكبين عن قصد السبيل و
امر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بان هذا قبر فلان بن فلان بغى عليه حشمه واجترؤا على دمه
فقيض الله امين الملة ويمين الدولة حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين
واية للعالمين وامر بعد بالاسرى فوضعت الاغلال في اعناقهم يقادون الى غزنة دار الملك فوجا
بعد فوج حتى اذا حصلوا بها وقد امتلات منهم العيون وغصت بهم المحابس والسجون علم
بالافواج وفرض لهم في جملة ساير الحشم والاجناد ووضعهم موضع امثالهم من ديار الهند
يحمون اقطارها وينفون عن عيون العيث مناكبها واطرارها وولى حاجبه الكبير التونتاش
خوارزم فاقام بها قامعا نجوم الفساد وفاقئا عيون الغوي والعناد الى ان نضبت طبائعهم واذعن
للطاعة افئدتهم واستمرت تلك الاسباب في درة الاحلاب وذلك تقدير العزيز العليم

ذكر فتح مهرة وقنوج

١ ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انضاف كاحدى اخواتها الى
مملكته الموشحة باثار ولايته الموشعة باصباغ عدله ورعايته وراى ابن مخم صحيفة العام
بطابع الاستتمام اجماما للركاب في الركب وتقليبا للراي الغزو بين جوانح القلب فقد لا لى
كالشمس وقد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال والدنيا بحاشيتي المطارف و
عواشر المصاحف وعقود الحدائق وعقود المعطرات العواتق بدر اعمالها ويروي فيها ما صنا

احمى لها الى اذن الله لدفى معاودة غزنة منشأ اصحاب الفكر في غزوة مخنوق اعجاز القرآن بما تضمنه
من وعد الله المنان في اظهار دينه المرسوم والمرقوم لسيدنا البشر ومولى البدو والحضر
محمد تاج الانام وسراج الظلام صلى الله عليه وآله البررة الكرام على الدين كله وان سخطت
نفوس وضرعت خدود ورغمت معاطس وانوف لما كانت للشفرة قد تعدت عليه وعلى
اعوان دين الله الثائر بجحد آياته بنور هدايته اذ كانت الهند قد مخضت من ثوابها
واطرافها سيبا واتتها بأوملكت على ذبابها وسهوبها وشعابها فلم يبق الا ما احتمى بجبل قشمير
ومن دونها ضياف تصم عن كل غريب وصفير وتصل منها وفودا لرياح الا بنجير واتفق
ان حشر اليه من ديارها وراء النهر الى اقصى حدوده زهاء عشرين الفا من مطوعة الغزاة
قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين لجهادهم مسدين في ذات الله تعالى للاستشهاد
يخبطون الخان بصداق الارواح ويتأمون الغفران بجدود الصفاح فحرك السلطان
نفيرهم وذم النفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى رأيه ان يزحف بهم الى قنوج وهي التي اعيت
الملوك الماضية غير كشتاسب على ما نطق به تاريخ المجوس وهو كيش اقرانه وملك الاملاك في
زعمهم في زمانه فتا دومين غزنة دار ملكه وخطة قنوج مسيرة ثلثة اشهر بها ركاب العود
والخوالف السود واستخار ربه وسار وهجر النوم واستصحب من شهد من انصار دين الله
واعوان حق الله رجالا يتجمعون اشداق المنايا شوقا الى السعادة بالشهادة وحرصا على
الموعود من الحسنى والزيادة وعبر ماء سيحون وجيلم وجلندر وراهة وابرانه وستلد

سالما في سالمين وهذه اودية تحجل اعماقها عن الاوصاف ويمتنع اطرافها على الاطواف
منها ما يعبر عوارب الفيول فكيف كواهل الخيول وبهذه تقال الصخور فكيف خفاف
المطايا والظهور صنعا من الله تعالى لمن والاه وغزير وحرص في استدامة رضاه ولم يطأ
مملكته من ملك الممالك الا اتاه الرسول واضعا خده بطاعته عارضا في المحذية كهنة استطاعه
الى ان جاء جنكي بن شاهي صاحب درب قشمير عالما بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاسلام
مقبولا او الحسام مسلولا فاظهر العبودية عن خاطر التوفيق وضمن الارشاد في نابق الطريق
وجعل بين ايامه هاديا لكل جزع وواديا فواديا وكلما انتصف الليل اذن بالمسير خفوق الطبول
استوى اولياء الله على ظهور الخيول يتجشمون تعب الركض والسلوك الى ان يصبح الشمس عن
لدلوك حتى استظهر ماجون لعشرين بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما زال يفتح الصياصي
والقلاع مبنية على ذرى الجبال وحروف القلال بحيث تأملها مثال الاعناق ومن تحت
اليه نواظر الاحداق الى ان شارف قلعة برنه من ولاية هردت وهو احد الرايات اعني الملوك
بلغة الهند فاطلع على الارض اطلاعة وهي تموج بأوردين الله مسومة من فوقها الترايك
ومن حولها الملائك فتزلزلت قدمه واشفق من ان يستباح دمه فرأى ان يتقي بالاسلام
بأس الله وقد شهرت حدوده ونشرت بعذبات سنوده ونزل في نحو عشرة الاف صادين
بدعوة الاسلام منتفلين عن ولاية الاصنام فحفظ الله تعالى ميعاده واحسن بفضله
اسعاده ثم واستمد الوجيف به الى قلعة كلچند وهو من اعلام الشياطين واعيان اولئك

الملاء عن مدّ على الملوك تغر اقتصر وزبوا الى القروم بطرف اشوس وقد قضى في الكفر عمره
وغنى بهيبة الملوك وبسطة الامر عن تجشم بنفسه وسمو ولم يقصده احد الا وتدعه مغلولا
وعاد عقده ومطامع الوهن والانثلام مصون فلما راى السلطان قد قصده قصد وجرد
المجاهد ثم جهده رتب خيوله وقتوله وراء غياض لو رميتا بافراد الابد لا تنفذها الا ادحر
بافراد الشوك والشجر واغرى السلطان بر بعض طلائع جيوشه فثاروا اليهم يحرقون الاجام
خرق الاسناط منابتا للثغور بل لا نأى في مغاوز اليوف واعرضت السلطان مرتق
من فوق القلعة المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبروا السيوف لا بيض
ولا يد رفقتوا الجلاد مستقلين وتوصوا بالمنايا مستبلين والسيوف ما خذهم من
فوق وقدام وتضعهم ما بين لحوم وعظام وحملاتهم بينهما يتصل اتصال الكعوب يوضرنا لهم
تتوالى توالى الغيث المصبوب بخبر ان الله منزل الحديد في الباس الحديد الشديد هو الذي
اذا شاء قطع واذا شاء نبا واشنع كذلك سيوف الهند بنوطيا بعما وتقطع احيانا مسالة
الفلا فبد فان نالت من اعداء الله فا الاجر الا استشهاد دونوا بالمعاد وان نبت فلا اعجاز
القلعة واظهار العبرة ليعلم ان الحكم لمن كل محروس ومعصوم ومحروم ومغصوب وظل
الخاذل يتناسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم نابية وسيوف اهل الحق ماضية وحملاتهم واهية
وحملات اهل الدين ان ثانية ما هو الا من جفل الا نرو الا من زمر البشر هيهات ان وقع الحديد
بالحجر في الجبال والاخر في هولاء الا بطال حتى اذا مثل لهم شخص الطغيان في صورة الخذلان

وفر

تواصوا باقحام ما وراءهم من ذخراة المياه يظنون انهم تقيهم بابل الانتقام وتحميهم كاس الحمام
ولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يروي بكثير ما يحمي قليله لاجرم ان صفائح الشا
الفيلي
واقعت صفاح الدهماء فاوسعوا قتلا واسارا واغرقوا فادخلوا نارا ولعل عدد الغرقى
يزيد على خمسين الفا بصحو اطم الشور والضبعان واتوا تاما للتماسيح ودجستان وعمد كل جند
الى قتاله فاملك بها عرسه ثم كر عليها فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان وماته وخمسين
راسا من الفيلة الضخام مضافة الى ما نابرها المورد عليه حكم الاغنام من نعم الله الجسام وقسمهم
الراجحة على الاقسام ولما وضعت تلك الحرب اوزارها وحلت له الغنايم ارزارها عطف
الى شط البلد الواقع عليها رسم المتعبد وهو ثمرة الهند وطالع ابنيتها التي يزعم اهلها
انها من صنيع الجان دون الانسان ببلاع اساس وسقوف اعجاز وساط وحروف ذاي مانجالف
العادات وتعقوا روايا تها الى انها ذات بل المشاهدات بلد ابنى السور من صم الصخور وقد
شرع بابان منها الى الماء المحيط بها موضوع ابنية فوق شواهق التلال صيانة من مصادمة سيول
الماء ومعار غيوث السماء وعن جنبيها القصر سينة كنايس الابنية في الوثاقة مشتملة على بيوت
اصنام قد هندست مفاصلها اعراقها بمسامير قيادى سطوح البنا وتوازيها وذالها من الخرق
تحت الخفا وفي صدر البلد بيت اصنام يحكي او احسن ويجري مجرى اضرابها لا نفوق لا هيندي
الكتاب باقلام الدواة ولا النقاشون باطراف الخامات الى امثالها تحسينا وتزويقا ونقوشا
يخطف الابصار بريقها كانها فيما كتب السلطان بما نرى ولو اراد مريد ان يحكي ما يعادل اشباه هذه الابنية

يعجز عنها بانفاق مائة الف الف درهم في مدة مائتي سنة على ايدي كملة مهرة سحرة وفي جملة الاصنام
خمسة من الذهب الاحمر معمولة على قدر خمسة اذرع منصوبة في الهواء قد الصقت عينا واحد
منها بياقوتتين لو سيم مثلهما على السلطان لاباعهما بخمسين الف دينار ولا استنق فيه
دركاه ولا خلاصا وعلى اخر قطعة ياقوتة زرقاء ذبابية تزيد على الماء وبريق البهاء تزن اربعمائة
وخمسين مثقالا وخرج من وزن قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة الاف واربعمائة مثقال
وكانت جملة الذهبيات الموجودة من اجرام الاشخاص المنصوبة ثمانية وتسعين الفا وثلثمائة
مثقال وزادت الفضيات منها على مائتي الف قطعة لم يكن وزنها الا بعد التفصيل والعرض
على كفف القبان وامر السلطان بعد بنائر الاصنام فضربت بالنفط والضرام وجعلت
سعوتها مواطئ الاقدام وسار من بعد قصدا يروم قنوج وقد اشتق الفال لها من تصحيف فتحها
وعدا صنعا من الله ممنوحا وخلف وراءه معظم العسكر تطبيعا لراجال في الثبات نفر الزحام
وتبجحا له قبل اللقاء صورة الانهزام اذ كان امراء الهند على غلب قاهيا اسبابها الحباء
لراى قنوج اعتزازا بمكانه واعتزازا بفخامة شانه ولم يعبر قلعة من قلاع تلك الرباع الا وضعها
بالارض وعفى على الاسلام او السيف حاز من السبايا والنهاب والنعم الرغاب ما يعجز انامل
الحساب ووصل ثامن شعبان الى قنوج وقد فارقها راجيبال حين سمع باقدامه فراق من لا يرى
الهزيمة عنه عارا ولا يعتد الفضيحة   وعبر الماء المسمى بكنك وهو الذي تتواصف الهنود
قدره وشرفه وترى عين الخلد مغمرة ان احرق منهم ميت ذروه بعظامه وظنوه طهرة

للاثام

للاثام وربما اتاه الناسك من بعيد وحرق نفسه فيه يرى ان ذلك ينجيه وهو في العذاب
يرديه وفي الاجل يصليه ويجز به لا يميته ولا يحييه وتتبع السلطان قلاع قنوج فاذا هي
سبع موضوعة على الماء المذكور والبحر المسجور وفيه قريب من عشرة الف بيت للاصنام
يزعم المشركين انها متواترة منذ مائتي الف سنة الى ثلثمائة الف سنة كذبا وزورا وقولا
وعدولا عن سنن الهدى وكفورا بحسب قدمها كانت عبادتهم بها واجهاشهم بالدعوات
وقد شرد عنها اكثر اهلها خيفة الايم والتيتم وحلول النكر بالهتم القصم البكم فمن ناج
اعان بنجاه وثنا وامده ثواه ولم تنجه سيوف الحوارض ولا سماه ففتحها كلها في يوم واحد
ثم اباحها لاهل عسكره تنتاهبونها طلقا حلالا وتتناولونها قسما واذلالا وركض
منها الى قلعة المنج المعروفة بقلعة البراهمة وهم بقاح وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك
البلاد براح فتنبهوا للفراغ اشباه العفاريت عارجة والشياطين ماردة او مارجة
اعوزهم الثبات واعجزهم النجاة وعلموا ان ليس لهم بالمسلمين طاقة وان دمنا
لاسك   ووامن عرفات الجدران وشرفات البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح
استخفافا بالنفوس والارواح واستلاما لامر الله المتاح لا جرم ان السيوف اشربت الارض
دماءهم واطعمت النسور اشلاءهم كل المنايا اصابها ومن خطب اليها لم ترد او لم
تجد من كفاحه بدا واخذ على نفسه ذلك نحو قلعة اسى وصاحبها المعروف بجندال بهور وهو
احد ابناء الهنود وارباب الجنود ولم تزل ذا منعة في الملك وسعة في الملك مغرضا

فموج مغارها ومكامنها ومشارعها فلم يزد على ان تعرض لبابه ويبكل على الجبنة دون انزواله
هذه القلعة غياض متكاثفة كاعراف الجياد ومتداخلة كاشفار الحداد لا يستجيز الافاعي
بينهما للرقاة ولا يستبين البدر فيها للسراة وقد احاطت بها خنادق قعر بها الحجار فصحا الدوائر
الحالة النور بالرياض فما لها للسلطان عنها انفراج ولا لمن دونها انفراج فلما شعر المذكور بزحف
السلطان اليه كواكب دولته ومواكب جملته فتح قلبه في نفد الحذار وحس تفضه وكان ذنب
الفار وراى الموت فاغرا فاه فلم يملك الا ان ولية قفاه فامر بقلع قلعته من اصولها وتغور ها
على من بهم انقاضها وقفى اثاره وعفا رسوم نضاره ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون
حتى علم الكافرون انهم الخاسرون وكان المخذول يذكر ان اعوانه من كماة المقانب وحماة الاشام
ودعاة الكتائب تجنيه ما هو فيه حتى راى عسكر السلطان بين تلك المشاعب اثاره بالقنا
القواضب في الهواجر كالحباب فعلم ان ضربا للاعب خلاف ضربا للثاير الغالب وفي
المليح غنى عن الناشب فانفصل السلطان امر جندا بالدوا ذا امره ومحمر الداء العضال
عطف على جند راى احد اكابر الهنود في قلعة شرده وهو يظن بنفسه ان القائل يعنيه بقوله

عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

فقد ذهب بها عن ان يعطي غير معتاده او يلقي غير المقتربه اذا كانت الاخبار تذكر في منصوب
وانه ضمن حازم وابن حازم عادة وكانت في غابر الايام بينه وبين بروجيبال منازعات
ومخاصمة عن خطوط الرقاب قداست حتى اسلحت رجالا واصطلمت ابطالا ثم قام رستم الحرب

بهـ.

بينهما فاضطر الى التوادع والتكاف حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب بروجيبال
اليه ابنته على ابنه بجمال استدامة للالفة واماطة للفرقة واستدفا للفساد وبستيمقا
للسيوف في الاغماد ونتج ابنه اليه على تجزء عقد الوصلة وشرها الاشناج في
اللحمة والاشراك في البيت والنعمة فلما حصل الختن في يده جعله تحت قيده ومقيده
وطالبه بعوض ما ذهب له على يده والده فعجز بروجيبال عن قصد قلعته واقتياض بضعته
واستخلاص ابنه من اسار محنته غير ان المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت
رايات السلطان على تلك الحدود وسفر صنع الله له في المقصود بعد المقصود فانما
بروجيبال يهو خدا احد المتعززين بحصانة المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المعاقل
خلاصا للمهجة واعتياصا بن عمه على من هم باقتصاص اثره واما جندراي فانه استعد
للمدافعة واحتشد للمقارعة اعتزازا بوثاقة قلعته وثوبته بقلعته واذلالا بمنعته
ولو وقف لاخلعته فراسله بهيمال بان محمودا ليس من جنس اكابر الهنود وامراته
رجالهم السودان السلامة من مثله بغنيمة والجيش باسمه هيبتهم وقد راينا من كان
اقوى منك حكمة واعلى كلمة لم يقم بضربة من ضربات حدوده ولم يقف لجنود من هضبات
جنوده فان رايت الافتضاح فشانك والخلاص ففرضها استطعته مكانك فعلم
ان النصح الذي قد نصحه وانه انما لقى الحق فضحه فرجا انقالة دوافيا الدخرانية
امواله نحو جبال تناغي كواكب الجوزاء وآجام تواري خلال الارض عن عين السماء وو

بوجه مقصده ولم يرد ابن ساروس اي الاقطار طار وامتطى الليل امام اقتعد النهار وكان
غرض النصيح المظلوم في تغريبه وتهريبه اشفاقه من حبالة الاقتناص فيام من كلمة الاسلام
باسم عامه واقاربه قبل حين اضطر الى الاستئمان والاستسلام فلما احاط السلطان
بتلك القلعة واشفى بها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعدها وتوسع
منها في علف كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير لم يتهمه الموجود وقد فاته الكافر المفتو
وضاقت به الارض دون طلبه وانتزاعه من يد مهربه فاقتص اثره وركضا نحو خمسة عشر
فرسخا بين منابت اشجار تصك الوجوه قذبيها وتساقط احجار تصدم الحوافر فتحبسها
ويحق القوم لليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وقتا لقيتهم وهم يطاوون مجاهل الارض
هبوطا وصعودا ولا في التجار بحضرموت برودا واهاب الى اولياء الاسلام وابناء الصلوة
والصيام باقتصاصهم واذراع الظلام باقتضائهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على
الكفر بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل ان يمسه حر الحديد واسير تقييد قبل بلك المقيد
فاما الاموال فانتجبا دون الارواح وسترا دون السلاح وغير الجراح لا يعبأ بها
او تشفي النفوس من غزو الكفار وعبدة الشمس والنار فظل الاولياء يتبعون طرايح
المخاذيل ثلثة ايام تباغا تنفلا واغتناما حلالا لا يبعد ان يجمعها الكفار جراما فاما
الفيلة فمن بين مقهور ومردود ومتطوع بالعود الى السلطان محمود الطافا من الله تعالى
يتيح لهم غنائم الاموال حتى يسوق اليهم بهايم الافيال لا جرم انها سميت خداى اورد

١٣

شكر الله تعالى على الهام ما لا يمسك بالمقامع ولا يملك في المرابع الا بالحبل المولوع ان
يأتي طوعا فيهجر الاصنام ويخدم الدين والاسلام ولقد احسن من قال

قل للامير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا   سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو سار عطاف النجوم حوته في التجميع سعدا   او سار في افق السماء لانبتت زهرا وورد[ا]

وبلغ ما رده من خزاين الشاربها الهاربين بيا وفضة ويورقيتا وفحمه وقرابه بعيضه قرابة ثلثة
الاف الف درهم واما السبي فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاشيا على رد احدهم
منهم ما بين درهم الى عشرة ذلك فضل الله دخر ايام السلطان يمين الدولة وامين الملة وحي الملي
بتمام الدولة يوم يقوم الحساب والحمد لله خير معبود ومحمود وله الشكر على ما اقربه عين محمد
محمود ذكر المسجد الجامع بغزنة ولما عاد السلطان يمين الدولة وامين الملة على هيئة النصر الموكل
لفتح الكافر المغتري الكلا بعد السما الزهرة والمشتري الى دار الملك غزنة وقد كاد يفيض
سيبها على عدد الارقاء من العبيد والاماء حتى تستفرغ عليها اكياس التجار القادرين اليها
عن نوازح الامصار ونوازع الديار فحصل وراء النهر الى مراتع العراق ومبادي الاشراق منها
ما خلط بيضهم والسود احب ان ينفق ما افاء الله اليه انفال اولئك الغلف الاغتال في عمل
بريع جدا ويرتع الى الامر الاحتسا بعناء وكان قد امر باختطاط سعيد من ساحة غزنة
للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديما على قدر اهلها حيث عدت من رمعات البلاد ثم شحوط
دار وشطون مزار وتوافق عود من مضر بحصول المراد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران

علي ابنيه نصب بذل المال لعلي الصناع كما صب ماء اطال يوم القراع ونصب لشاد فيهم نظرا لغا
الحضرته فهو يطوف عليهم مطالبا بصدق العمل ومعانيا على دوم الجد حتى اذا   التم قلبه
الجبل اقام انس الموازين ناطقة بالانصاف وواز نتها بانحراف فيمكون بين اجرين عاجل على السلطان
منقود وآجل على الرحمن موعود ونقل اليه من اقطار الهند والسند جذوع توافقت قدا
ورصانة تناسبت تقديرا وثخانة كانما استودعت رخام الاردن لامر معلوم وتجمعت
بلعمارها اليوم محتوم فجاءت ولا الحق كما لا لعدل استقامة واعتدالا تلتئ عليه الملائمة
والسداد وكان بجاحما فهي لا تنتهي ولا تكاد وقد فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق
ومضروب بسجن على تقطيع الربيع اشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وعقدت عنه
منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقطة المراكز فلو عاش سنمار لعد في جنبها اعمد الاهرام
العاجز فاما الاصباغ فطبع روضة الربيع ضاحكة الورود باكية الجفون لتوقف الابصار
وتقيد النظار واما التذهيب فحسبك بان صناع الروضة قد عزت عليهم الحقائق ووضح
لهم تكليف الاطاق وليس بصفائح الذهب فقط لكنه صبابات الذهب الاحمر ازيغت عن صور
الاصنام المجذوذة والبدرة الماخوذة فطفقت تعرض على النار بعد ان كانت الالهة بزعم الكفار
وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالخضوع والعناق اوليس الذي يفوق على جدران المساجد
عزة للموحدين وغيظا على الملحدين اتم سماحة واكرم راحة فمن بعد معبود او نصبه للنفع
والضر مقصود انعوذ بالله من رتبة شوارة عار وهو محتاج الى شعار ويجزي الله عن الاسلام

ملكا

ملكا هذه افعاله واعماله وامتهان الروح والممنوح في سبيل الله ذابر واذا بر نعم
قد افرغ السلطان بخاصته بنيانا في المسجد مشرفا عليه مكعبا لبنا موسع الفنا متينا
الزوايا والارجاء فرشه وازاره من الرخام كدت عليه الظهور حتى نقل من ارض
نيا بور وقد احيط بكل كرخام مرقعة من الذهب الاحمر مكللا بالدرر وردف
تفاريج من الوان المنثور والورد من زهرها بعينه نقلها للبناية لا استحسانه لا زال
هذا الاستاذ ممنعا ببنيانه الامن راى مسجد دمشق فراعه مراه وشاقه النظر حتى شاء
وقضى بان لا يوجد شرواه ودونك هذا البيت تلزمك المثوبة وينعكس عليك
القصة ويقبلان لحسن بعض صفاته والابداع احد سماته والغال الهند من خدم
نقوشه والهمة العليا قد طمحت بعروشه وامام هذا البيت مقصورة بتفاريج عليها
منصوبة لسبع ثلثه الاف غلام متى شهده للغرض اخذ واماكنه منها صفوفا واقبالا
على انتظار الاذان واضيف الى المسجد مدرسة فيها يتمثل بنوها من بساط الارض
الى بساط مناط السعوف على قضايا نيفا لا تنهزا الماضين من علوم الاولين والاخرين
منقولة عن خزاين الملك الصيد نقرها من ديار العراق وبقاع الافاق اتقنوها بخطوط
كفرايد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد تتشابها
فقهها دار الملك وعلماؤها للتدبر والنظر في علوم الدين على كفاية ذوي
الحاجة منهم ما يعمهم جراية دافقة ومعيشة حاضرة وقد انقطع من ذا الامارة

الى البيت الموصوف طرقوه بفضل الله من ابتذال العيون واللوامح واعتراض الرحال
من بين صالح وطالح فركب اليه على فور سكينة وشمول طمانينة حتى يقضي المكتوبة
ويقتضي الاجر والمثوبة فاما سائر دور الحجاب وقصور القواد فما يثق بحقائق
الاتفاق عليها الا من اتاها اعتبارا او شاهدها اختبارا فيرى ملء الاباطح ابنية
تزف على الهضبات شرفاتها وتكاد تغترف من نهر المجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوي
على مرابط الف فيل تشغل كل منها بسياسته ومرابيته ذا دكبيرة وخطة وسيعة ان الله
اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد وهو على ما يشاء قدير. ذكر الافغانية ولما قضى
السلطان وطره الغيظ بغزنة واقبل الخريف بتخفيفه وسمح الوقت بمحاضر ريفه
وقد كان طوائف من الافغانية المستوطنين قبل تلك الجبال الشوامخ والوعار
البواذخ تعرضوا فعل القطاع   لحواشيه منصرفه من غزوة قنوج اعتزل
بمنا عذا اماكنهم وحصانة مساكنهم وتظنينا لخفاء افعالهم والتباسها بمناكبس
اعمالهم راى ان يلتقم منهم بركضة يبيح عليهم اوكارهم ويملا جيبهم ويخضب بدماء
النحور جباههم فعزم على ماد بروجم على ما قدره وورى بنهضته نحو احدى اقطار
ببغتة ثم ركض عليهم في خاصته وكفنا صبحهم في مراقدهم فلم يشعروا الا بحر الصفائح
على برد الصباح ضربات تعطف الرؤوس عن النحور على الحجور كما قال ابو تمام

صرع الحصر عكان جلودهم   طليت بها الشيان والعلام

فالى

فيا لها نبهة امتت عليهم الرقود والحقتهم الاعود او تشهد يوم اليوم الموعود
فكم من جثث فوق الاعلام ورؤوس تحت الاقدام حتى اذا استلحمت السيوف اجسامهم
ولم تستبق الا ايامهم وايتامهم كف كف الاقتدار وعلا ذروة العز بالانجاد
وعادت تلك الوعور سهولا وكان امر الله مفعولا وعطف الى غزنة مملا الجلى
الراى بين ان يشتو بلخ مستجما ونعما بالسنة في القرار مستمتعا وبين ان يركب ثنيته
بمنيته في غزوة يشبع بها ضباعات الكفر على دبار الهنود بجهز اعلى من كان يضرب
بذنبه في حجرهم كالوزغة المتخنة لا يلبث ان يموت فابت عليه حمية الاسلام ان
يتربع على القعود حرصا او يستبقي في مجالس الاغماد بعضه فثنى عنانه نحو الهند
في رجال يرون بنهي الشهوات صهوات الخيول وتصوى اللذات ملاقات الفحول
ويحتزون بالظهور اسرة مرفوعة   موضوعة وبالهموم زناجين
مقطوعة وبالاجن الطرق صهباء مرشوفة مرصوفة وبالعرق السايل ماء الورد
وبالقسطل الثاير مثار عبير وفتات ند وبالليل سكا وقرارا وبالنجوم فدامى
وسمارا فمن بهم تنسبفان اباهم المشرفيات بوابل ومنها تهم الرواغبات
فواتك ولعمائمهم القتير دروع واخوالهم الجبال فوزع نحوض انها رها نجد
وذافع يا يجد وادوية هاوية لم تضرم قط عين غرقا هاوية وعين الله ترعاه
كل سعي بعاد حتى اقتحم مغارات اولئك المغاوير بل ديارات اولئك المدابير

فظلت زوايا الفلا يضجون بالويل والثبور ويضج النوق رواجع ببيت الله المعمور وما زال
يصفح السلطان عمن امن واطاع ويفحص من اظهر الامتناع بعد ان اصاب غنايم لا
يضبطها حساب ولا يطيعها ما. ولا تراب حتى انتهى السير به الى ماء يعرف براهب غاير
المخاض حمى القرارة كالخضخاض يبتلع الخف والحافر ويقطع الدارع كما يقطع الحاسر وكان
بروجيبال من ثلاث الخيرة في رجال كالصخرة وافيال تحت الاديم وقد اخذ من قانح اركنه
حذره واسند الى زاخر النهر ظهره ورام ان يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام
الغمر جمهوره حتى اذا اكتحل الليل بقاره مر في ذمة استاره مرور من وان على جاده
ولما علم السلطان ذلك من قصده وراى استعداده واحتشاده لصده امر بالاطواف
فحشت للعبور واهاب الى عدة من غلمانه لركوبها مثل الامر تثبيته منهم يبتدرون العدوة
القصوى ويلتزمون كلمة التقوى فلما راى بروجيبال استقلال الماء بهم رماهم بجميع
من فيلته المجففة وفوج من رجاله المصففة فاراد الله ان يحقق قول نبيه الامين
ورسوله المؤيد بالتمكين حيث قال صلى الله عليه واله وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فاقحم ثمانية العدة ان استوقفوها
على اماكنها حرزا على اطرافها تلك الاطواف بالنبال وغزلها بعدو وجناة
اولئك الضلال محجرة لم يسمع مثلها قبلها ثمانية تخوض سبيلا وتدفع فيلة
وخيلا ويدر من لفظ السلطان عند ذلك البرهان ان قال من قدر على السباحة

فجز

فليتعب اليوم للراحة فاذا هو بمخاضة ومعظم عامته خايضين والصعاب راكبين
فتارة يسبحون بالاطواف واخرى يسيحون الى الاعراف حتى لفظهم النهر سالمين لم تبتل لهم
جنيبة ولم تعطب لهم حريبة ولم يذهب بحمد الله سبيبة وحمل السلطان بأجمعهم وقد نزلوا الى الظهر
حملة توزعتهم بين عفير سكران من عقار الحدود واسير خزيان من اسر القيود لقد

وطريد نحاف وقع القواضب   وقتيل تهوى عليه النجوم الثواقب

فصار مما حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتان وسبعون ثقال الاجسام كثقال الغمام
كانها صنع الجبال عند طارقة الزلزال وصار الكافر هاربا لا يملك غير نهار ولا يقدر تاخيرا
ولا تقديما وقد كان السلطان قبل ان لقي الكافر ولبس جوشنا للدروع والمغافر اخذ فالا
من كتاب الله تعالى يخبره عاقبة ما ينويه فخرج له قوله تع عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فلما حقق الله تع له وعده ونصر بفضله
جنده فمن على نفسه ان يفي بواجب حمده عدلا برفه الايتام وغزوا يوقد الاسلام وشكرا
يفيد الانعام لاجرم ان الله تع حافظه وحاميه ونصب اغراض اماله وامانيه ولدى
يلحقه من ثواب المعاد اربح مقادير واوسع مكاييل واوزن معاييره ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن
محمشاد والقاضي ابي العلا صاعد بن محمد وما انتهى اليه امورهما بنيسابور وقد كان ابو بكر
مرموقا بعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكان ابيه من الزهادة وحضه الامراء
على العبادة واقتفائه بنهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين سبكتكين

بحر من عصابته في الزهد والتعفف لترتب التقشف ما قل وجود مثله وكثير من فقهاء
الدين واعيان المتعبدين فحلا ذلك في قلبه كما حلي بعينه والمجاهد في الله محبوب
وقد يكرم اهل الشفاعات من اجل ذنوب واشتمل السلطان بعهده على تيسيره في ملاء خطيم
بعين الاحترام وايثار طوايف الكرامية بالاكرام حتى قال ابو الفتح
البستي فيما شاهده من نفاق اسواقهم   الفقه فقه الشافعي وعلما الدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يؤمنوا   لمحمد بن كرام غير كرام
وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه لما ورد جيوش الخانية
خراسان عند غزوة السلطان ناحية المولتان قبضوا بنيسابور على ابي بكر احتياطا
لانفسهم من معرته واحترازا عن غامض مكيدته ونقلوه في جملتهم حين خلعت رايات السلطان
من مغاربها واومضت سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجد منهم فرصة الافلات والنجاة
على تلك الآفات فاعتد السلطان ذلك له في ساير مواته واوجب له حقا لحظه بعين
مراعاته ونبغت من ارباب البدع الباطنية على ما تناسبه البلاغات والله اعلم بما
يجنه الضماير والنيات قوم وافق تصلبا من السلطان في استيصالهم وتعصبا للدين الله
واحتسابا له فحشروا من اطراف البلاد وصبروا وصلبوا عبرة للعباد وكان ابو بكر
احد اعوان السلطان على رايه حشرا اليه وتصويبا للراي عليه فصار البريء كالسقيم
مذعورا وعاد المدلي في عارض الخطب شورى وراى الناس ان يبقوا السم القاتل

ومدت به السيف الفاصل فبخعوا له بالطاعة وفرشوا له خدود الضراعة وانعقدت
له الرياسة في لبسة الصوف ولحظته الخاصة والعامة بالمرجو والمخوف ووجدت سوقا
للاطماع بعلة الابتداع فاسترابوا الناس واستعفوا الاكياس فمن الظ منهم بمكاشح
بفساد معتقده او يعطي الجزية عن يده وعثرت على هذه الجملة سنون لا يطمع لاحد في
تبديل شكلها وتحويل فادح الحال عن اهلها ولا علم بان الزمان بتغير الاحوال
ضمين وبالخلاف على صورة المعتاد رهين ومن على الايام راى الرفيع وضيعا والخليع ضجيعا
وصادف من سموم الفظاظة الحاد وصقيعا وانفق للقاضي ابي العلا صاعد بن محمد الحج بيت الله
الحرام سنة ستين واربعماية وهو الامام المرموق والزاهد المرموق والفاضل الجزل والباذل
المحمل قضى اكثر عمره على الخط النفيس من ثمر الدرس والتدريس يتطفل عليه الاعمال فيابا
وتنصب اليه الاعراض فيزري الخيار فيما عداها ومن حاز شرف العلم يشتري ثمنا قليلا او لعدد
به خطا وان كان جليلا فما حصل بدار الاسلام وانهي الى القادر بالله خبره في حجه بيت الله
الحرام قوبل بما يقتضيه حق الاسلام من واجب الاثرة والاكرام وظاهر التوقير والاعظام
وعضد بالكتب الى السلطان فيما تقرر من حاله وفي مهمات اوجب الاحتياط شرحها على
لسان مقاله فلما عاد امر بوجيه شخص الى حضرة السلطان بغزنة بعرض باصحبه وقرر بما
تحمله وادى حق الامانة ما التزمه وبرز الاستاذ ابو بكر يجري في مجلسه ذكر الكرامية واطلاق فيهم
القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى للبلوى بذاته الكريم فانفذ السلطان لهذه الشبهة من

مقالهم والعوراء من فحوى جدالهم ودعا ابا بكر سايلا عنه وباعثا صورة الحال عنه
فانكر اعتقاد ما نسب اليه واظهر البراءة عما احيل عليه فسلم مع الانكار عن مس العتب
الاكابر فاما الباقون فان الكتب قد نفذت الى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم فمن
اظهر البراءة عن قول الشنيع واعتقاده الموجب للتبديع ترك ومنع من عقد المجالس
للتدريس وتشرف المنابر للتذكير ومن تصبر على وعوده ولم يخبر لنفسه سواء جعل
مغناه عليه او ودلسانه دون الفضول قصرا او خلع السلطان على القاضي خلعة فوق
جلالة قدره وذخارة بحره ورغانة امير المؤمنين لحمته وابعاده تمهيد امره وصرف كلا
منهما حلة على الاتباس والتفخيم على اعين الناس ولم يزل غصته قول البجم ناشبة في صدر ابي بكر
يضارع الايام على فترة المكافات بها الى ان استتب له الامر في عقد محضر على انتحال مذهب
الاعتزال وتنجز خطوطا من الاعيان قوم سلكوا فيه طريق المساعدة او تنفسوا فيه عن وغرة المنافسة
فغيظ ما لا يطاق دادخيل وهم على سير النفوس نزيل واحيل في عرض المحضر على السلطان
استفسار الصورة تدبير فوقع التزوير موقعه من الاحفاظ عليه فرأى ان يبحث عن صورة المرفوع
في احقاق من صور وابطال من زور وانهض قاضي قضاته واوحد ثقاته ابا محمد الناصحي الى
نيسابور من لم يتذكر احدة اصطناعه والجذب الى العلا بباعه انه استخصه على طراءة شبابه
لحلتين قلما توجدان في فروخ الاستنان فضلا عن احداث الشبان والفتيان وهما
العلم والعمل اخوان ذوبهما الذهب والياقوت والتحرز بالكفاف من القوت واتعاب لقربه

ذا الملك

١٧٢

ذا الملك للتدبير والفتوى واصباح الناس من ساطع نوره في التقوى حتى اذا ابهم كالبدر
طفح بالفضل مكياله وولاه القضاء على القضاة في عامة ديار مملكته ثقة بتقواه وانسا
بورعه ونزاهته فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة ونقاء وروضة الحزن ديمتها
السماء عشاء وامر بان يتحصن القاضي ابا العلاء صاعدا وابا بكر الاستاد في وجوه الرقوق
واعيان المشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى المذكورة على رؤوس الملا من
غير محاشاة او جنوح الى مداهنة ومناباة فقابل الامر بالامتثال وقعد في غرة العلم
لحشمة الملك وهيبة الجلال وسائل ارباب الخطوط عما عندهم من قضية الحال وجلية
المقال فاما ابو بكر فانه اراد ان يتلافى ما بغى في الخطب فزعم ان الاشتراك في رتبة العلم
احدث بينهما منافسة تنازعها معها مذهبي التجهم والاعتزال فلاح ما ينسب اليه لا تقر
وما ادعيه عليه واما الاخرون فمن حاد عن حكم المساعدة في المماناة والمهاواة حادد ومن
لثام الاحتشام بالتصريح واطلاق الدعوى باللفظ القبيح مكاشفة عدة الشهادة الى
التعصب وتجاوزت حد المعلوم الى التعصب في سعي لذلك وجوه اهل الراي حتى كادت
تثور فتنته لولا ان هيبة السلطان اجرت الالسن الطوال وضربت على النفوس البطان
والانخزال وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال وتقرير صورة الحال واتفق ان تحين الابهة
ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان فرصة القول في باب القاضي ابي
العلا فنبه على سمته وسيماه وانبأ عن ورعه وتقواه والتمس على سبيل اللطف

ان تقع بتلاف القصاصة وتدارك للمهابة الطارية عليه بعرك من يتصدى لمكاشفته وتعرّض
للاستفساد مكانته فوثق به السلطان حدس ان ما عدا حل ان يعتقد الاعتزال وامر
باشخاص من اشتد بمراغمته ومقابلته بما اقتضاه حكمه وفاجره واستخلص القاضي قرارة بيته
فلم يكن يبرز الا لفرض يقضيه واعلم يمليه مجتزيا بالله تعالى جده عن غيره ومقتنعا بما ادرّ
عليه من خيره ورأى ان بقية العمر اجل من ان تضاع على القيل والقال وخدمة فضول الامال
ومزاولة ما يصم قدر العلم بالابتذال واستناب ولدين له كالفرقدين او الشعريين ابا
الحسن وابا سعيد ومشكوعنان في المروة ودضعى لبان في امر النبوة واحكام ايات الله المتلوة
في قضاء الواجب واحتمال النوايب ففرغ له من حقوق الناس وفرغ لعلم النظر والقياس وحظي بمثل
ما ابتاعه ابو الفتح البستي من خاله بقوله قد جمع الله لي دهري بافيه عزي وحسن حالي بلاغ علم
مساغ شرب رفاغ عيش فراغ نفس واطلق تمادي الايام على نباهة ابي بكر وارتفاع مكانته
واتباع حشمته ومهابته وانبساط ايدي حاشيته في الاموال والاعراض اهل ناحيته واستمرار
العناد بينه وبين الاشراف فجرت السن الجمهور بحضرة السلطان بما طعن من حاله وبعض من حج
خيالة واد لا اما فاعبله واعتمادا بن عمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله
فتدارك الاحتمال لمدة من الزمان مديدة ومحافظة على الصنيعة من الانتزاع والغاية من
الارتجاع والقا على الحبل المرموق في الله من ان يلم به الحفاظ او يتخلله رباط حتى اذا جاوزه الاحتمال
حده وامتنع المستزاد وبعد عقده السلطان رياسة نيسابور لابي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد
كان

وقد كان جده في دولة آل سامان مجدودا وفي جملة الاعيان والثناء معدودا واثره
فيما بين اثار الرجال محمودا ووافق ابوه ايام السلطان اول مقدمه خراسان وانتصابه
منصب صاحب الجيوش بها لآل سامان فاغتبط خلقاهما على مناسبة الشباب وعرف
السلطان له حق الخدمة والاصطحاب غير انه اعتبط شابا يافعا وكانما بدا وكل امرئ
يوما مداه الى الردى وكان يضرب بابي نصر احمد بن ميكال لقرابته وامر مستجابة فنشا
في جملته نشاة المقبل وخرج خروج قدح ابن مقبل واحدث له شكر النعمة حشمة وصفوا
الخدمة اباه واوباه وهمته فلما مضى ابو نصر لسبيله انحى السلطان ما له في كبير و
لا دقة وظرفه ولباقته فاستحضره ليخبره فوافق اولى النظرة قبولا وطرفا بمورد الاعجاب
مكمولا وازداد على طول الخبرة وعلى سوق الخدمة نفاقا فنما نمو الانشاء اصطحابا
التدبير ولقحها التأبير والماء النمير حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه الرغبات و
الرغائب وقابلت حشمته حشمة ارباب الجدود وسادات الاقلام والجدود وكان غرض
السلطان في عقد الرياسة له ان يقمع به من انعقدت له يدا للبالة والتعدد وسابقة
الترتيب والتمدد فقد زان الذي خطي به معقودا لدين فلا سبيل الى حله ولا عاق ابله
المستهلة ويرجع به الى ما يوجبه حكم النية ودفض المراتب العلية والمطامع الدنيوية ولما
وردها امتاز اهلها سياسته وعاش اليها زياد لعاد على سياسته بعين استنزاله فخففت
عليه حتى مهد بها المجادب وسكن حتى دب بها العقارب وهدى شعب المراكب وسكت

حتى دوى المذاهب كانما اقبل به شفيفا الشتاء فلكل سآمة اوطانه في لوجار الحجار وبالفنا
استناد لقد بث عبد الله حرفا انقام على الليل حتى ما تدب عقاربها ان هيبة السلطان
هي التي خطمت اللهاميم وحطمت الاقاليم فلو وكل بعض همته بزواسي الجبال لاصبحت منقوضة
وبطوامي البحار لغادرت منزوفة ما خطر خطة بينه بجاعز لرشد تام وبين عندها عن قصد
الثواب بنهاو نابه ومن احس في جنب مثاله فضن عون العدد وحكم الملك الدوار على البشر
الى الله ان يجد على دحر المريد بنشها باو يمدح على سوى المجهول ذهاب في نظرة الرئيس حواشي المقتو
ينبوع منهم ما اخذوه شئ واحتسوه وتروثا وكبث ثم نقلهم له بعض الصلاح عبرة لمن ادل
بالله واظهر الزهد ثم لم يتوكل على الله وهم بصناجهم فاخذ حذره وادخر من دونه سره
ولم يقصد السلطان قصد استطالة ونقصه عن فضول ماله وترك من وراء الحجاب على
قدم الزهاد وقصص الطعام عن العادة وعطف من بعد الى جانب الاشراف العلوية ذوي
الاقدار العلية فاشعرهم ان حشمتهم بالطاعة موصولة وحرمتهم بلزوم القصد وترك التحدي
الحد مكفولة فلعقوه بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال علما بانه امر ظل الله في ارضه
فما يحنى منه غير الانقياد والميل عن الغلو الى الاقتصاد واستخلف على الرياسة عند
الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن مراش وهو نصرته بقرابته الى السلطان لانقطعها
عليه صيانة له من تعيير الكرام وتريب الرجال عند ذكر الارحام فطوع له قيادة الاحرار و
اشراف الكبار والزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا ويخصوه بطاعة جملة وتفصيلا فمن دوم

الغز

انفه دون طاعته شريفا كان او مشرفا ونفى عن بلدة وعرى عما يجده فتخضب النية الاعناق
واحدقت بفنائه الاحداق واستتب له رياسة لا عهد لاحد بمثلها عن رؤسا خراسان الا
ابا عبد الله العصمي فانه لم يبلغ مثلها لكن على عمر عديده وعز عديده وابن شديد وخدم وعبيد
وما ل ينادي على العفاة هل من مزيد نعم وفرش في زمانه بساط العدل فقواعد الاخفاش
كرجلاة الزوة والزمايش اشتراكا في الانصاف وتعصب سوق الاحتساب بالعرب فوق
الاكتاب فمن بدعه مرفوضة وريبة مخفوضة وحدود على مقامه وعيون دون الفضول منامه
وبطلت معها الحانات والمواخير وخرست العيدان والمزامير وركدت الحال الى النائحات في
السكارى واستوى في الانجار والليالي ذمما ودا آلاء الاستار عن النساء والعذارى
فاما شوارع اسواق البلد فكانت منذ بنيت غيابورفضاء لا يكنها غطاء ولا يظلها
دون السماء سما متخرقها الاعاصير بادرة وتروعها الامطار تارة اخرى فاما التراب مثارا
واما الامداء بلوحا واطا دو لم يفطن احد من ملوك خراسان تسقيفها وتبييضها وتنظيفها عن
الاقذار وتطهيرها حتى ورد الرئيس ابو علي فطالب اهلها بروسامهم الخنوف في واجبه فلم يمض شهران
حتى سميت نحو البنيان سقوفها وقامت على دكاكين الاعوا دهرونها فمن بين منقش
ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومغوف تنفتح منها فرج يقلد منها ضياء النهار
على الابصار ودون ما يوسع لذوو الغبار ويمكن لذوو القطار وخبر ابا العبر
استغرق قدرا لعادة ما تتلف دينار عن طيب النفوس وفضل الكيوس لم يكلف

عليها احد ولم ينكره دون المنال فيها بل عمّهم المبالاة وشملتهم المباداة فانفقوا
موقنين ومستبصرين ولا نفسهم على العجز دون المراد مستقصرين فمن نسوق
تاسعا او عاشرا الى مرادنا او ثانيا ودالى الكامل قدّا له وترك على شغل النظر اشغاله
فيا له من سمك شاخص تحت السماك وزائد افلكا ناما على الافلاك ولما عاد
الوزير الى الحضرة وقد رحال ما تولاه ومن عزله ومن ولاه وافق هوى السلطان
ورضاه فضاد فيه تقريرا وتمكينا واحادا واسعا مستبينا وافاض من نور الموجود
على المستخلف المحمود فازداد قوة على احكام الرياسة وانبسط يدا وباعا على شرايط
السياسة وسنورد شرح ما يتجدد من هذه الاحوال ان اراد الله وتدبيره ذكر الامير صاحب
الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين رحمه الله قد كان السلطان
لما ملك خراسان واخلاها من شرذمة السامانية عرف له موالاته اياه وهجرته فاسمعيل
ناصر الدين اخاه اعطاه الحق الكبير واعتقادا قاتلوا جب الغرض فولاه نيسابور ومن صحابة
الجيوش الاكابر على وجه الزمن الغابر سادا به مكانه من قبل اذ هو شابن الجهو في مذهب
هاتيك الامور ومن وضع اخاه موضعا قد سدّه قبل بنفسه ورآه اهلا لبعض قدره فقد
بالغ في البر والتوقير وخرج عن عهدة التقصير فوليها سنين على حميد السيرة في الخدمة
كريم الفعال في سياسة الرجال وجرى على يده من حميد الاثار في طاردة الى ابراهيم المنتظر
عند ركضاته وكفايته ما كان يطرح من معرته وشذاته ما تقدم ثم راى السلطان ان يخ

يميله ويصل لمشاهدة حبله فاستدعاه واهل به مستجمعه ومقراه فلم يزايله بمجال ولم
يفاصله في خلوة حلّ وترحال وكان يرام في مقاماته تداول من سمح بروحه في المحاماة على
دين الله والمراماة دون حق الله ووقاية اياه لمهجته ان كشف نحام او عظم على حوب
حق الله الالتحام شفقة تجيش بها لحمة القربى ووشيجة من الرحم الدنيا وكان ينصر مذهب
ابي حنيفة اعتقادا ويرى الاستمساك به رشادا فامر ببناء مدرسة بنيسابور في جوار الجامع
ابي العلاء صاعد بن محمد وانفق مالا حتى انتهاها وحبس حباس على من اواها ودرس
باهله العلم في ذراها فبقيت تذكرة عند تقديم بالعلم وقراح وتثنى عليها الامسا
والاصباح ولم ينقم السلطان دون اثامه منه قولا ومحالا ولفظا دون الصواب
مستحالا ولا شكا لاحد من الكبار له جانبا وفعلا الاشفاق الرؤس على الاتباع
مجانبا وقضى الله ان خانه الشباب لما استوفى امده ونفض بنان الامل فيه
يده فلحق بابي احمد الغفار ان الكرام فليلة الاعياد كتبت في مرثيته رسالة
سلكت اثناءها في ذكره فضلت انكان في ضمنها ما بقي شرح حاله وتعرف بعض خصاله

وهي هذه

آه من حسرة على الارباب　　آه من سفرة بغير اياب
آه من مضجع الامير　　فوق فرش من الحصا والتراب
نصر بن الامير ناصر دين الله　　صدر الحروب والمحراب

صاحب الجيش قدوة الشرف   تاج الفخر غوث الكرام والكتاب
الا يا ايها الموت فجعتنا   بماء الحيوة وماء الحياء
فماذا حضرت به حاضرا   وماذا حجبت لاهي الجفاء
نعاء نعاء شقيق الندى   اليه نعيها قليل الجدى
وكانا جميعا شريكي عنان   رضيعي لبان خليلي صفاء
نعاء يا ساسة الرجال   ويا سادة الفعال
يا اعيان العلوم يا اخوان النجوم   يا شيوخ الاسلام يا عيون الكرام
يا احرار الزمان يا انصار السلطان   نعاء الى كل حي نعاء احل ربع الفناء

اتدرون اى ركن انهدم واى حد انثلم واى عقد انفصم واى سوار انقصم واى دوحة ذبل واى نجم افل واى بحر نضب واى طود حصب واى خطب نزل واى نصر رحل والله نصر بن الامير الجليل ناصر الدين الامير ابن الامير والشهاب ابن الاثير و البحر البصير والحبر النحرير والعنبر ابن العنبر مخ الملك وعماره وركن العز وعزه ونور المجد وغراره وغارت به بحور الادب التي استعذبها الشفاه وضلت قبله العلم الذي وليت شطرها الجباه وعربت دوحة الكرم التي تخبطها العفاة الفضل التي خدمتها الكفاة وطلعت كريمة البر التي درس عليها التوحيد وغذى بها اليافع والوليد واجليت عليها فواضل النهار وحليت عواطل الاشجار ود

فنون

واقشعت سماء شام ابناء الدين بوارقها وخاب بحراب الكفر والمجود صواعقها فلا نار ولا ماء ولا خوف ولا رجاء فاصبح به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان مسبوقا وبناء العز منقوضا ولواء المجد مخفوضا ودمع الدين مسفوحا وطرف الاسلام مجروحا واقبل العلم في صورة المفجوع وبزة الخشوع يقرمط خطوه وينفث الى اهله شكوه مغرقا في صعداء تذوب بها جوامد الدموع وتنفك عليها مناظم الضلوع فلو غير المنون اتاه اليه اخوه بالبيض بل والله يمين الدولة الملك المرجي صباح الدين مصباح المفاخر ولكن القضاء له مضاء يذل العز مضربه المناخر الا يا صاحبي سمعكما الى

لوكنتما مسعدين وخامعا الى كلتي اليدين الما على نصر وقولا لربعه

سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا   فيا قبر نصر انت اول حفرة
من الارض خطت للسماحة مضجعا   ويا قبر نصر كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا   بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا   فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا   ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى
واصبح عن بين المكارم اجدعا   لئن جاز للموت ان يغصب الامير نصر القلاع

ان اعصمها مغنا وابن معن من شقيق ملك الشرق وسائر جمهور الخلق والقاعد من قنة الفرقد على الفرق سلطان الزمان يمين الدولة وامين الملة من انت لغرته القرم واستكانت

لهيبة الترك والروم ففي بعض خصاله الف معنى لو يرقا لينة من بهمته ساق ووارث كوه
بين خاص وافاق وقد فضح ابن بنان في جوده وفضله بالسخاء عن موجوده ثم لم يعرض له قط
صيانة لنفا له دولة يعترف عليه من بعد ذهابا بعزها لرجاله ها ان الامير نصر اورث العز اباه
ولم يخدم مدة العمر الا اخاه ولم يثنه غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب في فلول الاسياف عن
قراع الكتائب وقطيعة الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى في طاعة السلطان ولي النعم شتا
بين القران والتفسير والايمان والتذكير والعلم بالصلوة والقيام والفرق بين الحلال والحرام و
سحر الورى بطرفها الغاز ودس الحلي جدالنسنا قد اقتسمنا يا من شرايط السلم بالتمر الثغور او الحرب طاهرة
السور فاما المغافر والبواتر واما المحابر والدفاتر واما المحاضر والمنابر واما القماطر والمساطر
فيوما في جحيم الغضب ويوما في نعيم الادب ويوما بين ظلال السيوف ويوما بين مثاقف الحروف
رفيقة اذا احتج رج رفيقة اذا احتج رج ودقيقة ونديه اذا احتج حكمته شريعة فكم من دنا
الهند له من وقايع انطقت الحديد واخرست الوليد وسكرت البنوق وخرقت العروق و
غادرت بيض الزجاج في حمرة الليل وحصنت الحرب عن شبلة الكحيل وكم في نوادي الفضل
له محاسن تلتم اطرافها الكلم وتعشوا اوصافها الامم وتسجد لاعقابها الحكم وتاوي الى برد
ظلالها الكرم وقد غنيت بذوب العقول عن صفو الشمول وبجلوا المقال عن كعب الغزال
وبعز البراهين عن نزه الرياحين فالخليل على ذكره محشور وكان سيبويه من طيب نشره
منثور وائمة الهدى عليه عكوف وملايك العرش حوله صفوف فمن صحيفة بذكر فضل

منثورة

منثورة ومن اخرى باقلام العدل مسطورة لا لغو فيها ولا تاثيم الا قيلا سلاما وحتى كالعمر
البشير هذا بانفس عليه الدهر كان ان الدهر غيور وعلى عقايل الزمان حسود فصرعه
كيادا للنظار واضجعه عنادا للاحرار شاغلا عن الجود يمينه وعن السجود جبينه عن
الذكر لسانه وعن الغزو سيفه وسنانه حتى اذا كان يطمع في انعاشه
وقد دري على معيار الفداء باضعاف جثمانه فجعه بروحه الطاهرة ونفسه التي لم تعد
الا النعيم الاخرة فسحا على العمر النضر ما كان غصن شباب وانطفت فصل خطاب واكرم عود
نظار واحفظ حق ذمار واوثقه بالدنيا دار قرار فكم هنالك من سطور مهتوكة و
دموع مسفوكة وجيوب مشقوقة ورؤوس محلوقة وصدور مكلومة وخدود مبغال البيت
ملطومة

رمى الحدثان نسوة آل حرب   بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا   ورد وجوههن البيض سودا

حتى اذا انتشر دار الردى عليه وقربت حمولة البلى
اليه ثار عن اكناف الحمى   كانما زعم قبل بهود الاما
فكان الشمس غربي من حجو البراب   والارض غرقى من دم المقانا
والاذان موقورة من نقع العقاير   والابصار محظوظة من نقض القدار
وقد غدت الوجوه مسعورة للنظائر   والجموع محشورة للاعتبار
والعيون في الحجيم تجري سواقيه   وجود لا تندي ماقيه

وودت النجوم لو صادفن ليلا فيدعون ويلا وتناوحن على المصاب خيلا فخيلا وياما
الليل فلقد احسن فيه من قال وان ركب الادنال

لقد بكت الليالي في حدادها … لموت القوم مصباح الانام
فاشخاص النجوم الزهر منها … تحم من مدامعها السجام
فمن اسيفا الى ربع الحنو سايو … وصاير الى يوم الوداع خاير
من كان مسرورا بموت اميرنا … فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه … بالصبح قبل تبلج الاسحار
يخمشن حر وجوههن على الفتى … عف الشمايل طيب الاخبار
قد كن يخبان الوجوه تسترا … فاليوم حين بدون للنظار

فانا لله وانا اليه راجعون من خطوب تركت القلوب شعوبا واوهنت الاكباد ثقوبا وكلمت النفوس كروبا وسخت العيون غروبا ونضحت الوجوه قطوبا ونزت منا الاصلاب ابوبا وسارت شخص العلى الى فرضة البلى فريدا وحيدا لم يغن عنه جوده عليه جوده ولو بقيا لاعتمد قولوا لم نيا ضاده ومن يرده وكهولة خلدانة فاتح كاء ما ترك كما قال

كأنما ودهت على عرشه الوفا … كما وهت حين اثقالها النعم الرغاب
فليس نسيم المسك ريا حنوطه … ولكنه ذاك الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه … ولكنه اصلاب قوم تقصف

بل

ايا ويل العفاة من بعده ما حالهم وما فعلت بهم امالهم لقد انقصم والله محالهم وانقطع دون هاتيك الموات حبالهم ومحالهم كاني بهم غادين على ساحة كانت بالابواب تنشبك وتلتزم وبالافواه تستلم وبعثير ركابها يمسك ونحلة ستاركانها بتنك قد انفرج فلا باب ولا بواب ولا حجاب ولا حجاب يسالون اين الامير وما فعل السرير واين الحاجب والوزير واين المنادم والسمير وما هذه الوحشة المستطارة والغيرة المثارة والطلعة الشاحبة والغبرة الشاجبة يقولون ركب الامير يزور اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف على ثراه ويعتذر من هجرة طال عليها مداه افمن ركبت للسلام يخذل ابوابه وبعدم بوابه ويعزل حجابه ووحش منابرها انزل الركوب فتى المعاد يقولون ميعاده والله لمعاد ولم يرد عروشه بالامس ممدوده وعروشه محضوده وجياده مهلوبه وسروجه مقلوبه وانا ما هجوعه وابكي بينا ماه فوق الهام موضوعه هنا لك نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقعدوا وعقدوا دونه البيت مناحه وندبوا عين الورى دبا وضاحه وكرما وسماحه وافكانا كما اسفر الصبح وابرز كنه الكليم مغداة ومراحه يعتبون على الحجاب وقد غدوا في بيض الثياب وبنزع السواد وقد كذب الحداد الان احوج ما كنتم اليه تزعمونه هلا خالفتم الرسم المحبوب ولبستم لبسة المنكوب ودفعتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب يا قوم ليس بياض الثوب زينكم وقد فجعتم بولي كله كرم جميعا عليكم فضل لبستكم ان الحداد على المفقود ملتزم فطفقوا يتناشدون بينهم عتبا على الزمان وودا وندبه للفضل والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا بك كل ما تخشى الرجال بليما من ذا الذي ترجوا هو وفاك
بعدما غادرت نصرك في التراب رميما من كان اعذب شيمة وسجية والذ مكرمة واطيب حيما
ومن العجايب في العجايب جمة ان لا تلام وقد غدوت مليما يا دهر ما لك طول دهرك تبقى ومن
المعالي بارضاء وحيما يا دهر ما للشا لكرام اولى لتهمي ماذا يضرك لو تركت كريما لئن
سر الامير اباه بلقياه وشجى غلة لوعته وصداه لقد ساء اخاه بان عدم مثواه وافقد
مصبحه وممساه وكل عبد الى نواهس الارض ونواهس التراب بقاه لكن ما يصنع وسيف القضا
احد وحكم السماء حتم لا يرد ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القاسم النور المبين تماما
وخير قيس ما بحلته بابنه فلم تغر وجهه قيس بن عاصم وقال في النغري لا شعث وخاف
عليه بعض ملك المايم ابو البلاوى غراء وجثته فوجر دم فلو سلوا البهايم
لا در در الموت من وقاح وقرن كفاح ما انشب نابه الا افترس ولا انج مخلبه الا انتهس
سواء عليه الملك المحجب والسلطان المغيب والفقير المستضعف والقوم المتصف

الا تعس هذا الموت كيف ارتقى الى ... حمى قصره العالي المنيع الجوانب
فمر على تلك القنابل والقنا ... وجاز على تلك القواضي القواضب
عجبت له والموت ليس بمعجب ... وفيه اذا فكرت كل العجايب
لعمري لقد جاء غزا على ... ذهاب النفوس واغتيال الكتايب
وفيهم فتح الحصون وانما ... سواهم الزراف ناميان الزراب

وبصره بالقتل في غزاته ... ودمى الورى ما او افتراس الصحاب
فكر عليه شدة الليث وانثنى ... كطوف فحول الشوحول القرايب

وعجيب الامور في حكم المقدور ان اخترم الماضي برد الله حفرته وبيض غرته حتف انفه
على اخطاره وتنفسه في قحم الحتوف واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد
حين دنا اجله اذ قال ما دون حروب منه عقلت فما في بدني معقد ابرة الا وفيه ضربة
او وخز طعنة وها انا اموت ستة الحمار ان الحكم الا لله الواحد القهار وكلما اشبهنا
به اما ان خالد لم يدر ان سيف الله لا يقتل بالسيف وكل القتل دون الاشبان
من خصائص الجيف ان الله تعالى لما جعله اكرم النفوس منافس قبض له

وقد فرغ ابن الرومي من هذا المعنى فجود ... وبيض وجه البرهان بما سود
ان لم يكن ظفر الهيجاء ملته ... فاكرم النبت يذوي غير مختضد
لا ترو في الغرس لا تذوى كرايمه ... الا على سوقها في سالف الابد
لمنه السيف قوم يشرفون بها ... ليسوا من المجد في غاياتها البعد
عن الحيوة وعن الموت ما اجتمعا ... اسنى وابقى لبيت العز ذي العمد
موت السلامة للانسان نعلمه ... وانما القتلة الشنعاء للاسد
لم يعد السيف ظلما في ضرايبه ... فلم يسلط عليه كف ذي قود

ولعمري ان الوزير قدس الله روحه كفاطرة النجوم شاطرة على الرجال على النجوم غيران

الماضي ناصر الدين سبكتكين انار الله برهانه من خدمته وتمهد عنده من ال دونه غرست
ابناء ذلك في التقرب الى الوزير شمس الكفاة والتكفل باداه والتجرد بارضاه ما رجعت على
الايام ايراق شجره وايناق نوره وثمره بعد ان صادفته من اثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته
وما نشأ من كرم المجد في نادمته فراى عند فضولي اليه وعرضي موضع الكتاب بحضرة عليه ان يسمي
ما التقليد ويسيرني الى كنج رستاق على البريد وعليها فرعون بون ابو الحسن البغوي النغوي
شيخ ظاهره نور وباطنه ديجور ومنظره متن السيف ومخبره دون الزيف واول ما يحول الغائل
ولحزه قرون الاسل فافتتح مورده عليه باستهانته لم يناسب حشمة الامر ولا حرمة
الاقلام والمحابر يومهم من جانبه مبعوث ومن اخوان المجد موروث وقد كذب ان
الزعاق من بليغ الشرب محال وورائه محجات الاولاد حلال وما علمنا ان موالاة
الابناء معادات الاباء وان والا ايكاشح ولده ويطوى على الداء الابن معتقده
حتى بنا غض من رافقه او عاهده وضرب على وجوب عقد الموالاة يده وسامني
خيانة الدين لو وطاءت على كبائر تعلق الرقاب وتوجب في عواقبها العقاب حتى
اذا علم ان مثلي لا تقر على الباطل ولا يرضى باستبكال اليتامى والارامل دام كاذي
يعرفني في درد وروبيته في تهوره حتال واكتال وحرش على الامر الاشبال
والى الله لعلم بعباده الا ان يحق برمكيدته وينكشف عن اهواء الزور وابطائه
الغرور وقصيدته ولما آيس عما رامه دانس دون جرده له اهتمامه واعتزم على

ان القاضي ابا العلا اوسار شيعته والشاربين من زلال شريعته او من الاجرين افساحا واشد
على برود الاسجحان اربابا طافقد كان عرف الله تربته لهم ظلا ممدودا وشربا موردا وكهفا
مقصودا ولواء على نصرة الدين معقودا ولولا ان الاجل وكره سدته المصاب وعلة
الاكتاب بملك الشرق وسيد الغرب وحجة الله في الارض سلطان الزمان يمين الدولة
وامين الملة اطال الله بقاه وحفظ على الدين والدنيا بهاه وسناه فغني بقاءه عوض من ظل فنا
وخلف عن كل غائب وغارب لا تسع القول في عظم النعي وقد ذلك الشهاب المضي والمقاب الاسنع
غدون النعم فيما بقي بحمد الله نعم صافية اللباس نامية الغراس ناضرة الاكناف خالية الاذى
فلا زال فضل الله عليه عظيما وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما ولا خلف عنه الزمان
يتيما والهمه الله فيما عزاه داجة الصبر وعرفه فيما غزاه فاتحة النصر وبقاه ملاذ الوهم موا
تحفظا الذيلة تلك ملكه وتقريرها في حق الوجوب في قبضة ملكه ورحم الله ذلك الاسير
العديم النظير الجليل الفقيد المثيل والبديل رحمة تبرد ضريحه وتقدس روحه ورويحه
عرف للساعين في الذب عن دين الله والسعي في سبيل الله والفرض من مال الاولياء الله
وعوض المشايخ السادة عماد هام فاوهام ثوابا يحفظ عليهم دينهم وتنقل في موقف العدل
موازينهم وجعلنا من المستعدين ليوم الدين ان يحكم الله بقرب الخلي والخلق فيه شرع واخر
للاول تبع ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح اخبار السلطان من قصد
الوزير شمس الكفاة واقتفانا نحو الخدمة والموالاة مقسوقة اذا الكتاب فما سلف من ايام الاب

هم

استنزالا لشمس الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي عليه في معرض التشويه موهما اياه انّي
صغواني من ناظرة يوما على رتبة المقابلة اوداز نته بمعيار الموازرة والمماثلة علما
منه بان حمله لا يستخف الا بعدا لتاويل وان دابره لا يستنزل الا بمثل هذا التحيل
حتى نفذت فيه رقيته وعلمت في استنزاله وخلته فتشرب حقدا تشرب الارض صوب
العباد والكف من وشم السواد والثوب من صبغ الفرصاد اولون الحساد وعلم الله
انى لم اخم كدرا على الصفا واستبرحوا في ارتقاء او استجز غلطا لصعدا وطا على عين
شريعة غيري من بكى عن نجح الوفا وعتب دون فرض النغا . ودع حق المنعم المثبت وورد
المحرر على قرارة القليب ونزعتي عما قلده في بغدم من اهل جرجان لا يعرف الرشد
من الغي ولا الظل من الفي ولا النشر من الطي ولا النقد من اللي ولا الاثبات من النفي
ولا جرجان من الري شوهة بوهة قد ضيع من طول القناة وارزقه البراة وصفاته الصفاة
وليقة الاوات وتحجر الصحف بالعشرات طالما خر على العثنون تيمما للتراب وتكففا
للعصا في الجراب وتصرفا على العكس بالحروف وتهجيا للالف بنقطتين من الحروف وطفق
بعد ترنضح لكنة عجمية في شعر كشعرة الموصوف بوثارة الصوف مستجها كل صراف واسكاف
وعطار وبطار على سعر صفقته لا وكس اذا السلعة قد نهر والجلة رابحة والحالة وافقة والسبحة
ممطورة والنخلة مابورة وغيرنا ما ناعله هذه الجملة في لوقمة ولو ناحة ثم انجح خراسانا
بضاعة المزجاة فوافقت على النظرة الخرقاء قبولا ولبست من عز العطاء غرة وحجولا

فما

فما نغصها التامل علم ان خرق الانتقال ضيع المال واورث الوبال فاهمل
محل ولا دعود رتق فلله شعره مرذولا الى ان عرض شمس الكفاة نفسه فاختاره على
ونقد معه بكيده الغبوي لغوى فتصدت من المكروه في الروح دون سائر الممنوح
بما لولا مكان الامير الاجل ابي سعيد مسعود ابن يمين الدولة وامين الملة
وفضل احسانه واستنقاذه اياى من فجوات شدائده باحد غلمانه لزاق الخط
احوالي ما نثر بلا فيه وتعلق دهن الحجوة بما فيه ولو كنت علمت من سيرة
الغبوي قبل ما عرفته بعد لا سعفت من جواره واحترست من ساقط الجاره ولكن
المراد بعد الله لا يكشفها الا الاخبار والظلم في خلق النفوس فان تجد ذا عفة
فعلة لا تظلم وكتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتقرير
هجاياه ما هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم لجماعة ارباب الصناعة وعظماء
اعلام لاصابة من مبادي الاشراق الى اقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار
المعروف بابي النظر العتبي رسالة تخص كل حاضر موجود وتعم كل لاحق
مولود ما سمع للحق اذان واطلق على الكفر عنان ونبم في حسام وانتم
على كتاب الله نقط واعجام سلام عليكم ما درق شارق محضوب واداق
بارق سكوب وورد على الاياس ذكر في حومة الحرب فادح بعبوب سالما
تمهد على نفحات السحر فضاته وثم على فتات المسك والعنبر ادوانه ما تعلل

فان الله تعالى جده باذا نعمة التي تبتلج للنار ساطعا وتبتهج للناظرين وشاحا
معلمة العدود معددة الخدود مظفرة القرون منورة الشؤون مغلقة العوارض
مدبجة المعارض مخضبة الاطراف معطرة الاردان والاعطاف منا على عباده
ابتداء بفضله حكم كرما وابتلاء لاثارهم في جنب نعمة تعمها فابدها شوم الجحد لان
دسائفها لوم الكنود والكفران تخالط ابناءها شومة المطالع منغصة الفانع
مردفة المكاشر مفلصة لشافة معولة المعرب الحاصر فهم بين اخلاق مذمومة
واخطار مثلومة واعراض مكلومة وافعال تعاجل العار واجل النار محتومة
وقد تستجل النعم باعيانها نعما منكورة كما تستجل المحن على اربابها محنا مشكورة
تطبعا على خلق المكان وتورعا على عادة المقصود بالاحسان كالجب بعطن
من قوافح الندود المعطرة والمحو ندقو من روائح الحشوش المغرة والمزن يسقط
على عرصة الروض فيوليه طهارة ونضارة ويهبط على فروقط الكلب فيعديه
نجاسة وقذارة والماء القراح يسقي عروق الشجر فيقضي عليها باختلاف الثمر
يقبله كل منهما على ما كتب له من مرارة وحلاوة ومرارة وحرارة وكما قرو لطافة
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل قدرة من المبدي الاول
الموجود في الازل ان شر خلق الله نفسا وشيمة واخبثهم قدرا وقيمة من يضيفه
صنع الله ديان من ماء الطلاقة نشوان من صهباء اللبانة فينان من خلل الحيا

مبثان في حلل الراحة حتى اذا احط رحله وخالط بالبشر للخصب اهله فراه
من بوس الخصال وعبوس الملال وضرة الاستبدال ومضرة الابتذال ما بطره
واضجره وهيج وادعه ونفر ودوده ونعقر عليه فرحل في سواد الحداد شاكيا سوء
الجوار وحمرة الدمار وذلة المقدار وغلظة الاكباد والاصهار ثانيا على
ثنية الوداع صلفة متمثلا بقول القائل نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت
على اقوام لا يليق الغنى بوجه ابي على ولا نور بهجة الاسلام وسخ الثوب والعمامة
والبرذون والوجه والقفا والغلام ولولا ان العقاب تبع للخطاب وان الثناء
على الاغراض محمول في حكم الاعتبار ونص الكتاب وان مجاز الشعراء غير خاف
الكتاب ونزواها عن مظان الاستخفاف من كرام الرجال غير ان المقصود فيها
بالكرامة وقد قابلها بالاستخفاف وكا يعقله في جوارها بغير الانصاف اولى
بان تبقى عاجل الغضب وتصيبه اجل اللهب فكم من وارد ماء اشربه غيره وقدح
زند احرقه سعره وشاحذ حد قطع به وريده وراكب جواد قصم عليه جيده وقد تختلف
مواقع النعم من اربابها على شبهها من صادرات ليه ونيلها فمن مالك تبوء اخباثه
وقبح اثاره عليه فالاحداث فيها احسن حالا واذين من الكهول الطاعنين
في الاسنان والشيوخ الخالبين اشطر الزمان فلبس من فرح وحلت وسبك وسبره
واخذ على وجه الاستبصار وتوقى كالعزام تحفة هواجر الاسود والغمر لم يودعه

ذوابحوا الدهور والعقل لم يتدبر الحادثات باحوالها والمجرب لم يوجب الوجال باكمالها
وقد سعد الشادى فى طول الجهالة بالشهاب الذى هو طليعة الحبوة وسريعة
الشهوات واللذات وان نابى العقل لم يضرب عقالا وصيقل التجرب لم يحكم على
متنه صقالا وان الراى برعومه نقيقها كالجديد بن بيدر ندود شمس فطلع ثم تغور
وموسم زمان يتفتق فيه النور والنور وان الشباب شعبة من الجنون وان قلم
مرفوع عن المجنون الحدث الغر كالعجماء جرحها جبار وجميعها دون جنايتها هدر
فما بال من خلع لبس الحداثة ووضع جلباب الطراءة ولجلل نهار المشيب عنانا وفنى
عمايم الوانا سوداء واحمر وسحق مفوف واحدبونا بعد ذلك مجانا وكان
لو ان يجبوا عن قهوة البطالة ويترل عن صهوة الاسنطالة ويسكن بضحك المشيب
راسه ونضول الانفاس عن قرطاسه وتمحى اللوم فى عطانه وخمود القوى
به عن قيامه واضاعه على جماد قدمه وافضاحه بعثار قدمه وتذا برهان الله
تعالى عليه بانثلام محجته وانقطاع حجته وانلاح الشار اعنا فيها الالتفاطه الخطا
هادبا عن طرقه بجحبر العمى فى سبيل الله والصم دون امر الله خبطا فى لبل
الخبال وحطبا فى حبل الضلال ودجوعا فى حافرة الخسار وولوعا بقابوه الاثار
وخلاء فى شطن العود والغلو واباء الا عن النفس الامارة بالسوء فلا ورد
الشيب مثوبا بدنس الحبيب ولا نورث افاحى العذال الا على كريم الفعال

فانج

فانجح ما اخلاه الطرف يوما ضياء الشيب فى حلل الخضاب نعوذ بالله من غضب
الرحمن وختم العمر بطالع الخذلان وتعريضه لشيب لا يجيك من اسناره ويكشف
من اسراره ويلحق من تواده ويحرق من نوره بناره وعقم اقمار الكرام واجواد
الانام عن مصرع الغوى بالحسن المغوى ولد الاحبال وسلة الاغفال و
جراب المخاريق وجراب المخاليق وعقرب الغرب وبلع الاكاذيب وشبكة
الذليل وذبيق المموه ودراية القريب ومقراض المغيب وافة الجود وبوائق
الموعود وحرباء العناد الايجاد وكيمياء العناد ويربوع النفاق وبعوق
الشقاق وحصنة العقوق وفارة الفسوق وثعلب الخداع وخنزير الفضاع
وسكين الارحام وشرب الدم والحرام ولعل بعض من يتصفح هذه الالفاظ
منسوقة والاسجاع مجموعة ومفروقة يظن بها ركوب الهجت فى حلبة الاقدار
المضد فى طاعة الاهجار ادلال بنضاض البلاغة واعمال الا المقراض السفاهة
بالفضاحة وغدو على غرار الشعراء فى استعمال المجاز واغفال التحفظ والا
اكفائه الالتفاء هذه المساوى السود فى شخص قد دوشى على نضار بعيب
الزمان دبرب واكل على طمى احواله وشرب ولم يعلم ان الله تم اذا خذل
من شاء عباده لم يبق منه الاحماء مسنون وجلدا على اخلاط الفساد معطوفا
وعلى شك حافرة الشك عن واضحة اليقين بالافصاح عما لهم والاصلاح

عما اظلم لغفلة الانام ونبه الشاكلة الاستعصام ونبهها على منزلة الاعتزاد
بظاهر النعم والانخداع الظاهر الاغاطي والقسم فكم من صبغ بروق العيون نور
وبروع النفوس مشهوره قد قطف عنا فيه دروس واداف ابادنو عروق دم
المنايا عن عسل من الانياب دوق ومن شهاب كالخط بالذهب الابريز كان
اوحل عن معقود اللواء راكب لسوف الانضا رضباء ممدودًا وبها بافق السما
معقودًا وقد زين طارد بطواره وهمّ من رام النجم في جواره وكلف الدقلى
بعين الناظر مجدده ونفر عن عقيق الورود برجده ثم هو الداء والمحبوب لمن جرب
والسم القشب لمن فكر واعتبر ولولا ان قصد الشريعة لن يبيح مجرها على العموم
وتكافاء بين الكافة في فضلها المعلوم واباحة الكتابة التي هي قيد العلوم
وصيد الحكم المبثوثة في الرقام فعلت لله در سياسة العجم وفخر افذاذ الدنيا
والقلم حتى عنوها دون ذوي الاستحقاق وخدورها الا على الكرام العتاق
للدور انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالدون والسفل فهم ان يمسّو بعدة
قلما وان بذل بني الاحرار بالعمل فما كل نجد طالما هاه في مناكحة الاداب
وملاة في مناجرة الكتاب ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ولا كل دزود
يصلح للعين جلاء واضيع شي عقد نحر وجد بكف ضرر وخطر يجب قبره نفس
على بنان قابوس يرها ان المذكور معيكي الاحرار بجر اسان دناءه بهمة وقاة

فتية

فتية وخساسة مفعول وخصاصة معقول نشاء في بيت الفضل والنعمة ونما على
فراش اللين والنعمة فرق عليه نعيم النشب وعبق به نسيم الادب فاصبح فحل
لصوب الصواب في افعاله حيدرًا محلم الاعجاب في امثاله نظن به وبعض
الظن اثم ان الفرع الى الاصل نازع والغيث للغيم مضارع ولا علم يقضي بان
النار تخفوا من زناد ماثل والخمر تطفو على عكر سافل حتى اذا ايفع وابنع حلته
نذالة الطباع وخباثة السنخ بحث به الطباع على عقوق ابيه [illegible] به الى السلطان
فما يجوبه وابلغا ما لم يا ملاكه واملاك ذويه فامثلت عليه قبل الاستحقاق
ماله وضم محاله واحال وفجع به امته وكانت حبالة واجزة كاسه فطفق يرى
النون دموعًا ونفضى اجل الكتاب محنضة وجوعًا ويزجي مطايا الاسحار
بين برد البأس وحر الانفاس بدعوات لم يرجع مجانبها الا بقاصمة الظهور
وحالقة الدين لا حالقة الشعور وعطف بعد على من طلعت عليه شمس والده
وورقت عليه اغصان نوامله فحبهم نجب السلم وفرضهم فرض الحلم وعركهم
عرك الادم وفرهم نشر العلم فغا دواعي من الصخر معصورًا والسيف مشهورًا
والغصن مخبوطا والدجاج على السفود مربوطا كل ذلك بين يديه وبصب
عينه حتى اخمر ثرة الارض ندبما للزفرات كظما بالحسرات غريقًا في العبرات
شرقًا بماء الحيوة وعقد على مال الخطة بكنج سياق عقد الثرى برملها

واخذ بطيبهم بما بايديهم من سداد الستر ودد غايته حتى انحسرة دونه بعينه الى الشكائم
واستصفا لهم دون خزائنهم واموالهم وساح عدة من شيوخ ثناتهم بعض
بالزامهم استمالة على بوساء معذورين وضعفاء مضرورين وسامهم بعد الا
حتكام عليهم في التراضي بغاية والتواصي بطاعة عقد الوثائق عليهم بتصحيح
مال من حمائه بتكرر وجيران حق من عقده بتجريحه اذا استثبت لما اراده واستوفى
عليهم الحق وزاد وضع عليهم يد الاستصفاء لعله خاطرة بادي فاخذ ما بيد
من صامت وناطق وصاهل وناهق حتى اذا درب كل من ذي يديه وباد
غبر اطلال الضياع والرباع عليه رام استنزالهم عنها طواعية وكراهية فمن
اهتبل فرصة الخلاص على التظلم بما املاه فادهاه دعراه مغراه سيفه محض العصبة
الفائتة بالافك في خفارة التوفير وكما لزا التنزه فارتد على عقبيه غرثان
قد سال به السيل واسوان طال به الليل وناح عليه النهار فاتاه ولا على
كرب وقلق واتابوك على غيظ حتى اذا استخلص الضاحية والضامنة والغمر
البادية والكامنة وغادر الضياع حشين وشرد عنها الزراع حويين والخرس
الثغاء والرغاء انطق الهاما والاصداع وطم المنابع والمشارع وحمى المراعي
والمرابع فلو ملك عصائر الهواء وبعائر البيداء لاستكرههما على طعوم الغوائق
وحقوق الملاجي والمفاحص قد تحافاه للاطماع ولا مداخل الكهوف ومفاتح

الولايج

الولايج الجوف كالحوت لا يرويه شئ يصبح ظمآن وفي البحر فمه وما به التخريب
لولا احتياج الممالك بجوعه واستحلال حرام الملك بربوعه كانما عقد على الدنيا
حلفا لا يخونه واتخذ عنده عهدا يصونه ويحاماه من دونه منونه وهيهات
انما نظام حديات الشفاء ومغاوم ثقلات الغرايب ومصايد طالما اخفت
فخانها وضربت عليه الشاه مات رخاخها ومطاعم ظاهرها الارى وباطنها
السم وان من الربيع ما يقتل حبطا او يلم الغم وافام سوق الفسوق خاصة وعامة
واباح حمى الفجور بطانة وحامة تلزما بتية الشطارة ومستحلا بقية التجارة
ومضاهيا بنوس المجوس في خبث الانجاد وصلة الاخوات والاولاد بلا
غائمة نقات خدمه واودية على وجه الاكابر وجيرانه ومرودها اراد
والرفق الشرملا اماد واموا من تحذيره حدود الله وتخويفه عقاب الله مرايشا
فما يزيدهم على ظاهر تين عامرتين كجوف الجراد ما لها اجنان توارهما
ولا اهداب تقيهما تصلفا بركوب الايام وتكلفا لحظوظ الحرام وانما انتزع
لفظ التكلف قطعا على ما سمعته بعض مشايخ الادب يحكي عمن سال ابا
حاتم السجستاني عن قول النبي ابغض الاشياء الى الله شيخ زان وعائل
متكبر وفقير مختال وزعم ان القياس تقتضي كون الشاب الشديد القوي المنة
ابغض اليه من الشيخ الزاني لان فعله تكلف وتغلبه استكداد الطبع وهو

وهو يخلف كذلك هذا الحرف المتكلف والبر المودة قد نغص شبيبته على اقراف
الخادم واختراف المآثم حتى اذا وضح القتير وذوى الغصن واشتعل المفرق وافرغ ماء
الصبوات عليه عادة السوء ان تزجره من عقالها وتغريه عن سرابها وتصحيه
عن فضالها وتصبحه عن ظلالها وتزيدا الا على شعب الاراذل يوم نضالها الا
تعود بالاخ عادة تحوى بها ضربا من التين فعادة السوء اذا استحكمت بزعلى
المرء من الدين هذا ولم يرض بالعقوق الذى وسمه فوسمه وشخ وجهه وجبهه ودنا
بالخزى وعممه فقطع على بدوس الاشهاد رحمه وقتل فى التابع المستفيض ولده
وكان لحمه ودمه ولو كان كاحداد السوقة فى اخلاقهم بين الحياة والحلوقة
لكا المخزيها العهاد والزبد بذوب التهاد والثم برشف الرضاب والملك
بترنح الشباب والامن بطعم الوصال والحلو بطيب الحلال والعفو بشرى النوال
والعيش بموت العذال وشمس الجنوب بروح الشمال عش الادب قبل اعتقدت
عليه تمامه وذنبه وذنبه دون الاحتضان دوامه فجاء كالقدح هكذا او
النصل المكار وحدا اسفل الوشى الظهار وناهز عشرين من سنه يرى
الخليل فى جنب فضله خليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد رديا وابن العميد
ان خط نقش العبد على ايدى الكواعب الغيد وان لفظ فعقود الورد
منظومة وا قاحى البطاح مرهومة ولولا ان اباه اغتبطه دون مداه تخلف من

اثار

اثار بنانه وخلد من انوار ابداعه واحسانه ما يفضح ماء الورد فى تصعيده وعصر
الخمر من عناقيده لكنه لم يعش الا قدر ما لحظ العيون حتى اختطفته المنون ففاضت
نواعى المجد بنيته جميعا وبكينه نجيعا فظللت من بينهم مريعا انشدهم والم
القلب وجيعا قد كان لحى دون رده دهانه اشراط صدق ان يموت مريعا
ولقد جمعنى واياه مجلس بعض اركان الدولة ثانى اثنين من بين الحضور على
تنافث الهموم وتذاكر العلوم وتناشد ابيات الكرم واللوم فما كان الا ان جمح
المجلس بناره وعقر الشرب بعقاره حتى انحل عليه عقال اختياره وانفضحت له
اقفال اسراره تغرق فى بحر الدموع عينه والتقى الى ما ادى بينه وبينه بقربه
ما نشأ عليه من خدمة الادب والاستغناء عن عصام بعصام النسب على
طاعة من لدنى تجربة البروز على غيره وامره وانه حين ملك امره وعرف من خلجه
وانفرد ببيته معاشره وتوفر نعمته وداشه ناهض باهله مغوية ابيه بعض
ما يستحقه برة الابناء على الاباء فلم يرده على ان زاحمه فى ادنه عن امره حال
بينه وبين ما كتب الله له من حظه مطاوعة لو فتقا عقده فذاق عليه وادانه ف
ذبيلته خلاه عنهما تدبيره ذاتيته وقاصيته وولاه تربية حاشيته وغاشيته
وحكمه فى عرض ولده وسائر ما تحت يده فاحجر ذلك الفاضل دون نعمته وافضت
دون الاستمتاع بلحمته وجعل كل من يعزى اليه منفوما ومقلدوغا من نعمه

مظلوما ومصفوفا حتى اضطره صراح الباس والحاح الافلاس الى قصد الوزير شمس
الكفاة للاستماحة وانتجاع ندى راحته فخين علم ابوه المعنو تخليصه على شاطئ الاقبال
واستقلاله على مواطئ الامال ندب الفكر لاعتبار الرواسم الليل لافتناص بالحيلة
حبايله وجال الرقد بين لبه على ما شاع وذاع وشحن المسامع والبقاع من دعف
لم ينفعه اعاذه على فراش المنون صريعا وانتقل غير بعيد الى جوار الله وداركوا
متشبكا بيديه من فوق هامته ومستنفرا خاوى العدل وما لك الحق على ظلامته
ومخصصا حول العرش الى قيامته وحدث عن قهرمان بيته وقد عاد الى ابيه
السفيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته واقتطعه دون عوادح حاجاته
استظهارا به على حوادث النوب واستنفاقا على معالى الرتب اذ واخرمن
رفقا ته نفقا من جملة المال نذر ما قطع به المسافة ووضعاه فى اكياس نحو قبلها
بين يديه وكان جزاهما منه ان وضع الدهق عليهما حتى استغرق ملكهما وانتزف
طلب العظام بين حسيهما ثم قصدهما فى دوحيهما اشفاقا على صورة الحال وسرعة
الحال من هتكه الاذاعة وفضيحة الكشف والاشاعة لولا انه اعتصم بالاستتار
دون صاحبه مرعدا بما لحقاه ومبرقا بالاستبراز ما واراه ولم يرض بالادث
وقد جازه دون مستحقه من قرابته ذويه حتى قطع سباط المطالبة على وكلائه
ومواليه معجزة فى المجاب مغنيه دون الخطاب خلانا الله فى حكمه واجزائه

علم

علمية فرض الاسلام وختمه واستخفافا بوقع الانس فى دينه المجروح وعرضه المفضوح
وعقده المحلول وسره المعجون بالغلول فعراهم ذكرانا وانا نا عا البنوه من بال حمله
وطارف وتليدا عتلالا عليهم ببقايا اخوجها المستوفى على ضبا عمره وهى تحت
استغلاله فى ضمان زارعيه وعماله ولم يستبق من جملة الداخلين كانوا اليه
عسر رحمة الله لتسليمة غير موسوم بجريمة ومكروم بهضيمة ومنقوض عن ذخيرة
وكريمة ومغلوب على ما هواه من نبعة او بنيه وذاته المقصورة المحجورة نكبوا اليه
بلا بلها خضوعا وتمرى عليه مكاحلها دوعا ضيفا بما دهاها من اضافة وافدها
من الم التسبب من فاقة وتسال السوال المضطران يملك عليها ما ملكته اذنا بحج
ما حوته عنقا وحدثا مصاغه دون ما اطلقته عليها من ايدى الجنود واخباث
الترك والهنود فرمى وجهها ضجر ابما نشرقته من نظرة وقلقا ان فضضه من ودق
امضا نه عن شجره وجعل برمها فى جواب التلطف والتالف باحد من موالله
الفراغ واشد من ململة المقلاع فعل من لا تكفه رحمه ولا ترق عليه دافرة لا
يخف عليه فى ذات الله مخافه ولا يثنيه عن وجوه الباس حياء فى دره بذل الدعوة نالها
الايدى الطوال فلما الى سبيها الاعراض ادركها الامتعاض والت حلفه معبوره لئن
لم ينبه عما يقصد بمثله والد ذات حفده كريمة وداء سر ليهتكن الحجاب ولتطرحن
الجلباب ولتحشين على فرونها التراب منطلقة الى حضرة السلطان فى ابضاح

ما وراءه المحل ومنه وطرعه الجامل عنه وكمنته ضمائر الاشفاق فيه وملتمس ذبول
الموادة دونه فقال المجنون لاخيه وهو معرق في باديه اغلق على هذه الفتحة الوهاء
فقد ابطرتها الفضول الفضول وانطقتها والى الاحتمال فما ندري ما نقول هذه واشهد
حمية الابطال في دعائمه وحماية الذمار وحقوق الحرم الابكار ورحم الله ابا الفتح البستي حيث
يقول

لي جار فيه جرأة عرست تلعن اوه   خلق الله الى الناس المغيرة غيره

ولما فرغ هذا الفاضل عن اهله   وودا ثمر ما كان تحت يده

واعتصار المظلوم عن هلال خالها وعلالة مالها ندب اخاها بتصلية وهو حجرة ا
اولاده ومن يرجوه مثله لمعاشه ومعاده للتقبل لمعاملات ناحية لحتلا عليه
في الخاقه باخيه وانقطاعه دون كفاف يتصرف فيه فلطف واعتذر واعترف
بالعجز عامدته حتى اذا اعياه التلطف ولم ينفعه الا الشرف مد رقبته لربقة
التقليد وكره سبعا على طارف الملك والتليد وما زال يحيي كل ولود يزود
ويمري كل بكي وشود حتى نضب الماء الا قليلا وعصب بفيه الا بليلا فطفق
يعبره بعجزه ويفجعه ويبكته على خوفه وتضيعه وامر بجمع ما لم يثبه سمع ولا بصر
ولم يغنه نجم ولا شجر ولا يطلع عليه شمس ولا قمر ووجب عليه لاعلاج الجنود ولا
غلاظ كفادهم السود ما لا دهى حسين طاقته واتى من وراء فاقته ووسمهم عليه
يطمع في عاجل موزون ويرغب في اجل مضمون حتى اوهنوه شدا وانبأوا فيما

وانحوه

وانحوه ضربا وارهقاه ووضعوا في بعض المثالب رهقا اسفر به الى الصباح الثاني
حتى اذا لم يبق منه غير خوا الطاء علموا انه المظلوم وان الحاج عليه في دينهم
المخول وشركهم المخذول فرم ونوم فقضوا ايديهم به لا عنين اياه ومن اوضعه باه
واطعمه بعد وسقاه وما ظن الا فاضل الكرام بمن لو في رحمه الكافر الفاجر على
فتاوته وطبع قلبه وغشاوته ومن زعم انه والد يحنو على ولد ويعده فلذة
من كبده وبضعة من روحه وجسده كل ذلك طمعا في استزادة مال او استطار فرض
حال فضار اليها الى نجعى وتوال فلا رحم الله كل جاني العقيد جافي الكبد
قاسي الفؤاد جاسي رماء الاولاد ان للاباء فروضا على الابناء وللابناء حقوقا
على الاباء وان يكن من فرض الوالدان لا ينقص منه حتى قتل ولده وقطع بيده
يده فمن حق الوالدان يطاع الله في صلة رحمه وتقول الاقدام على روحه وقد
نعم ولما ان خف عن الناس كربه وانحط عنه وصبر امره الى جانب الا
مير ارسلان الجاذب في فتى السلطان في زحفة السهم المادف والرمح المقذ
على المارق السارق منقيا به عارض الناس ومستنفيا روحا معلقة بخيط
الناس فاواه وقبله ونشر عليه جناح رحمة له وكتب الى دار كان الدولة في بابه
بما السطل عليه سعاية ابيه وغل دونه نكاية فضده ونجنبه وحاذر الفاسق
المارق افتضاحه باخيه بلده كما افتضح من قبله ادوى الاصلاه وفتح اباه فلم

يزل يلقاه بشعوذة المخاريق وبرقشة التزاويق حتى افرضه بالاسد به متجرا باسمه
ووزد مغرم عليه استعاضه وشماسه كابن المقفع حين استقرض السلطان فلو نقب
عن منافس فوقه ومنافخ جلده وعروقه لانتفضت حيلا بجمر كل صابغ وصواغ
وتقلب بين الوحوش ورواع وما زال هذا المذكور يختلف به التراح والكرّ
الى ان قدم شمس الكفاة وزير السلطان مرو الروذ مستوفيا على العمال لغاياتها
الارتفاعات والاموال سنة فجخ اليه لا بدا بكفه وعاينه ابوابه الكرام
ودافنه الانام من شره ومقره داخلا في الظلم الذي ضرسه بحريه معره ومعنى الملحي
خارب وموطيا السانه فراش التقية طاعة الله في لزوم الاحرام وصيانة للعرض
من دشوم المذام الى ان حرثت مطالبة العمال اياه الى مثواه من باب ولي
نعمته ومولاه فكم ضرع اليه فما نفع وخشع فما نجع وتلطف فيما افضه واستعطف
فما سمع ولا ابصر حتى اذا عادضه الرد بحجابه وكلمة الياس من وراء نقابه
باج على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق وصب جرعا من الوان تلك الاباريق
واشعره ان خليعته لم تجم منه لاجاحد الا بادبه مخافة ميادبه مواليا
لاعاديه مخالفا لكريمة الحفاظ في مواليه بين اهين كما سطع الصباح
السافر او متع النهار الجاشر مفرطه بصحابح الاقوال مشتغره بفضايح
الاعمال فلولا كرم عكه بلبابه وعن على مسكره وبانه لوجه رجم العفريت

رجيم

وضربه بالنفط والكبريت لكنه راى ان يضم عليه طرفي بساطه وليستبقي مختوم
سره بين خرزه ورباطه نقد تيما الشفا عن المشيب وتفوتيها الى مأواه من الا
حبل القريب واقفانا لمن سمع او نظر هذه وخبر بما شاهده من ذكر شيخ معاينه
احداث ولوم مكتسب وفضله موراث ولما تامع اهل عمله بما ركد من رمحه وظهير
من دعوه صير بحبر بنا دروا الى مفصل الظلامة صاوحين من ايا الجور كما نفثوا في
الحوبات لاعداد وجهود في الشعب فجيج البلاد واختلفوا في المظالم فمن قائل
هتكت حرمته واخر انتهكت نعمته وثالث انتهبت شملته ورابع طلقت عليه
طلقته وخامس قتل على التغصب اخوه وابوه وسادس خدشت على المعروف ترقيه
وفض فوه فمنهم من وصل فتحد بالانصاف ومنهم من حفز دقتفي على ياس
الانصراف وراى شمس الكفاة ان يسلك به شعب المجاملة فطم بحرهم على بناث
مساويه وصد عن مسامع السلطان خبايث افعاله ودواهيه ولم التظلم
على عن شريف نادبه فعاد المذكور وراءه مخذولا معلولا واراد الله ان
يقضي به امرا كان مفعولا ولما راى ان قد صحت افعاله وضحكت منه حيله
وادعا الروات الالس قد مضغته حين اطاع عبدا مملوكا في معصية خالقه
ووصل شهوة الفجور في قطيعة ولده وعرا طلا اضباعه مجرا بالخونه وبث به
وثوب الموتور والجايش المه المشغور بمجمع ما حلاه على الفنون ووفاه من

ثم الاسلاذا دبلعنه ذلك السوق وبرى ان صنيعه ذلك بحجه سنة الالاسرو
نقبه بنال الالسن الذائنة فاسه دما نحله من صداق ورجع عليه بقيمة ما اثربه
من مجاجة اشداق وعزاه عما اعطاه بعدان عزاه وامتطاه وبطحه للسباره بعد
ان بطحه لوط اللواط مثلا لامنه جردة طال ما امتصها بثغره وكفنها بعاذبته
وقذاها بنفسه وابويه ودفن عليها احد ولديه هذه والله هو الجود لا ما نقي
عن خاتم العرب وروى عن سادات بني عبد المطلب فلح الله من وصى بها
لنفسه من سيرت وحباه بها على ناسخ الاحقاب كنزا وذخرا اثره وذات الاسناد
ببطن مكة لاازول من والغ في جفنة مقلوب واندل من طامع في شريطة
المصلوب ان كان ارادبنا اناه انتقاما فهلا ذاك والولد حي في البد
من تلك المخاد شيئا الان وقد سبق السيف العذل وقد فعل القضاء
ما فعل وردا وقد نضب الماء وشيما وقد اصحت السماء وغيرة وقد سقط
الجلاد وسرة وقد ظهر السواد هيهات هيهات لظن خايل ورأى فايل
وظل زايل ورد ماء سايل ايتها النفس احملي جزعا ان الذي تحذرين
قد وقعا واحتال مفرش لذته ومعرض شهوته للانقطاع الى بعض كبراء الائمة
فقبله وآواه وانتزعه من قبضة مولاه مراغمة كوثر بنارا ضغاثا وشعر نبطي
حوادة عمومه وانتجانه فلا حميم ولا قريب ولا ولي ولا والد ولا مولود ولا عابد ولا
معبود

معبود فاما الشرع وطريقه والدين وتحقيقه في هلا بران في وضوح هذا الخلال
على شوه احكامها وسفر احلامه تعنيته دون شرح الحال ونشر مجها وتبليغ
لسان المقال وتفضحها عنوان التقرب الى النبي المصطفى الابطحي المجتبى
والمرفي قوله اذكروا الفاسق بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه تخلصا تحفا با
نكره وحباباه وتشكلا الاضلاع خشية وتقذبا باه بعلم الا فاضل اني جاوزته
على البريد قريبا من سنتين فلا والله ما ان نصبغت به الاحداق في
المسجد الجامع الا يوما واحدا كبيضة العقراء كقضة الكبر فما ادري الخطأة
به خطاه ام الحاه عذر تخوف عقباه وتجاذبنا حديث الصلوة فقال مما ذا
وما صدقك الا مازح او سكران قام بعضهم وهو يسعى يوم الجمعة الى الفرض
فقال له صاحبه ان اد بعتهم من خبز البوت فخرج من اثنين من عمل السوق وقد كان
من طريق التجوز ساغ للتاويل على وجه التمليح ولكن من هذا قبله وتلك
افاعيله وترك العبادات سبيله ولا عيد بعتاده ولا فرض لا يقضيه
العناد فما له غير اليقين بالالحاد وتلقى وامر بالشرع بالعناد والمتقول
الغلام الواصف مولاه انه يلعب في الشم ويلحن في القرآن ويصلي من قعود
ويبتلك من قيام يحج الى صورة خالد وما ولى الى مقصورة خشبه وضلاله
فجل احوال العيوب وعظم اثقال الذنوب يصلي فيخفض اركانه ويتجه نشجه

فنضب سيفا نه نخاطب باكفاف اخوانه وثيم بالراى فلمانه ويكفت للشراد كامه
ويجب للاثم اروانه ومن نادرة البلد اعتقاده الاعتزال على وعيد الامد ثم لا
نتقى محذورا او منكورا ولا يبتغي علا نوردوا ومنكرا من القول وزورا ها
هو طمع مشهدي في مال رجل كان انقطع اليه منذ زمان بامان فاغرى
بردسيا كقضيب من الاس وناس بعلة فكه كان بامر اذ هو دضع وعلى جبلة
الارض صريع وتقفه استغلاه الامير الاجل ابي سعيد مسعود بن محمود ونجز
الامر في معنى الانتصاف اليه فتبين ذلك الالمعي والسيد اللوذعي على غامض
كيده وباطن   في صدره فامر بالكتاب الى في تعريف الاحوال وتجنب جانب
الاحتمال والانتداب لاعداء الشاكي على خصمه وايفائه حكم الله في امره فلما
احس اخو دلم المخنا الران حد سه قد قال وظنه استخال وسعى الى الشهود فمال
منع شهود الزور ان يصدعوا بالحق فيما بذلوا من حظوظهم ترغيبا وترهيبا
فرضوا القول وادعوا على سليلهم السول ومال المزور الى التوثب غرار ش
المستباح ومها على ما ئتي درهم فيه وخمس دنانير فلم يدر اية نحلة وقعت
بان دية الامهات على هذين العقدين في الاسلام لم يذكر معلوم
ولا في الفقه باب مرقوم ولا عند اهل الكتب محتوم ولا في ديار الشرك
رسم مرسوم ولا في الفطر النفوس ان تنزل عن امهاتها مقبولة بهذا الوكس وا

والثمن

والثمن البخس ولا المخانيس او الفرود لو نفت ترضى عن اصغائها بمثله وكم قد
قلت واقول انها ليست دينية ودمية او دينة بل هي دية نسمة مسلمة قد حقن الله
دمها الا باحد ثلث نصا عن رسول الله صلعم والرجل يستجيز الترخص في هذه
الاحكام الاستخف بدين الاسلام اما ان المحكوم عليه لم يلتزمها الا
بقرة قومت مائة عشرة فقال المفجوع المخدوع تالله رضيت بهذا الغبن ولا
شربت الدم الحرام باللبن دم في الرجل بامر القتيل فاغتيل فلم يدر اكلته
النار ام شربه الماء والتقطه الارض واختطفه السماء فلا هما من ذهب
ذهبا بصر او شخصين فقد اغتيله ومكرا هذا والله الدين السليم والعقد
الحكيم والامر القويم والسمت المستقيم والمبالاة بما ورائه الجحيم ومما يزيد
ادام الله عز المشايخ فضوحا ويفيد هذه المقدمات وضوحا ما كانت
الاخبار بشاهديه من استحلاله عند الاشفاق من لواحق جنايته
على سلطان زمانه وودعا باعلم وسكانه حبس ما يقسب اليه من ضياع
وعقار وباغ ودار بشاهد ذكرة الاسماع ويتقاصر دونه الاطماع
حتى اذا ما حلا جوه واستقام على ايقاع المراد شدوه ندم على ما فعل وقدح
فيما بذل وفصل بالفسخ كل ما اجمل فكان هذا البلاغ يقرب تارة من الاتمام
ويبعد اخرى حتى اغنى شخص لعيان عن الخبر وبانت شمس البيان عن الغروب

حين بعث السلطان قاضي قضاته ابا محمد عبد الله بن محمد الناصحي الى ديار خراسان
لتدارك امور الاوقاف وانتزاع ما اقتسمته ايدي التسلط والاختطاف فرفع
اليه خليفته وانا حاضر والى جنابه ما يرد ويصدر ناظر ما انفقه عنده من الجبانة
ما يقارب مائة الف دينار من اوقاف وضع عليها ايمة الملك وسوسة الثعلب
والتجن كاغا فيها افواه اربابها دون التظلم بوعد دونه فراق الرقاب
ووعيد عنده فراق الرقاب حتى درج عليها قرن بعد قرن ايسين من الانصاف
وخلف من بعدهم خلف قانعين من دونه بالكفاف فادعى اليه بانعام الاستقضاء
على حكم امانة القضاء فقام فيه وقعد وابرق وارعد وانتزع مالا عظيما من
تحت اظفاره وخدره الافتضاح ان تعرض براسه وكان قصاراه ان يبكي
ويبكي ويخشى سوءة امثاله العث واحضر الرجل طواغيت الشهود وعلية
الفسوق والمروة وعقد بمشهدهم وهم على شهادتهم وثائق بوقفه كل
ما ملك واطلاقه على وجه الله جميع ما امسك بيمنى يمينه افضل ان المنعم
بما تحت يده من قليل وكثير وزهيد وغفير براءة عن الطمع في مال الغير موقوف
وعرض الى وجوه القربات مصروف فلم تتراخ الامد على هذا العقد الوثيق
والحذلان المشيد الموثق حتى قال له وهو يبكوا الوزير شمس الكفاة وساعة
ابا الطيب السعاة ما هو الا ان اصل عهوده املاكي هذه على طفرة الى العراق

سائنا

سائنا من خراسان واهلها وقالبا فرارة البلاد وبنابذة الطارف منها
والتلاد فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه لغيبته وما الفظه بره
على وجه الاستخلال وغيظ الفجر عن املاك الرجال نقيبه هذا ومن فضل نعمته
وانا احته فيض الاحزان كل من ساكنه في محلته على علمه او مال يجتبيه كالزمان
جوابا فاوعز بنبذ براوابر ابا استحقا فالشهادة انهم لم يجوده ونحرفه حذو الكرام
بموجوه حتى اذا قضى الوطر منهم وملك لبطنه الاستغناء الغناء عنهم تتبع
عليهم صبابات القدر وبدخلات الثغور وقمامات الاطراف وصولحات
الاصواف وحبل المطلوب في زنة الذهب المصون والمشروب في قيمة الجوهر
والدرهم الواحد قطارا وحدثنا في دواوين الشرف مطارا اسعاته من خبث
ارومته ودست على دمنه اللوم جرثومته فصدر عنه العامل والجار والامل
مغبونا منه مقاما موضوعا في شرابه وطعامه مفجوعا بما اقتناه غابرا ايامه
مخلوعا من شهادة ختمت صحيفته اثامه قد خصف على فرجيه بكلتا يديه ينادي
في علقه السليك وينادي لبيك اللهم لبيك ولعمري هذه من اثار رحيمه عجبا
من كون اخباره وسدول الاستار دون اسراره وقصود بها الانتقام من
مقدا وزاره غيران لكل شيء امدا ويابى الله ان يفلح الظالم ابدا الا ان الماء
يغرق الماء ويحقن الدماء ويجمع الهواء ويدفع القضاء ليرد العوار والعورا

فلقد اشفق على الدرهم والعين تسلم من العين والدين ففوة العين باذنابها
وفوة الانسان بالعين غيران المثال متى سلب الجمال واورث القيل والقال
وبال ولا الدين مطلوبًا والذنب مكنوبا والانف مجدوعًا والبنان مقطوعًا
فقبح الله الاغراض متى ونت الاغراض والاموال متى تظهر الرذال والاملاك
متى اعوزت الادراك والمرابع متى ابدت المعايب فاشا مواليه ومطاعمه تحذوها
البكم باسناد كما انفخت الاصابع وانفت الكعوب الفوارغ انه بعد وصع صفر
العصا فيه على الطعمة تربوا عليها حشاه كما حشا الدقيق جرابا واثقل الزيتون كلابا
فما هو الا ان يدرس الشمس على صلابات الجدران حتى كان اولاد البقر
تلحس فواده وكل الظليم يدعى فيه ميلاده فيغتذى بالفول سنة وعادة وبما
وبما يجانس من عمل السوق شهوة وارادة حتى اذا طفح كالدلو لمن نزح وكفت
وقبض الكف على فرم لا يطهر واجنه ولا يغنى دون المجذب محاجنه فاذا انتصف
النهار او كاد ولحق الحرباء دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما يقيم رسمه
النصف فاحضر من كل حلو وحامض وامتلأ من كل بكر وفارض حتى تنحى
عليه في الصفاق من الاشفاق ودنا العروق من الفتوق فيظل ما في النهار معا
خادره وخلاه خابيه خادرة حتى جنت للاصيل وهم الطفل على الليل بالطفيل
اعيد عليه الطبائخ والغروف وحشر عليه الغرائف والظروف ثم نوفي مسلمه

لمقابه

١٩٣

لمقابه كالاضابير وطويت الطوامير مختومة ومعشيرة وربما قعد بعض ساعات الليل وقام
بالجوع ويلاقي الطهاة بالفنوع فيحاشر عليه عجالة الوقت من مستودعات البنابيق
ومطجنات الطيور والغرانيق فيسجد عليها عن قيام ويتسحر منها لغير صيام طعاما لا
يشركه فيه غير الملائكة حاضرة والكواكب من محاجر الظلماء ناظرة في الارض مهر الغنا
في الالتقام والالتهام ولا الاعتراض مع النهاية في الاشفاق والارتشاف ما بلغ منه لولا
فنا دزاده ولا بالجوع لولا انقضاء نفاده ومن نادرة امره في المعاقرة انه يكتنب ضمنا في
التنقل من الصبوح الى الغبوق والتردد بين الفجور والفسوق فان نشاء للتنزه تبوأ
مقاعد الاكناف كما تعود مقاعد الاحقاف فيمادى بين رضا فجلة شيطان
وجفنة في سورة اعوال قد نجم بينهما نوخ الفحل صرما لبل صنع الذاهبين بالفصال
ودبما بقى في التمارض سنتين او اكثر شفقا من تكلف الخدمة لولى النعمة وتجشم المسير
الى باب الوزير فرشوا على التغاول مالا وعادوا وجوه الاطباء واصحاب الاهاء فرها خفافا
وبدا ثقالا وليس على هذا الاحيال باعز من الشابه الزمانه على امتناع الطباع
شمس النفوس دون الاصغاء اليها فضلا عن القرار عليها فسبحان من خلق النفوس اطوادًا
وجعل من الهم انجادًا واغوارا هذه من اعيان مساوئ هذا الفاضل العامل ولو سردت امثالها
بطال الكلام وعال الابرام وانما من دقائق الظلم المذموم والدغل المكتوم انه الحجة
والذل المبلول بلغاب اللوم ما اورده على دقائق الابراج ولجوامع جواهر الامشاج و

الصغاير على الاصرار كباير كما ذنب الشعور على الايام غداير ولقد احسن ابن المعتز حيث يقول
خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى لا تحقرن صغيرها ان الجبال من الحصى ومما اقتضى
النسبة على معاير المذكور ومعايبة الفلك عن شمط عقايصه وذوايبه مقابلة صنايعي
ابا ال سامان وبعدنا في حق قضيته وتهدد عيته وغب طويته وسر اخبيته وشغل كفيته
وبرا ولتيه بان كاشفني المودة جمعني وولده المعتبط ابا المظفر رحمه الله بعداوة لم
لعقيم سيلها صفاء ولا البهيم ليلها القضاء وذلك لان نسم الكفاة مذ بني المجاورة
وتغص لي خير اشربة مكافاة على خدمتي دولة السلطان يمين الدولة وامين الملة بالتمتع في
شرح اخباره وملح مقاماته في عهده وانصاره يرمي اليه بنميمة كقطار ديمة ووقيعة
كسراب بقيعة على غفلة دون ما يصطلى من شرك توهيا له في الحقد كافور عن فرض
نافر والى موقع بعض الكفاة في استحقاق صدر الوزارة خامل وشعب الاختصاص به
والانقطاع اليه سايل كذوبته لم يخلق الله له راسا ولا ذنبا ولم يضرب له دولة وطنبا
ودمنة لم يشتد منه لسود حوافرها ومصفوف كلاليها وابا هرها حتى هاجت على كالليث
موتورا وكاللمز محرجا ومضرورا فكم كدحت حتى استنزلته عن جران وشماس وجهدت
حتى نجوت منه راسا براس وطفقت انشد وقد فارقته سالما

اذا انجرانيا سالمين بانفس — كرام رجت امر الخاب رجانها
فانفسنا خير الغنيمة انها — تؤوب وفيها ماؤها وحياتها